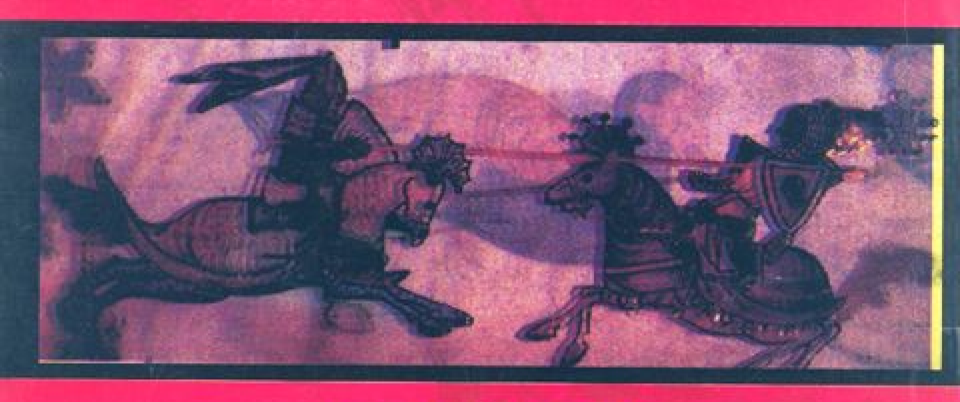
صفحات من تاريخ
الحروب الصليبية

مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول



هنادي السيد محمود



مملكة بيت المقدس الصليبية
فى عهد الملك بلدوين الأول

© دار العالم العربي

19 شارع امتداد رمسيس ـ القاهرة

تليفاكس: 22616130

e-mail :af_madkour@yahoo.com

تجهيزات فنية: الإسـراء ـ تليفون: 33143632

رقم الإيداع: 2586 / 2008

الترقيم الدولي: 2-22-6276-977-978

الطبعة الأولى: المحرم 1429 هـ ـ يناير 2008 م .

مملكة بيت المقدس بلودين الأول



■ صفحات من تاريخ الحروب الصليبية ■

مملكة بيت المقدس الصليبية
فى عهد الملك بلدوين الأول
(1100- 1118 م / 494 - 512 هـ)

هنادى السيد محمود إمام

تقديم
د. محمد مؤنس عوض





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة، الآية 105


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

إهـــداء

إلى أبى.. الذى بذل عمره من أجلنا..

وإلى أمى.. التى سهرت الليالى، وانتظرت هذا اليوم.

إليهما، أطال الله فى عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية..

أهدى هذا البحث.



شكر وتقدير

الحمد والشكر أولاً وأخيرًا لله رب العالمين الذى أعاننى على كتابة هذا البحث.
كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى كلٍّ من:

الأستاذ الدكتور/ أحمد رمضان..

والأستاذ الدكتور/ محمد مؤنس عوض..

على ما شملانى به من رعاية علمية خالصة وجادة، وما منحانى إياه من وقتهما الثمين، وما وفراه لى من المراجع العلمية القيمة التى أثرت هذا البحث. ولقد تعلمت منهما الكثير من الدقة والتنظيم والصبر والتفانى فى العمل، ناهيك عن التوجيهات القيمة التى أظهرت البحث على هذه الصورة، فجزاهما الله عنى خير الجزاء، ووهبهما موفور الصحة، وأعانهما على بذل المزيد من العطاء.



المحتويات

* * *



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

تقديم

يسعدنى ويشرفنى أن أقدم للقارئ العربى أطروحة الماجستير التى أعدتها الباحثة "هنادى السيد محمود إمام" بعنوان: مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول (1100 ـ 1118 م/ 494 ـ 512 هـ)، وذلك تحت إشرافى بالاشتراك مع د. أحمد رمضان الأستاذ بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

لقد بذلت الطالبة جهدًا جديرًا بالتقدير، ورجعت إلى قائمة ببليوغرافية ثرية، وأفادت عن ترجمة الأب منصور مستريح للنصوص اللاتينية، وهو الحَبْر اللامع فى اللغة اللاتينية، والمقدم خدماته العلمية لكل باحث طرق بابه بكل ترحاب، مما عكس خلقه الرفيع.

والآن نستطيع القول ـ دون مبالغة ـ إن لدينا دراسة علمية متميزة حصلت صاحبتها على تقدير ممتاز عن الملك الصليبى المؤسس لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وأعنى به بلدوين الأول، ومَن يدرسه ويتفهم أحداث عصره يكون فى مقدوره فهم تاريخ الصليبيين حتى خروجهم مطرودين من عكا فى أغسطس من عام 1291 م دونما مبالغة؛ لأن اعوام حكمه هى سنوات التأسيس لذلك الكيان الغازى الدخيل.

إننى أغتنم هذه الفرصة كى أهنئ الطالبة "هنادى السيد" بصدور أطروحتها فى

كتاب حتى يطالعها الباحثون فى كل مكان، وكذلك من يعشق دراسة عصر الحروب الصليبية.

ولا أغفل الإشارة إلى أن الباحثة هى إحدى فتيات سمنار العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس، والذى أتشرف برئاسته، وقد ساهم السمنار المذكور فى تكوين مجموعة نجيبة متميزة، مثل: أحمد عبد الله، ياسر كامل، محمود كامل، شيماء كامل، هنادى السيد، صفاء عثمان، هدى الويسى، نهى الجوهرى.

وهكذا، فإن صدور هذه الدراسة المتخصصة يعد حدثًا علميًّا مهمًّا فى مجال دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى بلاد الشام، وأتصور أن الباحثين المتخصصين الجادين سيستقبلونه بكل تقدير.

والله تعالى ولى التوفيق،

أ.د. محمد مؤنس عوض
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

مقدمـــة

يتناول هذا البحث بالدراسة موضوع "مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول" (فى الفترة الممتدة من 1100 ـ 1118 م / 494 ـ 512 هـ) لمحاولة دراسة الكيان الصليبى الذى زُرع على الأرض العربية من حيث نشأته وتكوينه داخل هذه المملكة، وموقف القوات الإسلامية منه.

ومن أهم الأسباب التى دفعت الباحثة إلى اختيار الملك بلدوين الأول كموضوع للدراسة، خلو مكتبة تاريخ العصور الوسطى من عمل علمى متخصص فى هذا الموضوع، رغم ما كتب عن الملك بلدوين الأول كمؤسس من الناحية السياسية ضمن دراسات عامة عن تاريخ الحروب الصليبية. ولذلك، رأت الباحثة ضرورة أن تبرز الجوانب الحضارية الأخرى ـ سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية إلى غير ذلك ـ فى محاولة لدراسة الكيان الصليبى من الداخل..

فقد شهدت المملكة الصليبية فى عهده إنجازات متعددة، مثل: الاستيلاء على معظم الساحل الشامى، وبناء القلاع الاستراتيجية فى أماكن مدروسة ومخطط لها بدقة، بالإضافة إلى دوره مع الكنيسة ودور الكنيسة معه. وكان الهدف الصليبى من هذا التكوين ليس الباعث الدينى وحده، وإنما كانت هناك أهداف أخرى، فالهدف الاقتصادى كان واضحًا، والدليل على ذلك ما قامت به الأساطيل التجارية الإيطالية وما حصلت عليه من امتيازات ومكاسب، فثروات الشرق مطمع

للجميع، كذلك استغل الصليبيون خيرات هذه البلاد سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية.

أما عن مشاكل الدراسة فقد تمثلت فى الآتى:

أولاً: كان على الباحثة أن تبحث فى كل شاردة وواردة تتصل بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى خلال فترة الدراسة، وما بعد فترة الدراسة والاستعانة بإشارات فى مصادر متقدمة تفيد فترة البحث، فإن معظم المصادر سواء الإسلامية أو الصليبية قد انصب اهتمامها على النواحى السياسية والعسكرية، ولم تتعرض بنفس الدرجة من الاهتمام بالنواحى الحضارية الأخرى مما شكل صعوبة كبيرة على الباحثة فى تناول تلك الأوضاع.

ثانيًا: كان على الباحثة أن تحلل وتناقش قدر استطاعتها دون اعتساف أو قولبة.

ثالثًا: من مشكلات الدراسة أن معظم المصادر الإسلامية قد انصب اهتمامها على تناول حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين، وإغفال ما قام به هذا الملك من أعمال، على عكس ما تناولته المصادر اللاتينية وركزت عليه، لذلك كان علينا تناول وجهتى النظر الإسلامية والصليبية.

رابعًا: مشكلة المركزية الأوروبية، ذلك لأن معظم من تناولوا دراسة الحروب الصليبية فى العصر الحديث تناولها بحكم انتماءاتهم إلى فرنسا وانجلترا وألمانيا، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم جاءت وجهات نظرهم لتدافع عن ما قام به الصليبين وتمجيد دورهم التاريخى ومحاولة تصويرهم أنهم جاءوا لتقديم رسالة حضارية، وفى الحقيقة أنهم جاءوا لاستخراب المنطقة، ونهب ثرواتها[1].

أما عن المنهج الذى سار عليه البحث، فهو سردى وصفى وتحليلى قدر المستطاع ويتجه إلى دراسة مملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الأول من خلال محورين

(1) محمد مؤنس عوض، أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين 12 ـ 13 م/ 6ـ 7 هـ، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الثالث، ط. القاهرة 2003 م، ص274 ـ 276.

أساسيين: أولهما يدور حول السياسة الخارجية لذلك الملك الصليبى ودوره السياسى والعسكرى ضد المسلمين.

أما المحور الثانى فيهتم بالأوضاع الحضارية حيث النواحى: الاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية، وغيرها، ومن ثم فقد اعتمدت الباحثة على الرؤية الشمولية للموضوع، كذلك حرصت الباحثة على عدم التركيز على الملك بلدوين الأول فقط، ولكن اعتباره جزءًا من مخطط كبير وهو المشروع الصليبى.

وقد تم تقسيم البحث إلى: تمهيد وخمسة فصول وخاتمة، تناولت فى التمهيد المرحلة السابقة على تتويج الملك بلدوين الأول عندما كان أميرًا للرها. ثم معرفته بموت أخيه جود فرى دى بويون ورحيله إلى بيت المقدس ليكون ملكًا عليها.

أما الفصل الأول فهو بعنوان: "سياسة بلدوين الأول تجاه إخضاع الساحل الشامى وحملته على مصر". وتناولت كيفية الاستيلاء على معظم الساحل الشامى، واحتلال مدنه ما عدا مدينتى صور، وعسقلان، وما قامت به هذه المدن من مقاومة وتخاذل القوات الإسلامية عن إمكانية حماية هذه المدن، وما قام به الصليبيون من مذابح بشعة فى أثناء استيلائهم عليها، بالإضافة إلى نهب ثرواتها.

كذلك تناولت حملته على مصر وكيف كانت هذه الحملة صغيرة ومنظمة بدليل أنها توغلت فى الأراضى المصرية حتى وصلت إلى العريش وبحيرة تنيس دون أن تلقى أى مقاومة من جانب القوات الفاطمية، وبالرغم من ذلك فإن هذه الحملة كانت ذات طابع استكشافى، وليس لها طابع الغزو، لأن أعدادها كانت صغيرة نتيجة إمكانيات المملكة الصليبية الوليدة حينذاك.

ولكن هذه الحملة أوضحت أن اليوم استكشاف وغدًا الغزو الفعلى، وهو ما سوف يتضح مع حملات الملك عمورى على مصر فيما بعد، أضف إلى ذلك، أن الصليبيين بنظرتهم الثاقبة أيقنوا أن مصر تلعب دورًا خطيرًا مع الشام، وبعزلها يمكن التسيد على المنطقة.

أما الفصل الثانى فبعنوان: "سياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة". وتناولت فى هذا الفصل حملات الرملة الثلاث التى افتقرت إلى التنظيم والتدريب واستغلال عنصر الوقت، بالإضافة إلى تناول ما أظهره المسلمون فى موقعة حران من انتصار.

ثم تناولت حملات شرف الدين مودود وما أسفرت عنه من موقعة الأقحوانة وهزيمة القوات الصليبية، بالإضافة إلى ما أظهرته من قوة المسلمين فى اتحادهم. ولكن بقتل شرف الدين مودود تحطمت الآمال فى القضاء على هذا الكيان، فهو باعث حركة الجهاد الإسلامى التى امتدت إلى أبطال الإسلام : عماد الدين زنكى، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبى، أضف إلى ذلك دور المقاومة الشعبية منذ بدايات ذلك الوجود الصليبى.

أما الفصل الثالث فبعنوان: "العمارة الحربية فى عهد بلدوين الأول". وتناولت فيه ما قام به هذا الملك الصليبى من تشييد للقلاع والحصون لتكون دفاعية فى المقام الأول، وهجومية فى المقام الثانى، بالإضافة إلى كيفية وضع هذه القلاع فى هذه الأماكن الاستراتيجية واستغلالها لتكون حلاً جزئيًا لمشكلة نقص العنصر البشرى التى عانى منها الكيان الصليبى الدخيل.

أما الفصل الرابع فبعنوان: "سياسة بلدوين الأول تجاه الكنيسة". وقد تناولت فى هذا الفصل كيف استطاع الملك بلدوين الأول منع رجال الدين من إقامة حكومة دينية فى بيت المقدس، وكذلك دهاؤه فى التخلص من أعدائه وعلى رأسهم البطريرك دايمبرت الذى كان يحاول وضع بيت المقدس تحت يد حكومة دينية، ولكن الملك بلدوين الأول تصدى له، واستطاع عزله، بالإضافة إلى جعل الكنيسة برئاسة البطريرك أرنولف تلعب دورًا فى زواجه من الملكة الصقلية على الرغم من أنه متزوج، وذلك لدوافع اقتصادية. أضف إلى ذلك المنح والاقطاعات الكنسية التى وهبت للكنائس والأديرة.

أما الفصل الخامس فبعنوان: "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الأول". وقد تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية من حيث النشاط الزراعى، والصناعى، والتجارى، ثم الأوضاع الاجتماعية من حيث: التركيبة السكانية، وطبقات المجتمع، والأعياد الدينية، والمسكن، والملبس، والمأكل، وكذلك العلاقات الصليبية الإسلامية، والمسلمين تحت الحكم الصليبى.

وأخيرًا، وضعت الباحثة خاتمة لبحثها تعرضت فيها لأهم القضايا والنقاط التى تم تحليلها، وأهم النتائج التى تم التوصل إليها، مع الإشارة إلى القضايا والنقاط المحورية التى تناولتها الباحثة بالمناقشة على مدى فصول الدراسة.

أحمد الله عز وجل الذى أعاننى على إنجاز هذا العمل، وأتوجه بشكرى وعظيم تقديرى إلى الأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد الأستاذ المتفرغ بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى توجهاته السديدة التى أفادت الدراسة.

كما أتوجه بعظيم تقديرى إلى الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض أستاذ العصور الوسطى بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس، على كل ما قدمه للباحثة من نصائح وأفكار وإرشادات أثرت الدراسة كثيرًا، ولم يبخل على الباحثة بوقته وجهده، وأمدنى بالعديد من المصادر والمراجع التى أفادت هذه الدراسة كما لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأب منصور مستريح بدير الآباء الفرنسيسكان الذى عاوننى كثيرًا على ترجمة النصوص اللاتينية التى وردت فى ثنايا الدراسة.

وأخيرًا، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسى، وأسأل الله تعالى أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع.

* * *



التعريف بالمصادر


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

يتناول هذا العرض التعريف بمصادر تاريخ الملك الصليبى بلدوين الأول Baldwin I (1100 ـ 1118 م / 494 ـ 512 هـ)، ويتعرض للوثائق والمصادر اللاتينية والعربية، بالإضافة إلى كتب الحوليات أو الرحلات.

أما فيما يتعلق بأهم الوثائق والسجلات التى أفادت موضوع الدراسة، فيأتى فى مقدمتها: وثائق وعقود وامتيازات الأرض المقدسة الخاصة بدير السيدة مريم فى وادى جوسفات (وادى جهنم أو وادى السيدة مريم)[1]، التى عمل على نشرها هنرى ديلابورد Delaborde.

وتجدر الإشارة، إلى أن دير القديسة مريم فى وادى جوسفات كان يعد من أكبر الأديرة فى الأراضى المقدسة، وقد حصل على كثير من المنح والإقطاعات داخل المملكة الصليبية، وتناولت عقود دير القديسة مريم معلومات مهمة عن نشاطات المستوطنين الصليبيين، وبخاصة فى المستوطنات الدينية ودورهم فى إصلاح الأراضى الزراعية وشق القنوات إليها من أجل رى المحاصيل الزراعية.

---

(1) Delaborde H.F, Chartes de Terre-Sainte provement de L' Abbaye de Notre-Dame de Josphat, Paris 1880.

يقع وادى جوسفات شرق بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقًا، وجبل صهيون غربًا، وخلال العصور الوسطى أطلق عليه المؤرخون أسماء متعددة مثل: وادى جهنم، أو وادى مريم، أو وادى النار، أو وادى سلوان. وقد وردت الإشارة إلى ذلك الوادى لدى مؤلفات العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة خلال عهد السيادة الصليبية فى فلسطين وحتى بعد ذلك. محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية 1099 ـ 1187 ميلادية، ط. القاهرة 1992 م، ص65.

كذلك هناك وثائق سجل كنيسة القيامة فى بيت المقدس[1]، وتجدر الإشارة إلى أن سجل كنيسة القيامة فى بيت المقدس وجد اهتمامًا من قبل عدد من الباحثين الغربيين، ففى سنة 1849 م، قام أوجين دو روزير Eugene de Roziere[2] بنشره دون أن يحققه. كذلك نشر السجل فى الجزء 155 من مؤلفات آباء الكنيسة اللاتينية (Patrologio latino) وقام مينى (Migine) على نشره، وإمعانًا فى الدقة اعتمدت الباحثة بشكل رئيس على آخر ما نشر للباحثة جنفييف برسك بواتيه (Genevieve Bresc Bautier) فى عام 1984 م التى أبدت دقة واضحة، وتنظيمًا شديدًا فى إتمام تحقيق الوثائق.

وترجع أهمية وثائق كنيسة القيامة بالنسبة للبحث أنها قدمت صورة كاملة عن حجم المنح والممتلكات التى حازت عليها كنيسة القيامة فى حدود مملكة بيت المقدس فى عهد جودفرى، وما أكده من بعد الملك بلدوين الأول.

وفى ختام الحديث عن أهم الوثائق والسجلات التى أفادت موضوع الدراسة، نجد ما ورد فى كتاب أعمال ملوك بيت المقدس (Regesta Regni Hierosolymitana) الذى وضعه رينالد روهرشت (Rohricht) الألمانى[3] وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يعتبر من المؤلفات الحديثة، إلا أن مادته تتصف بالأصالة، حيث تم استخلاص ونقل محتواه من مصادر أصلية أشارت إلى المنح والإقطاعات التى حصلت عليها الكنائس والأديرة فى الأراضى المقدسة.

وتسهيلاً للاطلاع صنف روهرشت مؤلفه بتجميع وثائق كل سنة فى مجموعة

(1) Le Cartulaire du Chapitre de Saint-Sepulcare du Jerusalem, Public par Genevive, Bresc Bautier, Paris 1984.

(2) Cartulaire de l' eglise du Saint sepulcre de Jerusalem, Publie d' apres Les Manuscrits deVatican par M. Eugene de Roziere, Paris 1849, Migne cartulaire ... dans patrologic latine, Tomus 155. cols 1105 – 1262.

(3) Rohricht, R. Regesta Hierosolimitani, Innsbruck 1893.

واحدة، وحرص على ضبط تاريخها مشيرًا إلى الوثائق والمصادر التى استقى منها المعلومات. وتكمن أهمية هذا السجل فى المنح والإقطاعات التى سجلت عن عهد الملك بلدوين الأول.

وكذلك أفادت الدراسة من المصادر الصليبية المعاصرة، وفى مقدمتها كتاب: "أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس" (Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium) لفوشيه الشارترى[1]، وقد اعتمدتُ على الترجمة الإنجليزية للكتاب، وهى بعنوان :

A History Of The Expedition To Jerusalem. وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن مؤلفه فوشيه عاصر أحداث الحملة الصليبية الأولى واستيطان الصليبيين فى بلاد الشام والأراضى المقدسة، وكان شاهد عيان لقسم من الأحداث التى دونها فى كتابه.

يضاف إلى ذلك أنه استقى بعض المعلومات الأخرى من شهود العيان، وكذلك من الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبى[2] ، وعلى هذا يعد كتابه من المصادر الدقيقة والمهمة لدراسة العقود الزمنية الثلاثة الأولى من عمر الكيان الصليبى فى الأراضى المقدسة؛ فقد أمدنا بمعلومات فى غاية الأهمية عن

---

(1) ولد فوشيه بمدينة شارتر الفرنسية فى الفترة الواقعة بين سنتى 1058 ـ 1059م / 450 ـ 451 هـ ، واشترك فى الحملة الفرنجية الأولى فى شهر أكتوبر ذو القعدة 1096 م / 489 هـ ، وكان مرافقًا لبلدوين الأول، وأقام معه فى الرها حيث كان يحكمها نحو عامين، ثم أنتقل معه إلى بيت المقدس، وبقى ملازمًا له حتى وفاته عام 1118 م / 511 هـ ثم أن فوشيه مكث فى بيت المقدس حتى عام 1127 م / 521 هـ.

Fulcher of chartres, A History Of The Expedition to Jerusalem, trans by Frances Rita Ryan, with an introduction by Harold, S. Fink, Konuville U.S.A 1969;

السيد الباز العرينى، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1962 م، ص37 ـ 44، جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، ط. الإسكندرية 1963 م، ص6 ـ 8.

(2) جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين، ص8.

عمليات التهجير التى اتبعها الصليبيون بحق سكان مدن: بيت المقدس، والرملة، ويافا، وأرسوف، وقيسارية، وعكا، وغيرها.. ولجوء معظمهم نحو المدن الداخلية فى بلاد الشام والجنوب والديار المصرية.

وكذلك أفاد هذا الكتاب موضوع الدراسة فى تتبع فعاليات حركة الجهاد الإسلامية بشن الغارات على حدود الإمارات الصليبية الجديدة، وما نتج عن ذلك من قتل أعداد لا يستهان بها من الصليبيين.

وكما أفاد فى تأثر الصليبيين خلال حقبة زمنية قصيرة بعادات وتقاليد الشرقيين، الاجتماعية، وذلك باختلاطهم بالسكان الأصليين وزواجهم من المسيحيات الشرقيات أو اهتمامهم بحراثة الأرض وزراعة الأشجار المثمرة، وفى مقدمتها كروم العنب والزيتون، ويبدو أن هذا التأثير السريع قد أثار استغرابه حيت قال: إن أولئك الذين كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين، ومن كان روميًا أو فرنجيًا قد تحول فى هذه البلاد إلى جليلى أو فلسطينى.....[1]. ومع ذلك، أغفل فوشيه كثيرًا من الأحداث المهمة، منها عدم الإشارة من قريب أو بعيد إلى التاريخ الذى بدأ فيه رجال الدين بتأسيس مستوطنة البيرة، كما أن فوشيه كان قد أغفل المنح التى قدمها جودفرى البويونى لرجال الدين، ولعل ذلك يعود إلى أنه فى تلك الفترة كان فى إمارة الرها بصحبة بلدوين الأول.

على العموم، فإنه لاغنى للباحثين فى تاريخ الحروب الصليبية عن كتاب فوشيه الشارترى، نظرًا لما يحتويه هذا الكتاب من معلومات مهمة عن أحوال الصليبيين وظروفهم الاقتصادية فى السنوات الأولى ومحاولاتهم فى توطيد نفوذهم السياسى والعسكرى فى هذه المنطقة.

(1) Fulcher of charters, PP. 270 – 272.

ويلى كتاب فوشيه فى الأهمية ما ألفه ألبرت دى أكس[1] Albert d' Aix تحت عنوان: تاريخ بيت المقدس Historia Hierosolymitani، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى احتوائه على مادة تاريخية عن الحملة الصليبية الأولى، وتأسيس مملكة جديدة فى المدينة المقدسة، على الرغم من أن المؤلف كان قد وضع كتابه بناءً على ما سمعه ممن اشترك فى الحملة الأولى ثم عاد إلى فرنسا بعد أن تحقق نجاح الصليبيين فى الاستيلاء على المدينة المقدسة، فضلاً عما استقاه من المصادر المعروفة وبعض المراسلات.

ومن هذه الجوانب استمرار الصليبيين فى غزو البلدان الإسلامية المجاورة، وملاحقة أفراد المقاومة بهدف تأمين حدود الكيان الفرنجى ومصادرة الأراضى وتشجيع الحركة الاستيطانية، ومن الأمور الأخرى التى أفادت الباحثة إشاراته إلى عزم الأمير جودفرى ومن بعده الملك بلدوين الأول على توسيع الرقعة الاستيطانية من خلال وضع خطة محكمة ومدروسة لمهاجمة المدن الساحلية بهدف الاستيلاء عليها وبسط النفوذ الصليبى فيها.

كما أشار إلى اتخاذ الصليبيين لمدينة عكا قاعدة عسكرية للانطلاق منها نحو المدن الأخرى التى لم يكونوا قد استولوا عليها، يمكن القول أن كتاب "تاريخ بيت المقدس" لألبرت أكس من المصادر النادرة التى أوضحت الخلافات الداخلية بين قادة الحملة فى السنة الأولى من استيلائهم على الأرض المقدسة.

كما أفادت الدراسة من كتاب "تاريخ الأعمال" التى تمت فيها وراء البحار (Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum) لوليم الصورى

(1) ينتمى ألبرت إلى مدينة أكس لاشبيل Aix la Chapelle أو آخن Aachen الألمانية، وكان هذا المؤلف كاهنًا وأمنيًا لكنيسة أكس، ولم تمدنا المصادر الغربية المتوافرة أو المراجع الحديثة معلومات أخرى عن اسمه الكامل أو عن أسرته، كما أن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، عن ذلك انظر السيد الباز العرينى، مؤرخو الحروب الصليبية، ص86 ـ 98، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص10، 11.

William of tyre [1] فى إلقاء الضوء على الاستيلاء على الساحل الشامى، وتوضيح أثر القلاع والحصون الصليبية فى تدعيم حركة الاستيطان الصليبى فى المنطقة بعد طرد وتهجير أصحابها المسلمين منها.

وهكذا فإن رؤية وليم الصورى للقلاع الجنوبية لم تكن رؤية منفصلة، بل إنها شمولية، وفى نفس الوقت أدرك منها نتائج إقامتها على الواقع الأمنى الصليبى فى مواجهة النفوذ المصرى فى المنطقة ومطامع الصليبيين التوسعية هناك.

ثم يأتى بعد ذلك، النوع الثانى من الكتابات اللاتينية فى هذا المجال، ويتمثل فى مؤلفات الرحالة الأوروبيين، ولعل من أهمها رحلة سايولف الذى زار المنطقة فى عام 1102 ـ 1103 م / 495 ـ 496 هـ[2]. وتمثل رحلة سايولف هذه أهمية خاصة بين

(1) ولد وليم الصورى فى بيت المقدس سنة 1130م / 524هـ وهو ينتمى لأسرة فرنسية شاركت فى الحملة الصليبية الأولى، وقد عاش هذا المؤرخ فترة شبابه فى الشرق الإسلامى، وأتقن اللغة العربية واليونانية واللاتينية والفرنسية، وتنقل وهو فى مقتبل العمر بين مدن باريس وشارتر لتلقى العلم. ثم توجه إلى إيطاليا وعاد إلى الأراضى المقدسة بعد عشرين عامًا. وعمل وليم الصورى فى خدمة الملك عمورى الأول (Emerlicl) 1162 ـ 1174 م / 557 ـ 570 هـ وعمل مربيًا لابنه بلدوين الرابع المجزوم فى الوقت الذى أخذ فيه يترقى فى المناصب حتى أصبح مستشارًا للمملكة الصليبية ورئيسًا لأساقفة صور عام 1174 م / 570 هـ، كما تم تكليفه بمهام رسمية وسفارات مهمة. ومن المرجح أن وليم الصورى مات عام 1184 م / 580 هـ انظر:

- Krey "William of tyre the making of an Histoiran in the middle ages, in "S.", Vol XVI 1947, PP. 149 – 166; Crowford, "William of tyre and Maronites, "S." Vol XXX 1999, P. 222 – 228;

ـ عمر كمال توفيق، المؤرخ وليم الصورى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م (21)، 1967 م، ص 181 ـ 200.

وقد رجعت الباحثة إلى الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب:

- William of tyre, A History Of Deeds Done Beyond The Sea, trans. By Babcock and Krey, New York 1948.

(2) من خلال الرحلة تبين أنه من إنجلترا، وأن سايولف مجرد لقب أطلق عليه، أما كونه من رجال الكنيسة أو من العلمانيين، فهذه ناحية ليس من اليسير التأكد منها، ولكن بصفة عامة تغلب عليه العاطفة الدينية بصورة واضحة. انظر محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية 1099 ـ 1187 م، ط. القاهرة 1992 م، ص42.

رحلات مجموعة الحجاج إلى فلسطين، نظرًا لأنها تمت خلال السنوات الأولى من تاريخ الاستقرار الصليبى.

وتكمن أهميتها بصفة خاصة فى أن صاحبها انفرد بالإشارة إلى أساليب المقاومة التى كان يتبعها أفراد المقاومة الإسلامية ضد القوات الصليبية من خلال نصب الكمائن، واتخاذ المناطق الجبلية الوعرة، والكهوف كمواضع مهمة لمراقبة تحركات المسافرين الصليبيين، وتحين الفرص المناسبة لمهاجمتهم، وإيقاع خسائر بشرية جسيمة بين صفوفهم.

وقد كشفت أساليب هذه المقاومة لدى الباحثة عن عدم استقرار الأوضاع الأمنية فى الأراضى المقدسة فى السنوات الأولى من السيطرة الصليبية. ولكن من الثغرات التى وجدت فى كتاب رحلة سايولف أنه كان متحاملاً على المسلمين، ويتضح ذلك من خلال سرده لمعلومات تاريخية غير دقيقة يتهم فيها أهالى الأراضى المقدسة بتدمير كل شىء فى محاولة منه أن ينأى بهذه الصفة عن الصليبيين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم بحق سكان هذه المنطقة وممتلكاتها.

ويعد كتاب رحلة "الحاج الراهب دانيال الروسى فى الأراضى المقدسة"[1] (Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land) من المصادر ذات الأهمية الكبيرة بالنسبة لموضوع الدراسة، حيث تناولت بعض الجوانب السياسية والحضارية خلال بداية الاستيطان الصليبى فى الأراضى المقدسة، إذ كان تاريخ القيام بهذه الرحلة قد تحدد فى الفترة الواقعة بين عامى 1106 ـ 1107 م / 500 ـ 501 هـ.

---

(1) لقد قدم مع العديد من الروس لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية منذ أن اعتنق الأمير فلاديمير الأول VladimirI (980 ـ 1012 م) المسيحية وفرضها على شعبه، ومن المحتمل أنه قدم من مقاطعة تكرينكوف tchernigov الروسية. ويفترض البعض أنه دانيال الذى عمل أسقفًا لمنطقة سوريف Suriev فى عام 1115 م والذى توفى 1112 م. انظر محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس، ص76، رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة 1106 ـ 1107 م، ت سعيد البيشاوى وداود إسماعيل، ط. عمان 1992 م، ص23.

وتكمن أهمية الرحلة كذلك فى أن صاحبها تعرض إلى مسألة الأمن فى هذه المنطقة، وتحدث عن استمرار المقاومة الإسلامية فيها، حتى إنه لم يتمكن من مواصلة رحلته إلى البحر الميت، كما أنه عاد وسط مجموعة مسلحة إلى بيت المقدس، وقد كشف هذا الأمر عن جانب من الواقع العسكرى والسياسى لكل من الصليبيين الغزاة والأهالى من المسلمين الخاضعين.

وأمدتنا الرحلة بمعلومات عديدة أفادت موضوع الدراسة فى الجوانب الحضارية، ومن ذلك عرضه لأنواع المحاصيل الزراعية التى كانت تشتهر بها الأراضى المقدسة، وبخاصة زراعة: الأشجار المثمرة، والخضراوات، والحبوب، والقمح.

وتعرض دانيال أيضًا بإسهاب إلى الآبار والينابيع التى اشتهرت بها فلسطين، كما أشار إلى اهتمام سكان بعض المدن، ومنها الخليل المشهورة بتربية قطاعات: الماعز، والأغنام، والماشية، ثم قدم معلومات عن أهم الصناعات التى كانت سائدة فى الأراضى المقدسة فى أثناء زيارته لها، كصناعة استخراج زيت الزيتون والنبيذ، ورغم أن المادة التى أتى بها دانيال وفيرة، إلا أنها كانت مختصرة فى كثير من الأحيان، كما أنه أغفل الإشارة إلى دور سكان البلاد الأصليين فى تسيير الحياة الاقتصادية زراعيًا وصناعيًا.

أما عن رحلة بنيامين التطيلى[1] فتتمثل أهميتها فى تناولها لليهود فى بلاد الشام فى القرن الثانى عشر والمجالات التى عملوا بها مثل الصباغة.

---

(1) هو الربى بنيامين التطيلى ووالده يدعى يونا Jonah وقد ارتحل إلى الشرق من مدينة طليطلة Tudela وتجول فى العديد من الـمناطق سواء فى أوروبا وآسيا وإفريقيا، وعاد أدراجه إلى أسبانيا عام 1173 م، ويقال إنه خلال ما يقرب من الخمسة عشر عامًا زار مئات المواقع فى كافة أنحاء العالم القديم. انظر ت عزرار حداد، ط. بغداد 1945 م، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 2004 م، ص39.

أما عن المصادر السريانية، فقد كان من أهمها تاريخ الرهاوى المجهول ت 1234م[1]، ويظهر من خلال اسمه أهميته فى التأريخ لإمارة الرها.

أما عن المصادر العربية، فأهمها ابن القلانسى[2] (555 هـ / 1160 م) فى كتابه ذيل تاريخ دمشق، فهو من الكتب المهمة التى عالجت بلاد الشام بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة، حيث تناول المؤرخ فى كتاباته الغزو الصليبى للساحل والاستيلاء على بعض المدن، كما تتبع حركة الجهاد الإسلامى.

ثم يلى هذا الكتاب فى الأهمية، ما ألفه ابن الأثير[3] (ت630 هـ / 1232 م) فى كتابه الكامل فى التاريخ، وقد تميز تاريخ ابن الأثير أنه تاريخ عام للأحداث التاريخية، مع التركيز على ما كان يدور فى بلاد الشام من أحداث أثناء الحرب الصليبية الأولى، فقد ذكر الاستيلاء على عكا ومذبحتها البشعة، وذكر كذلك حملات الرملة الثلاث وجهود شرف الدين مودود فى محاولة بعث فكرة الجهاد الإسلامى.

ويعد هذا الكتاب من أكبر المصادر التاريخية العربية وأكثرها تنظيمًا وأهمية، إذ اعتمد هذا المؤرخ فى كتاباته على الكثير من المصادر الإسلامية المتخصصة والكتابات المدونة فى البلاد المختلفة.

---

(1) وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية، ت. مارغريغوريوس صليبا شمعون، ط. دمشق 1996 م.

(2) ابن القلانسى الدمشقى: ولد عام 1079 م / 472 هـ، اهتم بدراسة العلوم الدينية والآداب، وأمضى معظم حياته فى ديوان الإنشاء بمدينة دمشق وأصبح رئيسًا للديوان، وكان دقيقًا وموضوعيًا فى كل ما تطرق إليه من كتابات، ولعل منصبه هذا جعله أكثر قربًا من الأحداث ومكنته من الاطلاع على الوثائق والمراسيم. انظر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ط. الإسكندرية 1981 م، ص110، دائرة المعارف الإسلامية، ابن القلانسى، ج1، ص375.

(3) ولد ابن الأثير بالجزيرة فى اليوم الرابع من جمادى الأولى عام 555 هـ / الثانى عشر من مايو 1160 م، وانتقل مع والده إلى الموصل، وكان إمامًا فى حفظ الحديث وحافظًا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، كما كان خبيرًا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم. انظر مقدمة كتاب "التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل"، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة 1963 م، المقدمة.

ثم تلى ذلك مؤلف ابن العديم[1] (ت660 هـ / 1261 م) فى كتابيه زبدة الحلب من تاريخ حلب، وبغية الطلب فى تاريخ حلب، وأهمية كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب أنه يؤرخ لمدينة حلب، وترجع أهميته أيضًا فى إظهار دور شرف الدين مودود وحركة الجهاد الإسلامى التى امتدت حتى وفاته 1113 م / 507 هـ.

من المصادر المهمة للدراسة كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ[2] (ت584 / 1188 م)، وترجع أهميته إلى أنه أعطانا معلومات مهمة عن الجوانب الاجتماعية.

أما عن كتب الرحالة والجغرافيون المسلمون، فقد كان من أهمها الإدريسى[3]

(1) ابن العديم؛ هو أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد هبة الله، ولد سنة 588 هـ / 1192 م، وتوفى سنة 660 هـ / 1262 م وهو من أسرة ثرية، نشأ وتعلم فى حلب على يد والده ولفيف من العلماء رافق أباه فى بعض رحلاته إلى دمشق والقدس والعراق والحجاز، وكان منذ شبابه جليس الأمراء والعلماء عمل بالتدريس فترة طويلة من حياته، وعندما وصل المغول إلى مدينة حلب عام 657 هـ رحل إلى مصر وعاد إلى بلده بعد هزيمة المغول فى عين جالوت عام 658 هـ فوجدها مدمرة فآثر العودة إلى مصر ومات على أرضها بعد سنتين، انظر مقدمة كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ج1، ط. بيروت 1954 م، م13 ـ م73.

(2) هو مؤيد الدولة أسامة بن منقذ بن على الشيزرى، ولد فى الرابع من يوليو 1095 م / السابع والعشرين من جمادى الآخرة 488 هـ وهو من كبار رجال بنى منقذ أصحاب قلعة شيرز القريبة من مدينة حمص السورية، أقام حينًا فى دمشق وأحيانًا فى القاهرة، وكان له علاقات شخصية مع بعض قادة الصليبيين فى أوقات السلم، وعندما استولى صلاح الدين على دمشق استدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين من عمره انظر مقدمة كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت 1981 م، ص أ- ك، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمين، ط. جدة ب.ت، ص251، حجازى عبد المنعم، إمارة شيزر فى عصر بنى منقذ 474 ـ 552 هـ / 1074 ـ 1157 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية 2002.

(3) هو محمد بن محمد الشريف الأدريسى، ولد فى مدينة سبتة المغربية سنة 493 هـ / 1100 م، ودرس فى جامعة قرطبة، ثم طاف فى الأندلس وشمالى إفريقية وآسيا الصغرى، ويقال أيضًا إنه زار فرنسا وانجلترا، ثم لبى دعوة الملك روجار Roger الثانى فنزل فى بلاطه بصقلية حيث كان التأثر بالمدينة الإسلامية لا يزال عظيمًا. انظر: زكى محمد حسن، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1945 م، ص64، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ص161، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام، ط. القاهرة 1995، ص17.

(ت ق6 هـ / 12 م) فى كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق)، وقد أفادنا فى إلقاء الضوء على النشاط الاقتصادى فى المملكة.

أما فيما يتعلق بمصادر الرحالة[1] (ت614 هـ / 1217 م)، فكانت رحلة ابن جبير تمثل أهمية كبيرة فى إلقاء الضوء على الأوضاع الاقتصادية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، فقد أفاد هذا المصدر الباحثة فى توضيح أهمية الحصون الصليبية التى أظهرت لنا أن حصن تبنين من الحصون التى شيدها الصليبيون لاستخدامها كمنطقة تمكيس للقوافل الإسلامية، كما أفادنا فى معرفة أوضاع المسلمين الاقتصادية التابعين للصليبيين.

أما بالنسبة لكتب المعاجم الجغرافية مثل معجم البلدان لياقوت الحموى[2] (ت 626 هـ / 1229هـ) فقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات عن طبيعة المدن الشامية، وأهم مصادر الإنتاج الاقتصادى لتلك المدن، وكذلك أبو الفداء[3] (ت732 هـ / 1332 م) فى كتابه تقويم البلدان.

(1) ولد ابن جبير فى مدينة بلنسية الأندلسية 540 هـ / 1145 م، ودون كتابه حوالى 583 هـ / 1187 م وفى 614 هـ / أول سبتمبر (أيلول) 1217 م عن ذلك. انظر : زكى محمد حسن، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص70، السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص 220،221، دائرة المعارف الإسلامية، ابن جبير، ج1، ص237.

(2) ولد ياقوت الحموى بين سنتى (1178 ـ 1179 م) / 574 ـ 575 هـ) فى بلاد الروم وكان قد أسر وهو صغير، ثم اشتراه أحد تجار بغداد وعلمه لكى يعتمد عليه فى تجارته وتنقل ياقوت بين العديد من الأمصار المختلفة واعتمد فى كتابه على الكثير من الكتب الجغرافية والتاريخية، وكان أمينًا فى نقله عن الجغرافيين والمؤرخين وتوفى فى سنة (1228 م / 626 هـ). انظر زكى محمد حسن، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص102 ـ 105، عمر رضا كحالة معجم المؤلفين، جـ13، ط. بيروت 1957 م، ص 178،179، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص 177،178، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص 73،74.

(3) ولد أبو الفداء بدمشق (سنة 672 هـ / 1273 م) حيث استقر أهله بعد فرارهم من وجه المغول، وكان جده أميرًا على حلب، وقد استعادت أسرته مجدها فى عصر الناصر محمد بن قلاوون الذى عين أبو الفدا حاكمًا (سنة 710 هـ / 1312 م)، ثم صار ملكًا (سنة 712 هـ / 1312 م)، وانتهى الأمر بتنصيبه سلطانا لمملكة حماة، ولقب بالملك المؤيد (سنة 720 هـ / 1320 م). انظر أحمد رمضان، المرجع السابق، ص197.

أما عن أهم المراجع الحديثة، التى تم الاعتماد عليها، ما ألفه الدكتور سعيد البيشاوى بعنوان: (الممتلكات الكنسية) ط. الإسكندرية عام 1990 م الذى يعد واحدًا من الدراسات العربية الفريدة التى تناولت موضوع النظام الإقطاعى الصليبى، ثم ما ألفه الدكتور حاتم الطحاوى ط. القاهرة عام 1999 م بعنوان: "الاقتصاد الصليبى فى بلاد الشام"، كذلك ما ألفه وترجمه الدكتور حسن عبد الوهاب فى كتابه مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية ط. الإسكندرية عام 1997 م.

وبالنسبة للمراجع الأجنبية الحديثة، فقد كان من أهمها كتاب لامونت La Monte وقد صدر فى عامى 1932، وأعيدت طباعتها 1970، بعنوان: الملكية الإقطاعية فى بيت المقدس اللاتينية 1100 ـ 1291 م Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem، ثم كتاب براور Prawer، وقد صدر عام 1980م بعنوان: المؤسسات الصليبية Crusader instituations، وكذلك كتاب بنفستى Benvenist، وقد صدر عام 1970م تحت عنوان: الصليبيين فى الأرض المقدسة The crusaders in the Holy Land، وأيضًا كتاب هاملتون Hamilton، وقد صدر عام 1980م تحت عنوان: The Latin Church In The Crusades. ومن المراجع الأخرى التى أثرت موضوع الدراسة كتاب Conder بعنوان: The Latin kingdom of Jerusalem، بالإضافة إلى العديد من المراجع والدوريات العربية والأجنبية التى ساعدت الباحثة فى سد الكثير من الثغرات فى موضوع الدراسة.

ذلك عرض عن أهم المصادر والمراجع التى أفادت منها الدراسة.

تمهيـــــد

قامت الحركة الصليبية من الغرب الأوربى فى أخريات القرن 11م (5 هـ) من خلال دوافع متعددة: سياسية، واقتصادية، واجتمـاعية، فرفعت الـحركة شعار الصليب، وأعلنت عن رغبتها فى تحرير الأماكن المقدسة من أيدى المسلمين، فكانت دعوة البابا أوربان الثانى عام 1095 م (489 هـ) فى مجمع كليرمونت بداية هذه الحركة.

ويتناول هذا التمهيد بإيجاز الفترة السابقة على تتويج الملك بلدوين الأول من حيث كونه أميرًا للرها، ثم مراحل وصوله إلى بيت المقدس بعد وفاة أخيه جودفرى البوايونى Godfrey de Bouillon لتتويجه ملكًا على المملكة الصليبية الوليدة فى بلاد الشام.

حقق الأمير بلدوين البولونى، الذى قاد الصليبيين إلى الشرق باتجاه الرها، تقدمًا كبيرًا.. فاستولى على كثير من المواقع والقلاع فى شمالى الجزيرة الفراتية، بمساعدة الأرمن الذين أرادوا الخلاص من حكم الأتراك المسلمين، فنجح فى الاستيلاء على تل باشر[1]، والراوندان.

ولما بلغت هذه الأخبار حاكم الرها الأرمينى توروس Thoros، أرسل إلى قائد

(1) حسن حبشى، الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة 1947م، ص45.

الصليبيين بلدوين عام 1098 م (492 هـ) بدعوة للحضور إلى الرها، وكان هذا الحاكم رجلاً مسنًا، وليس له من يرأسه فى الإمارة على الرها، وخشى أن تضيع الرها من أيدى المسيحيين، وتقع فى أيدى السلاجقة، وخاصة صاحب الموصل الأمير كربوغا [1]، لذلك أسرع بلدوين إلى الرها، ودخلها وسط استقبال أهلها وحاكمها ورجال الدين الأرمن[2].

وكان بلدوين البولونى يطمع فى أن يحول إمارة الرها الأرمينية إلى إمارة لاتينية، فى حين كان حاكم الرها الأرمنى، يطمح فى أن يكون قائدًا للجيش الصليبى، ويكون الصليبيون جنودًا مرتزقة تحت إمرته، واستطاع بلدوين أن يقنع ثوروس Thoros حاكم الرها بتبنيه، فأقام حفلاً أعلن فيه تبنيه لبلدوين ومشاركته فى حكم إمارة الرها[3].

وما لبث أن استطاع هذا الفارس تحريك الأهالى وزعماء الأرمن ضد ثوروس للقيام بثورة ضده، ووجه المتآمرون ضربتهم يوم الأحد 7 مارس 1098 م (1 ربيع ثان 491 هـ)[4]، فخرجوا يحرضون السكان للقيام بالثورة ومهاجمة أماكن رجال ثوروس، ومن ثم الزحف إلى حصن الأمير فى القلعة التى تخلت عنها العساكر[5].

وعندما تبين لثوروس أنه أسير الحصن، قرر يوم الثلاثاء 9 مارس 1098 م (3 ربيع ثان 491 هـ) الهروب من إحدى النوافذ، غير أن السكان ألقوا القبض عليه وقتلوه[6]، وفى صبيحة يوم الأربعاء 10 مارس 1098 م (4ربيع الثانى 491 هـ) تلقى

---

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ط. القاهرة 1996 م، ص143.
(2) خاشع المعاضيدى وآخرون، الوطن العربى والغزو الصليبى، ط. بغداد 1981 م، ص36.
(3) حسن حبشى، الحرب الصليبية الأولى، ص45.
(4) محمود الرويضى ومحمد سالم الطراونة، "دور الأرمن فى تأسيس إمارتى الرها وأنطاكية الصليبيتين (490-491 هـ/ 1097 - 1098 م) "، حوليات آداب عين شمس يوليو - سبتمبر 2002 م، ص194.
(5) تاريخ الرهاوى المجهول، ت الأب البير أبونا، ج2، بغداد 1986 م، ص75 ، 76.
(6) تاريخ الرهاوى المجهول، ص76.

بلدوين دعوة من سكان الرها ليتولى مقاليد الحكم فيها[1]. وهكذا استطاع بلدوين البولونى أن يؤسس أول إمارة صليبية أرمينية تكون ذات طابع فرنسى[2] من خلال التآمر على حاكمها الأصلى.

وعندما توفى جودفرى دى بويون فى 18 يوليو 1100 م (494 هـ)[3]. تم إرسال أسقف الرملة ومعه اثنين من الفرسان لـمقابلة بلدوين ولمطالبته بالحضور على وجه السرعة، لاستخلاص حقوقه وتولى السلطة بوصفه الوريث الشرعى لدولة الصليبيين فى بيت المقدس.

ولـم يشأ بلدوين أن يضيع الفرصة التى توافرت لديه بالفوز بحكم بيت المقدس الذى وافاه القدر بها، فغادر الرها نحو المدينة المقدسة فى 2 أكتوبر سنة 1100(494هـ) بعد أن عهد بشئونها إلى قريبه بلدوين دى بورج Baldwin de Bourg[4]، وترك له قوة كبيرة من الفرسان والمشاة للدفاع عن الإمارة إذا هددها الخطر[5].

(1) Mattieu d'Edessa,Chronique in R. H. C, Hist. Doc Arm, T. I, 1869, P. 38.

(2) كلود كاهن، الشرق والغرب زمـن الـحروب الصليبية، ت أحـمد الشيخ، ط. القاهرة 1995 م، ص99.

(3) اختلف المؤرخون فى طريقة وفاة جود فرى، فمنهم من يرى أنه مات بسهم أصابه فى حصاره لعكا، ويرى البعض أنه مات مسمومًا على أثر تناوله فاكهة قدمها له حاكم قيسارية المسلم، ويرى فريق ثالث أنه مات ميتة طبيعية.

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت 1908 م، ص138، علية الجنزورى، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، ط. القاهرة 1999 م، ص278، حسن عبد الوهاب، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، ط. الإسكندرية 1990 م، ص88 هامش 57.

- Fink (H) "The Foundation of the Latin States 1099-1118", in setton, A History of the Crusader, Vol. I, London 1969, P. 379.

(4) تاريخ الرهاوى المجهول، ص82.

(5) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص224.

واتجه بلدوين إلى أنطاكية فاستقبله أهلها، وقضى بها ثلاثة أيام[1]. ثم غادرها فى 15 أكتوبر متبعًا طريق الساحل، فمر باللاذقية حيث التقى بالمندوب البابوى موريس دى بورتو Maurico de porto الذى كان قد وصل إلى بلاد الشام منذ عهد قريب.

والواقع أن بلدوين واجه بعد أن غادر اللاذقية بعض الأخطار من جانب سلاجقة دمشق، الذين حاولوا قطع الطريق عليه، ولكنه مر بسلام حتى وصل إلى مدينة طرابلس فى 21 أكتوبر بعد أن بلغ هو ورجاله درجة كبيرة من الإعياء.

وفى طرابلس، أكرمه أميرها العربى أبو على بن عمار، وأمده ورجاله بما كانوا فى حاجة ماسة إليه من ميرة وغذاء، وتعهد بأن يحيطه علمًا بتحركات عدوهما المشترك دقاق[2]، أتابك دمشق السلجوقى، فقد كان العداء الشديد قد استحكم عندئذٍ بين سلاجقة دمشق من ناحية وبنى عمار فى طرابلس من ناحية أخرى، الأمر الذى دفع حكام طرابلس إلى السعى لمحالفة القوى الصليبية المجاورة للوقوف فى وجه سلاجقة دمشق.

(1) حضر الملك بلدوين الأول فى ركب مهيب إلى أنطاكية، حيث هرع جميع الجند وحرس المدينة لتحيته، واقترحوا عليه أن يتملكها ويتولاها إذا ما شاء، فمكث هناك ثلاثة أيام مكرمًا، فأعرب عن حزنه الشديد لفقدانهم بوهمند، لكنه رفض بتاتا تولى المدينة بدلاً منه.

- Albert d'Aix, Historia Hierolymitana, in R. H. C, Tom 4, Paris 1879, P. 526.

(2) ولى فخر الملك طرابلس بعد وفاة أخيه جلال الملك أبى الحسن على بن محمد سنة 1098 م (492 هـ) كان من أعيان الملوك وكان عزيز المروءة، عالى الهمة، وفى أيامه ملك صنجيل الفرنجى جبيل، وأقام على طريق طرابلس، وعمل حصنًا يقابلها، وأقام مرصدًا لها، فخرج فخر الملك ومعه ثلاثمائة فارس فأحرق ربضه، ودامت الحرب بين فخر الملك والفرنج خمس سنين. ولمزيد من التفاصيل انظر ابن الفوطى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج4ـ ق3، دمشق 1965 م، ص264، 265.

ومهما يكن من أمر، فإن بلدوين استطاع أن ينجو من شباك دقاق[1] بفضل مساعدة ابن عمار، وكان دقاق قد خرج بصحبته جناح الدولة حسين أمير حمص العربى، لاصطياد بلدوين عند مصب نهر الكلب فى مكان ضيق بين الجبال والبحر ولكن المعركة ـ وفق المصادر الصليبية انتهت بهزيمة الدماشقة ونجاة بلدوين الذى غنم قدرًا لا بأس به من الغنائم والأسلحة والخيول، وهكذا استأنف بلدوين طريقه إلى بيت المقدس، بعد أن أثرت هزيمة الدماشقة فى أمراء الموانى الفاطمية على الساحل، مثل: بيروت، وصيدا، وصور، وعكا ـ فقدَّموا لبلدوين ما احتاج إليه من زاد وميرة.

ويفهم من ذلك، أن المنازعات بين المسلمين وانقسامهم على أنفسهم أدت إلى نوع من الضعف إلى حد أن أمراء الموانى الفواطم يزوِّدون بلدوين بالميرة والذخيرة.

وأخيرًا، نجح بلدوين فى الوصول إلى حيفا، وهى أول مدخل للصليبيين فى فلسطين، فحصل بلدوين على مالزمه من زاد، ثم اتجه إلى يافا، أكبر ثغر للصليبيين عندئذٍ فى فلسطين، ومن يافا اتجه بلدوين إلى بيت المقدس حتى إذا ما اقترب منها فى حوالى 10 نوفمبر سنة 1100 م (494 هـ) خرج المسيحيون من أهل المدينة – على

---

(1) ولى إمرة دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وكان بحلب فراسله خادم لأبيه اسمه ساوتكين كان نائبًا لأبيه فى قلعة دمشق سرًا من أخيه رضوان بن تتش صاحب حلب فخرج دقاق إلى دمشق، وحصل بها وأجلسه ساوتكين فى منصب أبيه ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأبى بكر زوج أم الملك دقاق على ساوتكين فقتل، وأقام دقاق بدمشق، وقدم أخوه رضوان فحاصرها، فلم يصل منها إلى مقصود، فرجع إلى حلب، ثم عرض لدقاق عارض تطاول به، وتوفى منه فى الثانى عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة، فغلب طغتكين حينئذٍ على دمشق، وقيل إن دقاق مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروى، جـ17، ط. بيروت 1995 م، ص304، الصفدى، أمراء دمشق فى الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق 1955 م، ص32.

- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, trans. By Babcock and Krey, Vol. I, New York 1943, P. 407.

اختلاف طوائفهم - لاستقباله بوصفه أخًا لجودفرى ووريثه، بل لقد نادوا جميعًا به داخل المدينة المقدسة ذاتها ملكًا وسيدًا عليهم[1].

وقام بلدوين بعد ذلك بما أسماه البعض نزهة حربية فى المناطق الغربية، أى حول عسقلان والخليل وبيت لحم، ذلك أنه خرج فى 25 نوفمبر على رأس مائة وخمسين فارسًا وخمسمائة من المشاه، فهاجم العربان الذين دأبوا على تهديد طريق الحجاج إلى بيت المقدس، كما أغار على بعض المراكز قرب البحر الميت، وأخيرًا عاد إلى بيت المقدس فى 21 ديسمبر سنة 1100[2].

ومن ذلك تم التتويج فى يوم عيد الميلاد فى ديسمبر سنة 1100 م فى كنيسة العذراء ببيت لحم، ووضع دايمبرت التاج على رأس بلدوين ليكون أول ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية[3].

ذلك عرض تمهيدى عن أوضاع الصليبيين فيما قبل وصول بلدوين إلى حكم الصليبيين.

* * *

(1) أناكومنينا، الكسياد، ت: حسن حبشى، ط. القاهرة 2004 م، ص44.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص226، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية،ط. الإسكندرية 1958 م ص73.

Z. N. Brooke, A History of Europe from 911-1198, Vol. II, London 1938, P. 316; Frantz Funck Brentane, Les Croisades, Paris 1934, P. 95; Par E. Du Bois, Les Croisades, Paris 1860, P. 82.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص226.

▪ الفصل الأول

سياسة بلدوين الأول تجاه الساحل الشامى وحملته على مصر



يتناول هذا الفصل بالدراسة، سياسة بلدوين الأول تـجاه الساحل الشامى، ويتضمن عدة عناصر فى صورة : إخضاع أرسوف وقيسارية 1101 م، وحصار عكا 1103 م، ثم الاستيلاء عليها 1104 م، وكذلك ضم طرابلس 1109 م، والسيطرة على بيروت 1110 م، وأخيرًا الاستيلاء على صيدا 1111 م.

ويتطلب الأمر قبل التعرض لإخضاع بلدوين الأول Baldwin I أغلب الساحل الشامى، التعرض للدافع السياسى تجاه ذلك النطاق الجغرافى، فيلاحظ أن إخضاع الساحل مثَّل أهمية استراتيجية كبيرة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ المملكة الصليبية، حيث مثَّلت جزيرة وسط محيط إسلامى معادٍ، فالساحل الشامى كان بمثابة الرئة التى تتنفس منها المملكة الصليبية من الغرب الأوروبى.

ومن الأهمية بمكان تقديم عرض جغرافى عام عن بلاد الشام ومنطقة الساحل فيها، والتى شكلت ميدانًا للصراع بين الصليبيين والمسلمين فى عهد بلدوين الأول.

وتعد بلاد الشام ذات مساحة كبيرة، يحدها من الغرب البحر المتوسط (بحر الروم)، ومن جهة الشرق البادية التى تبدأ من مدينة أيلة عند البحر الأحمر حتى العراق، ثم تمتد من نهر الفرات باتجاه الشمال حتى تصل إلى الحدود التركية السورية عند منطقة الإسكندرونة.

أما الحدود الجنوبية، فإنها تتقابل مع مصر عند منطقة رفح، حيث الحد الفاصل بينهما، وعلى ذلك تم تقسيم منطقة بلاد الشام إلى أجناد، وهى: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند حمص، وجند دمشق، وجند قنسرين، والعواصم، والثغور[1].

---

(1) الإصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، ط. القاهرة 1961 م، ص43.

أما المنطقة الساحلية الشامية فهى عبارة عن شريط يقع شرق البحر المتوسط، وقد امتد من ساحل شبه جزيرة سيناء حتى خليج الإسكندرونة، ومن خلفه وجد سهل ويتسع هذا السهل الساحلى فى الشمال والجنوب، فيبلغ اتساعه عند مدينة عسقلان عشرين ميلاً، ويضيق عند جبل لبنان، ثم يحدث انقطاع لهذا الامتداد الساحلى عند مصب نهر الكلب[1].

ويرجع تكوين الساحل الشامى الطبيعى إلى ارتفاع قاع البحر فى العصر الجيولوجى المعروف بالعصر الثالث Tertiary. وفى عصور جيولوجية تابعة غطى الطمى الذى ينجرف من سفوح الجبال طبقات الطباشير Chalk فى الساحل، وكثبان الرمل الأحمر بالقرب من شاطئ بيروت التى تغطى المنطقة الساحلية هى من موج البحر المتوسط، ومصدرها من مصب النيل الذى يجرف معه الرمال من مصر العليا والسودان، هذا الساحل اللبنانى الذى يتألف من: شواطئ ضيقة، ومن مناطق كانت يومًا قاعًا للبحر، وساحل خصيب، ويزيد من خصوبته أن أرضه تتجدد بسبب ما يصبه من الطمى المنجرف من أعالى الجبال والينابيع التى تظهر عند سفوح الجبال، وهى منطقة تصلح للزراعة[2].

وقد تميزت منطقة الساحل الشامى بأنها منطقة سهلية، حيث امتدت تلك السهول مع امتداد الساحل الشامى من الشمال إلى الجنوب، ويختلف اتساعها من مكان إلى آخر، فبينما يبلغ اتساع الساحل ما يقرب من 20 كيلو مترا بالقرب من مدينة اللاذقية فى الشمال، نجد أنه يضيق فى بعض الأماكن، بحيث لا يزيد عرض رقعته فيها عن 2 كيلومتر، بل تنعدم السعة فى بعض الجهات حيث تشرف الجبال على الساحل، كما هو الحال بالقرب من طرابلس فى الشمال ورأس الناقورة فى

(1) أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1977 م، ص15.

(2) فيليب حتى، لبنان فى التاريخ، ت. أنيس فريحة، ط. بيروت 1959 م، ص14.

الجنوب، وتكثر النتوءات الطبيعية والصخور الضاربة فى البحر فى هذا السهل، مما يسر منذ القدم نشأة العديد من الموانئ مثل: عكا، صيدا، وصور، وبيروت، وطرابلس. وتنحدر من أعالى سلسلة جبال لبنان بعض المجارى المائية التى تمده بالمياه اللازمة للرى والزراعة[1].

أما ما يتعلق بمدن الساحل الشامى، فسيتم ذكرها من الشمال إلى الجنوب، والتى تتمتع بموانئ طبيعية أو صناعية، تبدأ من الحدود الشمالية للساحل الشامى حيث توجد أول مدينة ساحلية، وهى مدينة السويدية (سان سيمون) St. Simeon، فهى تعد الميناء الطبيعى لمدينة أنطاكية Antioch الحبيسة فى الظهير الشامى، حيث ينتهى عندها نهر العاصى[2] وتعد مدينة السويدية بمثابة حلقة الوصل بين بلاد الشام وآسيا الصغرى[3].

ولا نغفل أن التجارة عبر موانئ ذلك الساحل كانت تشكل أهمية كبيرة للصليبيين، فكان الساحل بمثابة نهاية خطوط التجارة من شرق ووسط آسيا إلى أوروبا، وهكذا مثَّل إخضاعه أهمية كبرى للكيان الصليبى.

وضع بلدوين الأول عند تتويجه ملكًا على بيت المقدس خطة استهدفت محاولة ضم المدن الساحلية الشامية، لكى تكون خط اتصال بين الغرب الأوروبى والمملكة الصليبية الوليدة، فالغرب مثَّل العمق الاستراتيجى لمملكة بيت المقدس عن طريق إمدادها بالحجاج والجنود وتنشيط التجارة، وعلى هذا الأساس قام بلدوين الأول

(1) يسرى الجوهرى، جغرافية البحر المتوسط، ط. الإسكندرية 1984 م، ص215، أحمد عبد الله أحمد، التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين 12، 13 م/ 6، 7 هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2006 م، ص16.

(2) الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت 1980 م، ص331، أحمد عبد الله، المرجع السابق، ص19.

(3) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 3، ط. بيروت 1979 م، ص286.

بالاستيلاء على أرسوف Arsuf[1]، وقد كان أخوه جودفرى Godfery قد حاول الاستيلاء عليها، ولكنه فشل لافتقاره إلى المساعدة البحرية، ولذلك ظلت أرسوف تابعة للدولة الفاطمية[2].

بيد أن مثل هذا الهدف الاستراتيجى الصليبى كان يتطلب مساعدة المدن البحرية الإيطالية مثل: جنوة، والبندقية، وبيزا[3]. التى رأت فى ذلك فرصة سانحة لتحويل تجارة الشرق، لتكون فى قبضتها أكثر من أى وقت مضى وكان أسطول بيزى قد أبحر مع مطلع فصل الربيع، ووصل إلى ميناء يافا Jaffa فى مارس 1101 م (494 هـ)، وهناك رست سفن البيازنة فى يافا Jaffa واستقبلهم الملك بلدوين الأول Baldwin I بالترحاب، ثم اتجه الجميع مع بلدوين إلى بيت المقدس حيث رغب البيازنة ـ ومن معهم ـ فى الاحتفال بالسبت المقدس، فاتجهوا جميعًا إلى الضريح المقدس يحملون الشموع والمشاعل احتفالاً بهذا اليوم[4].

(1) أرسوف: مدينة وقعت على ساحل فلسطين بين قيسارية Caesarea ويافا Joppa، وبعدت مسافة عشرة أميال إلى الشمال من يافا، وكانت المسافة بينها وبين قيسارية نحو ثمانية عشر ميلاً، ومن المحتمل أن اسم أرسوف Arsuf مشتق من اسم الإله السامى رسيف Reseph وسميت أرسوف فى المصادر الجغرافية الأوروبية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى بعدة أشكال، فهى أحيانًا: Atsuph، أو أزوتس Azotus، أو أرسور Arsur أو تارسوف Tarsuf، للمزيد من التفاصيل انظر محمد مؤنس أحمد عوض، فى الصراع الإسلامى ـ الصليبى (معركة أرسوف 1191 م/ 587 هـ) ط. القاهرة 1997 م، ص7، 8.

(2) محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 1999 ـ 2000 م، ص97.

(3) عن دور البندقية وجنوة وبيزا انظر شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ت أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة 1948 م، ص27 ـ 35، عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب (علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة من 1100 ـ 1400 م)، ط. القاهرة 1983 م، ص20، سامى سلطان سعد، أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1958 م، أرشيبالدر لويس، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ت أحمد محمد عيسى، ط. القاهرة. 1960 م.

(4) Albert d` Aix, PP. 542 – 543.

وعاد البيازنة إلى يافا ثانية بعد انتهاء الأعياد، كما اتجه الملك بلدوين مع كل قواته إليها، وهناك طلب الاجتماع بكبار قادة أسطول بيزا وجنوا، وعقد معهم اتفاقًا بمقتضاه يساعد البيازنة والجنوية الملك فى إخضاع المدن والقلاع، وفى المقابل يكون لهم ثلث قيمة: الغنائم، والأسلاب، والأموال، والمنقولات. فضلاً عن ملكية أحد الشوارع الرئيسية فى سوق المدينة التى سوف يشتركون فى احتلالها، وبعد هذه الاتفاقية عبأ الملك قواته من المشاة، والفرسان من المدن الخاضعة له، وكانت يافا Joppa إحداها، حيث اختصها من قبل جودفرى دى بويون، وكذلك إقطاعية بيسان[1].

واتجه لحصار أرسوف Arsuf برًا عام 1101 (494 هـ)، وعلى الفور فرض اللاتين حصارهم حول أرسوف Arsuf من البحر والبر وضيقوا عليها الخناق، وعلى الرغم من استبسال حاميتها الفاطمية فى الدفاع عنها، فسرعان ما دب اليأس فى نفوس أفرادها لعدم وصول النجدات الفاطمية من مصر[2]، فشدد الصليبيون بقيادة بلدوين ومن معه الحصار، ونصبوا السلالم على الأسوار، واقتحموا الأبراج، فسارع السكان بالاختباء، وهنا راسلوا بلدوين للاستسلام نظير الأمان، فوافق

(1) أسامة سيد على أحمد، الظهير الشامى ودوره فى الصراع الإسلامى الصليبى فى القرن السادس الهجرى ـ الثانى عشر الميلادى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1996 م، ص206، أسامة محمد نعيرات، إقطاعية بيسان ودورها فى الصراع الإسلامى الفرنجى، ط. عكا 2002 م، ص128.

(2) عندما كانت أرسوف تابعة للدولة الفاطمية فإن أهلها أرسلوا سفارة عاجلة إلى الوزير الأفضل لطلب المعونة، وعندئذٍ اكتفى الأفضل بأن بعث إليهم قوة صغيرة من ثلثمائة جندى ولم تلبث هذه القوة الفاطمية أن وقعت فى كمين نصبه الصليبيون فى مارس سنة 1100 م، مما جعل أهل أرسوف يؤمنون بعدم جدوى الحماية الفاطمية فدخلوا فى تبعية الصليبيين. لمزيد من التفاصيل انظر: سعيد عاشور، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م16، القاهرة 1969 م، ص25 ، 26.

وسمح لهم بمغادرتها إلى عسقلان فى سنة 1101 م (494 هـ)[1]، وبالتالى تمكن الصليبيون من السيطرة على إحدى المدن الساحلية الشامية التى ستؤدى إلى نجاحهم فى إسقاط غيرها من المدن المجاورة خاصةً قيسارية.

وعقب سقوط أرسوف Arsuf، اتجه الصليبيون والجنوية لحصار قيسارية Caesarea برًا وبحرًا[2]، قام الأسطول الجنوى بحصارها من البحر لمنع وصول أية نجدات إليها من الأسطول الفاطمى. هذا بينما اتجه الملك الصليبى لحصارها من ناحية البر. وكان بدء حصارها فى 2مايو 1101 م (أول رجب 494 هـ). وقد أدرك الصليبيون مدى المعاناة التى ستواجههم بسبب مناعة أسوار تلك المدينة[3]، وعند اشتداد الهجوم كان رجال الحامية الفاطمية وسكان هذه المدينة يهرعون للاحتماء بأسوارها[4].

واستمر حصار المدينة حتى 17 مايو (1 رجب إلى 16 رجب)[5]، وخلال هذه الفترة جرت المفاوضات بين أهل المدينة والصليبيين، فقد أرسل حاكمها مبعوثين يعرضان على الملك والجنوية مبلغًا كبيرًا من المال نظير فك الحصار، ولكن الملك بلدوين رفض هذا العرض، وأيده الجنويون، ففشلت المفاوضات بين الجانبين، وأصر الصليبيون على ضرورة استسلامها، وشددوا هجماتهم عليها.

---

(1) الذهبى، العبر فى خبر من عبر، تحقيق فؤاد سيد، ج3، الكويت 1961 م، ص338، وانظر أيضًا تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. بيروت 1994 م، ص 37، وأيضا دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، ط.بيروت 1999 م، ص430، عز الدين محمد بن أبى الهيجاء، تاريخ ابن أبى الهيجاء، تحقيق صبحى عبد المنعم، ط. القاهرة 1993 م، ص153،

- William of tyre, Vol.I, P. 434; Jonathan Riley – Smith, The crusades A Short History, London 1987,P. 41.

(2) Caffaro, Annali Genovesidi di Caffaro, Roma, 1890, P. 117.

(3) انظر ناصر خسرو، سفرنامه، ت. يحيى الخشاب، ط. القاهرة 1945 م، ص18، 19.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص139.

(5) حسن عبد الوهاب، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، ص70.

وأخيرًا، عقدوا مجلسًا للتشاور، وتقرر على أثره مهاجمة المدينة فى فجر يوم الجمعة 17 مايو 1101 م (16 رجب 494 هـ)[1]. وبعد سقوطها ارتكب الصليبيون بها مذبحة بشعة بعد حصار دام خمسة عشر يومًا، فأعملوا القتل فى أهلها من المسلمين[2] ولم يتركوا سوى عدد قليل من الرجال.

أما الغالبية العظمى من النساء فقد نجون من القتل ليواجهن حياة العبودية، والرق، والمذلة[3].. وأجبروا بعضهن على العمل فى الطواحين اليدوية، والباقيات منهن تم بيعهن لمن يدفع أكثر. كما بيع الرجال من أهالى قيسارية فى أسواق الرقيق أيضًا، ثم جمعوا جثث قتلى المسلمين وأشعلوا بها النيران، مما يدل على خوف الصليبيين من انتشار الأمراض فى صفوفهم، وأبقوا على حياة قاضى قيسارية بهدف الحصول على فدية.

ولما كانت تلك المدينة ميناء بحريًا تجارياً فقد وجدت بها كميات كبيرة من التوابل، كان نصيب كل فرد من الجنوية الذين شاركوا فى غزو تلك المدينة المنكوبة

---

(1) "تقرر زحف الصليبيين إلى قيسارية، التى استولى عليها بعد صعوبات جمة فقتل السكان، ووزع أسلابًا كثيرة بين رجاله، وكان فى واحد من أجزاء المدينة مسجدا لله، إليه هرب الناس للأمان، ولكنهم اقتحموه، وأعقب ذلك مذبحة هائلة للذين كانوا فى داخله، وكانت مذبحة مرعبة، ووجدوا فى ذلك المسجد وعاء لونه أخضر على شكل صحن، وقد أخذه الجنويون، وقدموه بمثابة هدية ثمينة لكنيستهم، وجرى استدعاء أمير المدينة وقاضيها إلى حضرة الملك، ووضعوهم فى أغلال الحديد، لاستخراج أكبر فدية ممكنة منهما، ثم عين الملك رجلاً اسمه بلدوين ليكون رئيس أساقفة للمدينة، وكان بلدوين هذا ممن قدموا مع الدوق جودفرى".

روجرأوف ونيدوفر، ورود التاريخ، تحقيق سهيل زكار، الموسوعة الشامية، العدد 44، دمشق 2000 م، ص1110، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 1995 م، ص35.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص139، اليافعى، مرأة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، ج3، ط. بيروت 1997 م، ص119، المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمى محمد، ج3، ط. القاهرة 1996 م، ص26، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، القاهرة 1991 م، ص655.

(3) محمد فتحى الشاعر، أحوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. القاهرة 1989 م، ص70.

حوالى مائتى رطل من التوابل، علمًا بأن عدد الجنوية كان حوالى ثمانية آلاف، مما يدل على غنى هذه المدينة، بالإضافة إلى أهميتها كمركز تجارى.

ولا شك أن التزام الملك بلدوين الأول بتنفيذ اتفاقاته مع الجنويين حيال قيسارية شجعهم على الاستمرار فى التعامل معه، هذا إذا أضفنا أن نصيب الجنوية كان الثلث، وأن الثلثين كان من نصيب ملك بيت المقدس[1].

بعد الانتهاء من الاستيلاء على أرسوف وقيسارية توجه الملك الصليبى بلدوين الأول للاستيلاء على عكا Acre[2] درة الساحل الشامى، وكانت متصلة بطريق تجارى مزدهر مع دمشق وهى قاعدة مهمة من القواعد الساحلية التابعة للدولة الفاطمية، وكان وجودها فى أيدى الفاطميين يشكل خطرًا كبيرًا على الوجود الصليبى فى بلاد الشام، إذا فكرت هذه القاعدة فى قطع الشريان الساحلى الذى يربط الصليبيين بالغرب الأوروبى، فحاصرها فى أبريل 1103 (رجب 496 هـ) وضيق عليها الخناق، وكاد يسقطها، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج[3]، فاستنجد حاكمها بالأفضل الفاطمى فى مصر، وعلى الفور استجاب الأفضل للنداء ووصلت النجدات إلى عكا من مناطق عدة، إذ إن الفاطميين بعد تجربتهم مع الصليبيين فى بيت المقدس من قبل ثم أرسوف وقيسارية لم يكن فى إمكانهم السماح

(1) ذكر هايد، أن الغنائم كانت هائلة فى قيسارية، حيث نال الجندى العادى من النقود 48 فلسًا، ورطلين من الفلفل، وقد أسهمت هذه النتائج الباهرة فى تقوية روح المغامرة لدى أهالى جنوا واتجاههم إلى سوريا ومدنها الثرية، هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ت محمد رضا، ط. القاهرة 1985 م، ج1، ص151،

Smail R, The Crusaders in Syria and the Holy land, Southampton, 1973, P. 58.

(2) William of tyre, Vol. I, P. 453, Stevenson, The Crusaders in the East, Beirut 1968, P. 46.

تقع عكا على خط عرض 55َ 35ْ شمالاً، وعلى خط طول 04َ 35ْ شرقًا أقيمت على موقع يساعد على الدفاع عنها بسهولة وقوعها بين رأس الناقورة وجبل الكرمل، وتلال الجليل ومستنقعات النعامين، كما كانت ميناء لحوران والجليل وغيرها من البلاد المجاورة مصطفى مراد الدباغ، بلاد فلسطين، ج5، ق2، كفرقرع 1991 م، ص188.

(3) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ط3 بيروت 1998 م، ص72.

للصليبيين بإسقاط عكا فى يسر وسهولة، فهاجم المسلمون أعداءهم، ودمروا منجنيقاتهم، وأبراجهم، وأحرقوا سفنهم أيضًا، وتراجع بلدوين منسحبًا لعدم وجود قوة بحرية تسانده فى ذلك، ولا ريب فى أن تلك المحاولة الفاشلة جعلته يستعد على نحو أكثر تنظيمًا للمرة الثانية خاصةً أن معلومات توافرت لديه عن المدينة، كذلك تكونت لديه خبرة حربية بالتعامل معها.

وقد عاد بلدوين أدراجه إلى بيت المقدس منتظرًا الفرصة المواتية للانقضاض على عكا Acre وغيرها من مدن الساحل بمساعدة القوى البحرية التى من قبل ساعدته، ولشد ما كانت فرصته عظيمة يوم أن علم بوصول الكثير من السفن الإيطالية إلى ميناء اللاذقيـة فى شهر مارس 1104 م (جـماد ثان 497 هـ)، وهى غاصة بالجنود، والحجاج، والتجار الذين قدموا إلى الشرق بعد أن سمعوا عن الثروة التى حققها إخوانهم الجنوية، الذين استقروا هناك من قبل[1]. ويلاحظ أن ذلك الأسطول نفسه قد استعان به ريموند الصنجيلى Raymond of st. Gilles فى حصار طرابلس إلا أنه لم يتمكن من إسقاطها.

مهما يكن من أمر، فقد استعان بلدوين الأول بالأساطيل الجنوية والبيزية، وتم توقيع اتفاق عام 1101 م (494 هـ) بعد أن أقسم الطرفان على احترامه[2]، وبمجرد ظهور الأسطول البيزى، ضرب بقيادة القنصل الدبراند مسكوتنى حصاره على المدينة فى نيف وتسعين مركبًا، يقاسمه فى ذلك الأسطول الجنوى، وبذلك طوقت المدينة بحصارين: برى وبحرى، وبدأت الهجمات المكثفة عليها التى استمرت عشرين يومًا[3]، مما عكس استبسال أهلها فى الدفاع عنها وحرص الصليبيين على إسقاطها بأى ثمن.

(1) Caffaro, Annali Genovesi, P.128.
(2) William of tyre, Vol. I, P. 454.
(3) حنان عبد الحميد محمد عبد الهادى، دور بيزة فى العلاقات الصليبية الإسلامية فى مصر والشام حتى نهاية الدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1996 م، ص167.

ولقد ظل الصليبيون والبيازنة يقذفون المدينة بالمنجنيقات التى نصبوها بالقرب من أسوارها، فأرهقوا سكانها من المسلمين الذين لم تعد لديهم القدرة على المقاومة[1]، وبعد أن حاصروها أعملوا فيها القتال[2] إلى أن عجز واليها زهر الدولة الجيوشى[3] عن المقاومة، فأرسل يلتمس الأمان من بلدوين الأول بعد أن يأس من وصول نجدة أو معونة من الفواطم. وبالفعل أعطى الصليبيون الأمان لأهل عكا، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يأخذ بلدوين المدينة فى مقابل أن يسمح لأهلها بالخروج منها[4]، وذلك يوم السادس والعشرين من مايو 1104 م (496 هـ)[5]، ولكن الصليبيين نكسوا عهدهم مع أهل عكا، وفتكوا بأهلها[6]، فكتبوا بالتالى صفحة جديدة من تاريخهم الدموى وغدرهم فى الشرق.

ويقرر المؤرخ "ألبرت دى أكس" صراحة بعد أن تم الاتفاق على خروج أهل المدينة وتركها، أخذ الملك وجيشه جانبًا، وخرج زعيم المدينة "زهر الدولة" الجيوشى وبقية سكانها آمنين مع نسائهم وأطفالهم وكل أمتعتهم وممتلكاتهم، ولكن البيازنة والجنوية حين رأوهم محملين بتلك الأمتعة والممتلكات أعمت عيونهم الرغبة فى الحصول على الغنائم، فتجاهلوا العهد الذى كان الملك قد أعطاه لأهل عكا، فاندفعوا إلى مدخل المدينة، وقتلوا السكان[7]، وحصلوا على ما معهم من ذهب وفضة مما عكس جشع الصليبيين، وأن لعابهم سال أمام ثروات الشرق.

(1) Albert d' Aix, P. 606.

(2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص72.

(3) كان يعرف باسم بنا، ويعرف بزهر الدولة الجيوشى، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، وكان بنا بعد أخذه الأمان قد ذهب فأقام بها، ثم عاد إلى مصر واعتذر للأفضل الذى قبل عذره، وعن ذلك انظر ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص144.

(4) Albert d' Aix, P. 607.

(5) Reńe Grousset, L'Epopée des Croisades، Paris, 1939, P. 68.

(6) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص72، سبط بن الجوزى، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ج8، ق1، ط. حيدر آباد الدكن، الهند 1951 م، ص9.

(7) Albert d' Aix, P.607.

ويعلق على ذلك "ألبرت دى أكس" بأن أهلها والذين كانوا مع الملك رأوا الجنوية مندفعين ناحية المدينة، وشاهدوهم يقتلون أهلها ويسلبونهم ممتلكاتهم، ثم يقومون بإشعال حريق هائل قضى على حوالى أربعة آلاف من السكان[1].

أما الملك بلدوين فقد أحس بالخزى الشديد للجشع الذى ظهر به البيازنة ومعهم الجنوية، مخالفين بذلك العهد بالأمان الذى أعطاه الملك لأهل المدينة، فقرر الملك الانتقام منهم لهذه الجريمة[2]،ولكن تدخل البطريرك[3] وطلب العفو عنهم من الملك، وأصلح الشقاق بين الطرفين ثم عاد الوئام بينهما[4] إذ إن بلدوين الأول لم يكن على استعداد لأن يخسر الجنوية من أجل المسلمين، إذ أن عدو الطرفين واحد، وإن اختلفت وسيلة التعامل معه.

وبمجرد سقوط المدينة فى عام 1104 م (498 هـ)[5] سارع بلدوين إلى تنفيذ شروط الاتفاق السابق عقده مع الجنوية على الرغم من الموقف السابق، فحصلوا على جزء من المدينة قريب من البحر بما فيه حقل زراعى، كما حصلوا على مبلغ

(1) Ibid, P.607.

(2) Ibid, P.607.

(3) من الجلى البين هنا أن هذا البطريرك الذى لم يذكر اسمه ألبرت دى أكس، إلا أنه ليس دايمبرت، ذلك أن الأخير كان فى ذلك الوقت مع صديقه الحميم بوهمند، وتصادف خروجه معه فى حملته على حران فى مايو 1104 م/ شعبان 496 هـ أى فى نفس تاريخ حصار عكا، كما أن دايمبرت فى ذلك الوقت لم يعد بطريركًا، بل كان البطريرك على مملكة بيت المقدس فى حينها هو أفريما أف شوكس، عن مساهمة دايمبرت مع بوهمند فى موقعة حران انظر:

William of tyre, Vol. I, P. 456;

حنان عبد الحميد، دور بيزة العلاقات الصليبية، ص169.

Albert d' Aix, P. 607 - 608.) 4(

(5) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص143، ميشيل بالدور، الحملات الصليبية والشرق اللاتينى، ت: بشير السباعى، ط. القاهرة 2003 م، ص117.

ستمائة بيزنط[1] سنويًا من إيراد عكا، بالإضافة إلى الثلث الممنوح لهم خارجها، وفيه عينوا نائبًا عن القائد الجنوى (هيو امبرباكو) بحكم هذا الجزء باسم الجنوية. كذلك حصلوا على ثلث الغنائم وشارع وكنيسة[2]، مما دعم ممتلكاتهم السابقة فى كل من مدينتى أرسوف Arsof وقيسارية Caesarea[3].

وبسقوط عكا حرم الأسطول الفاطمى من أهم قواعده بالساحل الشامى، وصارت للصليبيين السيادة على أغلب شواطئ فلسطين، ولا شك فى أن خسارة المسلمين كانت فادحة بضياع عكا ويتضح ذلك فيما أظهره المؤرخون المسلمون من أسف عميق لعجز الفاطميين عن حماية موانئ الشام التى أخذت تتساقط واحدة بعد الأخرى حسب أهميتها الاستراتيجية فى أيدى الصليبيين، وعن ذلك يقول "أبو المحاسن" عن الخليفة الأمر الفاطمى: إنه كان يتقاعس عن الجهاد وكان فيه تهاون فى الغزو والجهاد حتى استولى الصليبيون على غالب السواحل وحصونها فى أيامه، ولم ينهض لقتال الصليبيين البتة، وإن كان أرسل مع الأسطول عسكر فهو كلا شىء[4].

---

(1) البيزنت: هى عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة (القسطنطينية) وكانت هذه العملة متداولة بكثرة فى العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى على وجه التقريب، وكانت البيزنط أحيانًا تعادل العملة الأرمينية المعروفة بالتاهجان Tahegane وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان، وكانت البيزنط تعرف بالهيبربرون Hyperperon وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية، وكانت البيزنط تعادل نحو ثلاثة ونصف جرام من الذهب وعلى الرغم من ذلك، فقد كان هناك اختلافات فى حجم الذهب، ويمكن أن يحدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها، عن ذلك انظر محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الإسكندرية 1985 م، هامش (1) ص64.

(2) مصطفى الكنانى، العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى، ج1، ط. الإسكندرية 1981 م، ص222.

(3) William of tyre, Vol. I, P. 455.

(4) المؤلف النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، ج5، ط. بيروت 1992 م، ص168.

ولا ريب، فى أن إخضاع الصليبيين لعكا شكَّل أهمية كبرى لهم، إذ صارت عدة مدن ساحلية فى قبضتهم، لأن ميناء عكا يمثل رأس الجسر الذى عبر من خلاله التجار الإيطاليين إلى أسواق مملكة بيت المقدس[1] فازداد نفوذ هؤلاء التجار، واتسع مجال نشاطهم، خاصة أن عكا لها شهرتها كمركز تجارى مهم، يضم السلع والبضائع القادمة من الشرق عبر دمشق ومنها تصدر إلى الغرب[2]. أضف إلى ذلك اتساع مساحة المملكة الصليبية على الساحل، على الجانب الآخر أثر سقوط عكا على الفواطم، فحرمهم من أهم قواعدهم البحرية هناك.

ويرى البعض أن الأفضل الفاطمى لم يتخل عن مواصلة الجهاد ضد الصليبيين، وإن كان يعاب عليه عدم الخروج بنفسه على رأس جيشه للقتال،إلا أنه من الممكن أن نجد له العذر فى ذلك لخوفه مما كان يسود تلك الفترة من مؤامرات وأطماع من أجل الوزارة فى مصر[3]، غير أن ذلك لا يعفى الأفضل من المسئولية تجاه تلك المدن الساحلية التى بعد إسقاطها سيشتد ساعد الصليبيين فى مواجهة المسلمين بدرجة فاقت ما كان من قبل.

ومن بعد ذلك، اتجه الصليبيون صوب بيروت Berytus ـ فى فبراير عام 1110 م (503 هـ)، نظرًا لأهميتها بالنسبة للصليبيين، حيث توجد الطرق الموصلة بين بيروت، والعمق حتى دمشق، والسيطرة على هذه الطرق أمر مهم لحماية الظهير الشامى[4].

---

(1) حاتم الطحاوى، " القانون البحرى لمملكة بيت المقدس الصليبية.. قراءة فى مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب، العدد. 58، جامعة القاهرة 1998 م، ص484.

(2) Runciman, A History of the crusaders, Vol II, Cambridge, 1978, P.88.

(3) محمد حمدى المناوى، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، ط. القاهرة 1997 م، ص225.

(4) أسامة سيد على، الساحل الشامى فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1992 م، ص86.

وبدأ الملك بلدوين فى فرض الحصار على مدينة بيروت[1] بمساعدة "برترام بن ريموند الصنجيلى" كونت طرابلس الذى كان حريصًا على بيروت دعمًا للوجود الصليبى الوليد فى طرابلس، فقدم على رأس كتيبة عسكرية كبيرة، كما قدم لمحاصرة بيروت "جوسلين كورتناى"[2] صاحب تل باشر[3]، بالإضافة إلى بعض القطع البحرية الخاصة بالبيازنة والجنوية.

ويتضح من ذلك أن الاهتمام بالاستيلاء على بيروت لم يكن هدف بلدوين الأول فقط، وإنما لصليبى شمال الشام ممثلاً فى كونت طرابلس، فالوجود الإسلامى فى بيروت كان بمثابة الصخرة التى تعرض اتصال الممتلكات الصليبية فى الشمال والجنوب للخطر، بالإضافة إلى مطامع المدن الإيطالية لتحقيق المزيد من الامتيازات فى تلك المدن الساحلية بعد استكمال الصليبيين استعداداتهم، وقد هاجموا منطقة الغرب فأحرقوها ونهبوا ما فيها وأسروا، ولم ينج من أهلها إلا من اختبأ[4].

ثم انحدرت القوات الصليبية إلى بيروت المدينة، وهناك كانت سفن بيزا ومملكة القدس قد قامت باحتجاز السفن الإسلامية الراسية فى مرفأ بيروت، وعملوا على قطع طريق الإمدادات القادم من مدينتى: صور وصيدا[5]، وبذلك حرموا المدينة

(1) Karen Armstrong, Holy way، New York, 1991, P. 191.

(2) جوسلين دى كورتناى أحد النبلاء الفرنسيين عرف بالحكمة والشجاعة، أسره المسلمون فى معركة عند حران عام 1104 م وبقى فى الأسر مدة خمس سنوات، حيث أطلق سراحه عام 1109 م لقاء فدية وعدد من الرهائن، للمزيد:

William of tyre, Vol. I, P. 449 – 454.

محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى، ط. بيروت 1986، ص27 ـ 29، سعيد السيد على فرغلى، آل كورتناى ودورهم فى الصراع الإسلامى الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1992 م، ص41.

(3) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص167 ـ 168، تل باشر قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمال حلب، وأهلها من نصارى أرمن، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج2، ص40.

(4) William of Tyre, Vol. I, P. 485.

(5) William of Tyre, Vol.I, p. 485..

من أى اتصال بالمدن الإسلامية المجاورة، وبما أن بيروت اشتهرت بأشجار الصنوبر[1]، فقد تمكن الصليبيون المحاصرين للمدينة من الإفادة من الأخشاب لإقامة سلالم التسلق وأبراج وعدد حربية ساعدت على إرهاق المدافعين عن المدينة.

فعندما نصب الصليبيون أحد الأبراج وكُسر بحجارة منجنيق المدافعين، شرع "برترام" فى عمل برج آخر[2]، واستمر الهجوم ليلاً ونهارًا بالتناوب بين المسيحيين لمدة شهرين[3]، مما عكس إصرار الغزاة على إسقاطها فى قبضتهم.

ولم تكد الأخبار تصل إلى الأفضل بزحف الصليبيين نحو بيروت وإحكام الحصار عليها برًا وبحرًا[4] حتى بادر بإرسال قسم من أسطوله لإنقاذها، والإسهام فى الدفاع عنها فجهز تسع عشرة سفينة حربية مزودة بالرجال والسلاح والمؤن[5]، استطاعت الوصول إلى بيروت حيث اشتبكت مع الأسطول الصليبى المحاصر لبيروت، واستطاعت أن تستولى على بعض القطع البحرية المعادية.

وأفرغت هذه السفن المؤن فى الميناء، فقويت نفوس أهل بيروت، واستطاع المحاصرون من أهلها تحطيم البرج الخشبى للقوات الصليبية، وذلك عن طريق قذفها بحجارة المناجيق، وقد وصلت السفن المصرية فى الوقت الذى شرع فيه الصليبيون فى إعداد برج آخر[6]. مما عكس أهمية قدومها فى ذلك التوقيت على نحو خاص.

---

(1) Ibid, P. 486.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص168.

(3) William of tyre, Vol. I, P. 486;

نزيه شحادة، "بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية (1097 ـ 1291 م/ 490 هـ ـ 690 هـ)"، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد 38، جامعة المنوفية 1999 م، ص417.

(4) ابن القلانسى، المصدر السابق، ص168.

(5) أحمد مختار العبادى، والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، ط. بيروت 1981 م، ص115.

(6) ابن القلانسى، المصدر السابق، ص168.

ومن ثم استنجد بلدوين بالجنوية الذين رسى أسطولهم شمالاً فى ميناء السويدية St. Simeon، فوصلت النجدات الجنوية إلى بيروت مكونة من أربعين سفينة مشحونة بالمقاتلين[1].

وعاود الصليبيين الزحف إلى بيروت مرة أخرى برًا وبحرًا، فنصبوا على سور المدينة برجين خشبيين، ثم اشتعلت المعركة[2] فقتل فى المعركة مقدم الأسطول الفاطمى، بالإضافة إلى عدد كبير من المسلمين. وعبثًا حاولت القوات البحرية الفاطمية إرسال نجدات إلى بيروت عن طريق البحر، ولكنها فشلت فاضطر أهل بيروت إلى التسليم فى سنة 1110 م (503 هـ)[3] بعد قتال ضارٍ.

ويلاحظ أن قوة برية أخرى تقدر بثلاثمائة فارس لنجدة بيروت أرسلها الفاطميون، ولكن أثناء سيرها فى بلاد الأردن، خرجت عليهم فرقة من الصليبيين استطاعت أن تشتت القوات المصرية إلى الجبال فهلك منهم جماعة[4].

وعلى الرغم من حصول الأهالى على وعد من بلدوين بالإبقاء على من يغادر

(1) أسامة سيد على، الساحل الشامى، ص78.

(2) يلاحظ أن خلالها تم استخدام المواد الملتهبة الممزوجة بالكبريت وبعض الأدهان التى تساعد على الاشتعال عن طريق أسطوانة نحاسية مستطيلة، كانت تشد فى مقدمة المركب فيقذف منها السائل فى شكل كرات مشتعلة تقع على السفينة فتحرقها، وكانت هذه النار تشتعل فى الماء والهواء، ولهذا سميت بالنار البحرية، انظر سعاد ماهر، البحرية الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة ب. ت، ص232.

(3) أحمد بن على الحريرى، الأعلام والتبين فى خروج الفرنج، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1985 م، ص 71، الدوادارى، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج6، القاهرة 1991 م، ص 456، العماد الأصفهانى محمد بن محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج11، دمشق 1995 م، ص5358، العظيمى، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق 1984 م، ص364، ابن واصل الحموى، التاريخ الصالحى، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج21، دمشق 1995 م، ص456، أبو المحاسن، مورد اللطافة من ولى السلطنه والخلافة، تحقيق نبيل محمد، ج1، ط. القاهرة 1997 م، ص86، صالح بن يحيى، كتاب تاريخ بيروت، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعى، ط. بيروت 1927 م، ص19.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص168.

المدينة بسلام، إلا أن أتباع "برترام" والبيازنة والجنوية قد أحدثوا مذبحة كبيرة فى الأهالى[1]، ولم ينج من مذبحة المدينة إلا الأرثوذكس واليعاقبة والموارنة الذين أسرعوا للالتحاق بجموع الصليبيين[2].

وبقى بلدوين الأول فى مدينة بيروت لمدة أسبوعين نظم خلالها شؤونها الداخلية بتقرير نظام الحكم فيها، بما يحقق المصالح الاستعمارية الصليبية العليا، وما يتعلق به من أعمال إدارية، كما عمل على إصلاح ما أفسده الحصار بإعادة ترميم أسوارها، وبناء برجين على أطرافها تدعيمًا لتحصيناتها[3] وكل ذلك بطبيعة الحال من أجل المصلحة الصليبية العليا على حساب المسلمين.

وتطلع بلدوين للسيطرة على مزيد من المدن الساحلية، كانت مدن: صور، وصيدا، وعسقلان لازالت فى أيدى المسلمين، وكانت مدينة عسقلان وصور من المدن شديدة التحصين، ويتطلب إسقاطها استعدادات خاصة[4] لم تكن متوفرة للصليبيين حتى هذه المرحلة، لذلك تطلع بلدوين إلى إسقاط مدينة صيدا Sidon. ويلاحظ أن سقوط صيدا مر بثلاث مراحل على مدى الأعوام 1106 م، 1108 م، 1111 م.

كانت المرحلة الأولى فى عام 1106 م (499 ـ 500 هـ)، وفيها انتهز بلدوين الأول فرصة قدوم جماعات من الحجاج والإنجليز والفلمنكيين والدانيين وغيرهم من الشماليين، إلا أن حاكم صيدا كسب ود بلدوين الأول بدفع مبلغ كبير من المال، فرفع الحصار عنها[5]. مما عكس، على الأرجح، أن صيدا Sidon فى ذلك الحين لم

(1) William of tyre, Vol. I, P. 481, Albert d' Aix, P. 672.

(2) موضى عبد الله السرحان، بيروت تحت الحكم الصليبى وعلاقتها بالمسلمين، ط. الرياض 2001 م، ص77.

(3) نفسه، ص78.

(4) محمود سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص43.

(5) Runciman, A History of the Crusades, Vol. I, P. 91.

تكن فى بؤرة اهتمام بلدوين الأول، ومن المتصور أنه أجَّل أمر الاستيلاء عليها فى مرحلة تالية.

أما المرحلة الثانية فكانت فى أغسطس عام 1108 م (محرم 502 هـ)، حدث أن قدم عدد كبير من السفن الإيطالية المختلفة من: جنوة، وبيزا، والبندقية، فوجدها بلدوين فرصة ذهبية، وعلى الفور شرع بمساعداتهم فى فرض الحصار حول مدينة صيدا من ناحية البحر[1].

وقد تمكن الصليبيون من إقامة أحد الأبراج الخشبية الكبيرة على سور المدينة بهدف الاستيلاء عليها، ولكن الأهالى استبسلوا فى الدفاع عنها، وتمكنوا من تحطيمه آخر الأمر[2]، وبجانب تصميم أهل صيدا فى الدفاع عن مدينتهم، لم ينس المسلمون فى الأقطار الإسلامية المجاورة مد يد العون لها[3]، فكان لكل من الدماشقة والمصريين دور فى هذا الصراع. ففى بداية الحصار الصليبى لصيدا استنجد أهلها بحاكم دمشق الأتابك طغتكين مقابل منحه ثلاثين ألف دينار، وعلى هذا، بدأ فى تجميع قوات غفيرة أخذت طريقها نحو المدينة المحاصرة، بينما أقلع من مصر أسطول كبير ضم خمسين مركبًا، ولكن هبت عاصفة بحرية شديدة منعت هذا الأسطول من التحرك.

ولما علم بلدوين الأول ملك القدس بأمر هذه الأعداد البحرية الكبيرة أصدر أوامره إلى أسطول المدن التجارية الإيطالية بالاستعداد، ومنع وصول أية مساعدات من قبل المسلمين إلى أهالى المدينة[4].

وعندما هدأت العاصفة تحرك الأسطول المصرى نحو صيدا، فاشتبك مع تلك

(1) Albert d' Aix, P. 652.

(2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص140.

(3) أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. الإسكندرية 1981 م، ص88.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص168.

السفن، وانتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين، وازداد موقف الصليبيين سوءًا عندما سمعوا بقرب وصول طغتكين على رأس جيش كبير بهدف إنقاذ المدينة، ووجد بلدوين أنه لا أمل له فى مواصلة الحصار، وعندما اطمأن حاكم صيدا إلى رحيل الصليبيين أمر بإغلاق أبواب المدينة وعدم السماح لقوات "طغتكين" بالدخول، كما رفض أن يدفع له المبلغ المتفق عليه بينهما، مما عكس تزايد الخلافات بين الجانبين.

وحيال هذا الموقف أصر الأتراك على عدم الرحيل من أمام أسوار المدينة، بل هددوا حاكمها باستدعاء الصليبيين إذا لم يحصلوا على كامل مستحقاتهم المالية.

ولما تأكد حاكم المدينة من صدق تهديداتهم، لم يشأ أن يجعل من ذلك الخلاف فرصة لعودة الصليبيين، فرضخ فى نهاية الأمر لمطالب "طغتكين"، ودفع له فقط ثلث المبلغ المتفق عليه. ووافق الأتراك وغادروا المكان متجهين نحو دمشق[1].

أما المرحلة الثالثة والحاسمة ففى عام 1111 م (505 هـ)، حيث أخذ ملك بيت المقدس يستعد لحصار مدينة صيدا بإمكانيات كبيرة، بعد أن توافرت لديه خبرة واسعة فى التعامل معها من خلال مرتين سابقتين، فكان شغل الملك الشاغل هو تجنيد أكبر عدد ممكن من الجند والمعدات الحربية للاشتراك فى عملية الحصار، وقد ساعدت الظروف فى ذلك الوقت الملك بلدوين فى ضمان نجاح الاستيلاء على المدينة، فقد وصل سيجورد Sigur ملك النرويج[2] على رأس أسطول بقصد الحج

(1) أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الإسلامى، ص89، 90.

(2) جوناثان ريلى سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ط2، القاهرة 1999م، ص 240. سيجورد هو أحد ملوك النرويج خلال الثلث الأول من القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، وسيجورد الأول Nagnusson ويسمى The crusades sigurd Jerusalem forer أى الصليبى واسمه بالنرويجية Sigurd torsaifore Jerusalem fare وهو ابن الملك النرويجى ماجنوس الثالث Magous III (ت 1103 م / 498 هـ)، وقد ولد فى عام 1090 م/ 485 هـ وقد حكم النرويج خلال المرحلة من 1103 ـ 1130 م/ 498 ـ 525 هـ انظر محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية، ط. عمان، 1992 م، ص9.

- Knut Gierset, History of the Norwegian people, New York 1927, P. 312.

والزيارة فى بيت المقدس، وقد تمت الاستعدادات فى عام 1107 م (501 هـ) ووقع الاختيار على سيجور من أجل قيادة هذا الأسطول، وذلك امتثالاً لرغبة قوية من جانب النرويجيين فى أن يشاركوا فى المشروع الصليبى، كشأن غيرهم من قوى الغرب الأوروبى حينذاك، وكان عدد سفنه ستين مركبًا مشحونة بالرجال والذخائر بقصد الحج، والغزو[1].

ولما علم بلدوين بأمر وصول ملك النرويج، اعتبر ذلك بمثابة الفرصة الملائمة التى ينتظرها لاستكمال فتح مدن الساحل الشامى، فقام بلدوين الأول باستقباله[2].

وتقرر المصادر النرويجية، أن الملك بلدوين أقام احتفالاً كبيرًا للملك سيجورد والعديد من رجاله، كذلك صحبه فى رحلة خاصة وقطع معه الطريق البرى المؤدى إلى نهر الأردن[3].

وقد قدَّم الملك بلدوين الأول للملك "سيجورد" قطعة من الصليب المقدس[4] كما يعتقد ذلك المسيحيون، فأقسم الأخير على إعلاء شأن المسيحية بكل ما أوتى من

(1) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص170.

(2) The Saga of Sigurd, Wright (ed) Early travels in Palestine, London 1898, P. 58; محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص12 ـ 20، البدراوى زهران، الصراع اللغوى فى عصر الحروب الصليبية، القاهرة ب. ت، ص32، عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ت. فيليب صابر سيف، ط. القاهرة 1970 م، ص56.

(3) محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص21.

(4) بأمر من الملك والبطريرك، أقلع كسرة من الصليب المقدس، وعلى هذا الأثر المقدس أقسم أن هذا الخشب كان من الصليب المقدس الذى عليه عذب الرب نفسه، ثم أعطى هذا الأثر المقدس إلى الملك Siguard، بشرط أن يكون هو واثنا عشر رجلا آخرون من رجاله يجب أن يقسموا أن يرفعوا ويعززوا المسيحية بكل قوتهم، ويشيدوا أو ينشأوا مجلس أو مكان إقامة لرئيس الأساقفة فى النرويج إن استطاع، وأيضًا أن الصليب يجب أن يكون محفوظًا حيث يرقد الملك المقدس.
The Sage, Early travels in Palestine, PP. 56 – 57.

قوة. على أى حال، تم الاتفاق بين الاثنين على بدء الحصار بمدينة صيدا، وتحركت بالفعل الأساطيل الصليبية على رأسها الملك النرويجى لمحاصرة المدينة من الناحية البحرية، وكان الأسطول المصرى فى ذلك الوقت موجودًا فى ميناء صور، ولكن ما أن علم بوصول الأسطول النرويجى حتى انتابه الفزع، وأبدى عدم رغبته فى الذهاب لنجدتها وفقًا لما قرره المؤرخ الدمشقى ابن القلانسى[1].

وربما كان تعليل موقف الأسطول المصرى وعدم اشتراكه فى إنقاذ مدينة صيدا، إنما يرجع إلى كثرة قطع الأسطول البحرى الصليبى وقوته، الأمر الذى جعل المصريين يفكرون بحذر قبل إقحام أنفسهم فى معركة غير متكافئة.

وانقسمت القوى الصليبية إلى فريقين: أحدهما بقيادة الملك بلدوين الأول. والثانية برئاسة "برتراند" صاحب طرابلس. وقد اشترك الفريقان معًا فى تطويق المدينة من كل ناحية، وبدأ الصليبيون يلقون بمعداتهم الحربية على أسوار المدينة بهدف تسلقها، والنزول داخل المدينة نفسها ولما شاهد المدافعون عن صيدا ارتفاع آلات الحصار إلى مستوى أعلى من أسوار مدينتهم، أخذوا يفكرون فى حيلة لإفساد خطة المهاجمين، وعندما حل المساء هداهم تفكيرهم إلى محاولة تستهدف التخلص من هذه الآلات بعمل حفر أسفل أسوار المدينة، بحيث يصلون إلى المعدات الصليبية المطلوب تدميرها ولما تهيأت لهم الظروف بعمل هذه الحفر وصنعوا فيها مواد قابلة للاشتعال. ثم أشعلوا النيران التى سرعان ما أصابت الصليبيين فى معداتهم الحربية وآلات حصارهم، وكادت هذه الفكرة أن تعصف بالجنود الصليبيين الموجودين فوق هذه الآلات من كثافة النيران المشتعلة والدخان المتصاعد.

غير أن بلدوين علم بما حدث فأمر بنقل الآلات إلى مكان آخر فى السور بعيدًا

(1) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص171.

عن الحفر التى عملها أهالى المدينة. وبهذا خاب أمل الأهالى فى تدمير أدوات الحصار التى أتى بها الصليبيون للاستيلاء على مدينتهم[1].

واستمر الصليبيون فى تشديد الحصار على المسلمين بعمل أبراج خشبية لا تؤثر فيها النار والحجارة، فكانت مزودة بالماء والخل لإطفاء النار إذا ما اشتعلت فيها النار، فضلاً عن ضربات الهجوم البحرى من قبل الأسطول النرويجى الصليبى[2] فما كان من والى المدينة وهو الأمير مجد الدولة محمد بن عدى[3]، أن أعد خطة لاغتيال بلدوين الأول من خلال مسلم ارتد إلى المسيحية، إلا أن المسيحيين المحليين فى صيدا كاتَبوا الملك الصليبى بالأمر فكشفت المؤامرة، وقتل صاحبها شنقًا[4].

وكان فشل هذه المؤامرة نهاية المطاف بالنسبة لأهالى مدينة صيدا، فلم يجدوا بدًا من التسليم والتفاوض مع الملك الصليبى، وبعد حصار دام سبعة وأربعين يومًا، وهو حصار طويل مقارنة بالمدن السابقة، خرج جماعة من شيوخ المدينة إلى الصليبيين، وطلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أرواحهم، وأموالهم، وعساكرهم، كما وافق على السماح لكل من أراد مغادرة المدينة من سكانها أن يرحل بما يحمله من أمتعة. أما من رغب فى البقاء فقد اعتبره مثل الرعايا الصليبيين له الحق فى الاحتفاظ بأملاكه نظير الضريبة السنوية المقررة عليه[5].

واضطر حاكم المدينة وأهلها إلى الموافقة على هذه الشروط، وفتحوا أبواب المدينة

(1) أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الإسلامى، ص95.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص171.

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط. الإسكندرية 1986 م، ص 102 حاشية(3).

(4) William of tyre, Vol. I, P. 488.

(5) ابن القلانسى، المصدر السابق، ص171.

للقوات الصليبية التى دخلتها فى الخامس من ديسمبر 1111 م (الأول من جمادى الآخرة 505هـ)[1]، ولم يصب المسلمون بها بأى أذى.

ويرجع تفسير هذا الوضع الجديد لأحوال المسلمين فى تلك المدينة إلى أن بلدوين الأول احترم اتفاقية الاستسلام، حيث كان أفراد طبقة النبلاء الصليبيين يفضلون استسلام هذه المدن الساحلية بأسواقها التجارية وورشها الصناعية سليمة دون أن يلحقها الدمار، وليست كومات من الأطلال[2]. من ناحية ثانية أن الأسطول البحرى الذى عاون بلدوين فى تشديد الحصار على المدينة الذى استمر سبعة وأربعين يومًا، لم يكن جنويًا يضم جماعات من القراصنة.

وسمح بلدوين لمن شاء من سكان صيدا بالهجرة إلى دمشق، وفى الوقت نفسه سمح لمن يرغب بالبقاء فيها بالاشتغال بالزراعة، إلاّ أن بلدوين أرهق الذين فضلوا البقاء فى صيدا بما فرض عليهم من مبالغ باهظة فاقت طاقتهم[3].

أما بالنسبة للنرويجيين، فكان حصادهم جزاء التحالف مكاسب مادية وأدبية. أما على المستوى المادى فالنرويجيون حصلوا على جزء كبير من المال والأسلاب والغنائم التى آلت إليهم، وأيضًا حملوا بالهدايا[4].

أما المكسب الأدبى ـ وهو أكثر استمرارية وبقاء ـ فقد تمثل فى مشاركتهم فى المشروع الصليبى تحت قيادة الملك سيجور، ومن جهة أخرى حقق ذلك الملك النرويجى مكانة سياسية بارزة، إذ أظهر أمام شعبه أنه مدعم المشروع الصليبى، ثم رجع النرويجيون إلى بلادهم عبر القسطنطينية محملين بالغنائم[5].

---

(1) Benjamin Z. Keder, The Franks in the Levant 11th to 14th centuries, Great Britain 1993, P. 198;

سعيد أحمد برجاوى، الحروب الصليبية فى المشرق، ط. بيروت 1984 م، ص 213.

(2) يوشع براور، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، ت. عبد الحافظ البنا، ط. القاهرة 2001 م، ص35.

(3) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص171.

(4) William of tyre, Vol. I, P. 488.

(5) عن عودة النرويج إلى بلادهم، انظر محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، ص38، 39.

أما بالنسبة للخلافة الفاطمية، فقد تأكد استمرارية ضعفها من خلال تساقط مراكزهم على الساحل الشامى الواحدة تلو الأخرى، وعلى هذا فقد تم الاستيلاء على أغلب الساحل الشامى[1] ما عدا صور وعسقلان اللتان سوف يتم الاستيلاء عليهما فيما بعد، فسوف يتم الاستيلاء على صور فى عهد الملك بلدوين الثانى عام 1124 م (518 هـ)[2]، ثم عسقلان 1153 م (548 هـ) فى عهد الملك بلدوين الثالث.

يضاف إلى ما سبق، عمل بلدوين الأول على تأمين المملكة الصليبية من ناحية الجنوب، بعد أن استطاع بنجاح الاستيلاء على الساحل الشامى أثناء غفلة الفواطم، فيما عدّا صور وعسقلان.

ويلاحظ أن، فكرة السيطرة على مصر ترجع إلى عهد جودفرى دى بوايون عن طريق تأمين الجزء الجنوبى وهو صحراء النقب، فمن المعروف أن جودفرى ذاته وعد فى سنة 1100 م (494 هـ) بأن يتنازل عن بيت المقدس إلى البطريرك متى تم له فتح مدينة كبيرة أخرى على الأخص القاهرة[3].

بيد أن فكرة غزو مصر أصبحت ضرورة ملحة فى خلد المملكة الصليبية على طول تاريخها، ومن هنا استغل بلدوين الأول ملك بيت المقدس فترة الهدوء النسبى، فعمل على تأمين مملكة بيت المقدس من ناحية الجنوب الشرقى، والسيطرة على الصحراء الممتدة جنوبى البحر الميت حتى خليج العقبة، وهى المنطقة المعروفة بوادى عربة.

---

(1) N. Markhouly and C.N Johns, Guide to Acre Covernment of Palestine department of Antiquities Jerusalem 1946, P. 21.

(2) عفاف سيد صبره، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1985 م، ص337.
وعن سقوط صور فى عهد الملك الصليبى بلدوين الثانى. انظر صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الثانى فى الفترة 1118 ـ 1131 م / 512 ـ 525 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2005 م، ص70 ـ 73.

(3) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العرينى، ط. القاهرة 1960 م، ص58.

لقد بـدأ بلدوين السيطرة على وادى عربة، عندما شيّد حصن الشوبك 1115م (509 هـ)، على أن يكون هذا الحصن مركزًا للصليبيين يقومون من خلاله بأعمال المراقبة والاستكشاف، وفى عام 1116 م (510 هـ)[1] خرج الملك الصليبى فى حملة أخرى على "أيلة" الواقعة على ساحل خليج العقبة، حيث فر الأهالى من وجهه، فعمل على بناء قلعة حصينة وهى قلعة أيلة[2].

وهى تقع على الطريق البرى للقوافل بين مصر وبلاد الشام، ومن هنا نلاحظ أن الفارق الزمنى عام واحد بين تشييد القلعتين، وهذه دلالة على استغلال بلدوين الأول لعنصر الوقت.

أضف إلى ذلك تشييد قلعة أخرى فى جزيرة فرعون أمام أيلة، وبذلك تمكن الصليبيون من الإشراف على شبه جزيرة سيناء الواسعة التى أخذت تحرك فى قلوب الصليبيين ذكريات دينية عزيزة عليهم[3].

هذا وإن كان رهبان دير القديسة كاترينة فى شبه جزيرة سيناء قد رفضوا استضافتهم أو إمدادهم بأية مساعدة خشية وصول الخبر إلى السلطات الفاطمية أو الوزير الأفضل، الذين أحسنوا معاملتهم منذ سنين[4]، مما جعل بلدوين الأول ينصرف إلى بيت المقدس.

وبذلك تمكن الصليبيون من الإشراف على شبه جزيرة سيناء، ولم يبق أمام الملك الصليبى بلدوين الأول إلا أن يهاجم الفاطميين فى عقر دارهم ونقل الصراع الصليبى الإسلامى إلى جبهة إفريقية جديدة.

---

(1) أمين توفيق الصليبى، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ط. طرابلس 1992 م، ص11.

(2) هانس إيرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ت: عماد الدين غانم، ط. طرابلس 1990 م، ص116.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص257.

(4) محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة، ط. القاهرة 1961 م، ص5.

لهذا قام بلدوين الأول برحلة استكشافية لغزو مصر، والدليل على ذلك أنه قاد جيشًا صغيرًا لم يتجاوز المائتى وستة عشر فارسًا وأربعمائة رجل، ويلاحظ أن بلدوين الأول ملك بيت المقدس اعتمد فى غزوه لمصر على طريق شبه جزيرة سيناء حلقة الوصل بين المسلمين فى شمال إفريقية والمسلمين فى آسيا[1]، اعتمد بلدوين الأول على معاونة البدو الذين زودوا الصليبيين بالزاد والماء[2]، فضلاً عن قيامهم بدور الإدلاء والعيون للجيش الصليبى[3].

ومما لاشك فيه أن الحملات الفاطمية التى خرجت لغزو الصليبيين فى الشام كانت مشجعًا لإمكانية سير القوات الصليبية عبر الصحراء، بالإضافة إلى أن بلدوين كان متأكدًا من عدم وجود قوات حربية فى سيناء يمكنها من الوقوف فى وجه الهجوم الصليبى على مصر، وهذه نقطة فى غاية الأهمية تدل على غفلة من الفواطم فى تأمين حدود مصر ويقظة من بلدوين فى الأهمية الاستراتيجية لمصر المفتاح لقوة الفواطم قلب المنطقة النابض.

عمل بلدوين عند غزوه لمصر على أن يسلك الطريق الشمالى فى شبه جزيرة سيناء، المعروف من قبل بطريق حورس القديم منذ عهود الفراعنة، لأنه هو أفضل الطرق بالنسبة للجيوش الغازية، والتى تملك قوة بحرية يمكن أن تحمى جناحها الأيمن[4].

وهكذا، استطاع الصليبيون بقيادة بلدوين أن يعبروا صحراء سيناء سالكين

---

(1) أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1977 م، ص41.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص259.

(3) أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء، ص42.

(4) نفسه، ص43.

المحور الشمالى، فعبر بلدوين من العريش إلى الفرما[1] أول مركز دفاعى[2] على هذا المحور دون أن يلاقوا أية مقاومة تذكر.

وعندما دخل بلدوين الفرما استولى عليها، وأحرق جامعها مما عكس تعصبه ضد دور العبادة لدى المسلمين، وقام بأعمال السلب والنهب، وكانت الفرما من حصون مصر القديمة فدخلها بلدوين بعد أن هجرها أهلها المصريون وتركوا فيها أمتعتهم، مما أمد الصليبيون بقدر كبير من الغنائم، ثم توجه بلدوين بقواته إلى مصب نهر النيل، حيث وصل إلى مدينة تنيس[3] ولكنه لم يستطع أن يتوغل لأكثر من ذلك فى الأراضى المصرية لصغر حجم قواته[4]. وفى اليوم الثالث لوصوله تنيس توفى بلدوين الأول[5].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ج5، بيروت 1977 م، ص301، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندرية فريه، ط. القاهرة 1972 م، ص90، محمد سيد كيلانى، الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام، ط2، القاهرة 1984 م، ص17، سيد على الحريرى، الأخبار السنية فى الحروب الصليبية، ط3، القاهرة 1985 م، ص49، عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1983م، ص415، جمال محمد حسن زنكى، إمارة دمشق فى المرحلة المبكرة للحروب الصليبية، (488ـ 549 هـ/ 1095ـ 1154 م)، ط. الكويت 1993 م، ص74.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص258.

(3) تقع تنيس شرقى دمياط حيث الطول 54 درجة و40 دقيقة، والعرض 31 درجة و30 دقيقة. وفى شرقى هذه البحيرة على البحر المالح تقع والفرما الحزاب حيث الطول 54 درجة و50 دقيقة، والعرض 32 درجة.
أبو سعيد المغربى، كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، تطوان 1958 م، ص82.

(4) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص171.

(5) ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج1، ق1، ط. بيروت ب. ت، ص 222، بدر الدين ابن قاضى شهبة، الكواكب الدرية فى السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، بيروت 1971 م، ص82،

- Albert d'Aix, P. 706, Fulcher of Chartres, P.221.

عن وفاة بلدوين انظر أيضًا: عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت 1966 م، ص151، سعيد عاشور، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت، ب.ت: ص13، فاروق عمر فوزى ومحسن محمد حسين، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط 13 هـ/ 643م ـ 923 هـ/ 1517 م، ط. عمان 1999 م، ص167، قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ط. القاهرة 2001 م، ص137.

يذكر أرتشر أن بلدوين لم يستطع هضم وجبة من السمك اصطادوه له من النيل، وتلا ذلك مرض أثار جرحًا قديما فى جنبه، فلم يستطع أن يمتطى صهوة جواده، وقام أتباعه بوضعه على نقالة، ونفخ فى الأبواق للانسحاب، وعاد الجيش الصغير ببطء إلى القدس[1].

وفى الطريق شق أصحابه بطنه وصبروه، ورموا بأحشائه فى المكان الذى نسب إليه ومازال يعرف باسم سبخة "البردويل"، وقد اعتاد الناس أن يرجموها وقد دفن فى بيت المقدس[2].

ومهما يكن من أمر، فإن حملة بلدوين الأول على مصر لم تؤد إلى نتائج حاسمة بالنسبة للصليبيين، بل على العكس فقد أيقظت الفاطميين، وأشعرتهم بتنامى الخطر الصليبى على بلادهم، ودفعت الوزير الأفضل للعودة مرة أخرى لإعداد الحملات العسكرية وإرسالها إلى بلاد الشام، كما أن حملة بلدوين الأول على مصر قد حملت الأفضل بن بدر الجمالى على التحالف بصورة واضحة مع حكام دمشق السنيين[3].

ففى سنة 1118 م (512 هـ) جهز الأفضل بن بدر الجمالى حملة عسكرية قوامها سبعة آلاف فارس[4] سارت إلى عسقلان، ولكن هذه الحملة لم تستطع اللحاق بالصليبيين وبقيت العساكر الفاطمية فى عسقلان بانتظار التعليمات الواردة من الوزير الأفضل الذى اتصل "بطغتكين" من أجل الوقوف معًا فى وجه الصليبيين،

(1) Archer, The Crusades, The Story of Latin Kingdom of Jerusalem, London 1919, P.139;

صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبى على العالم الإسلامى (490 ـ 515هـ/ 1097 ـ 1121 م، ط. القاهرة 1992 م، ص340.

(2) Albert d' Aix, P. 707.

(3) مسفر بن سالم الغامدى، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى قبل قيام الدولة الأيوبية فى مصر (491 ـ 569 هـ/ 1097 ـ 1173 م) ط. جدة 1986 م، ص130.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص199.

فقد وافق طغتكين وحضر بنفسه إلى عسقلان، وعندئذٍ أخبره قائد الحملة الفاطمية بأن لديه تعليمات من الأفضل بالوقوف عند رأيه ـ أى طغتكين ـ والتصرف بإمرته، ولكن القوات المشتركة بقيادة طغتكين لم تستطع لقاء الصليبيين ولم تقم بأى عمل عسكرى، بل رابطت لمدة شهرين فى عسقلان، عاد بعدها طغتكين إلى دمشق والفاطميين إلى مصر.

وعكست هذه الحملة الاهتمام الصليبى المبكر، والرغبة فى مد النفوذ الصليبى، كذلك أثبتت أن هذه هى إمكانيات الصليبيين حينذاك، غير أن المستقبل سيشهد المزيد من الإمكانيات، والأطماع الصليبية تجاه مصر، وهو أمر تأكد من خلال أحداث التاريخ ذاتها.

والواقع، أن حملة 1118 م (512 هـ)، عكست أن اليوم الاستكشاف وغدا الغزو الفعلى، وهو تطور منطقى دل على أن الصليبيين ـ خلال تلك المرحلة على الأقل ـ اتسم تفكيرهم بالمنطق والعقلانية وعدم الاندفاع. ويكفى أنهم لم يلقوا بكل ثقلهم خلال تلك المرحلة المبكرة صوب مصر، بل اكتفوا بالاستطلاع دون التورط غير المحمود العواقب[1].

ذلك عرض عن سياسة بلدوين الأول تجاه إخضاع الساحل الشامى وحملته على مصر. أما الفصل التالى فيتصدى لسياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة.

* * *

(1) محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص107.



▪ الفصل الثانى

سياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لسياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة ومصر من حيث دراسة حملات الرملة الثلاث، وموقعة حران، وحملات شرف الدين مودود، وحملة برسق والمقاومة الشعبية.

خضعت الخلافة العباسية فى بغداد قبل قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام لنفوذ السلاجقة الذين قد سيطروا قبل منتصف القرن الخامس الهجرى على إيران وإقليم ما وراء النهر، وقد ظلت الخلافة العباسية فى ظل سلاطين السلاجقة العظام كطغرل بك، وألب أرسلان وملكشاه قوة لا يستهان بها، ثم ما لبثت أن بدأ الضعف يدب فى جسدها.

فلم يستطع الخليفة العباسى القائم بأمر الله أن يتخذ موقفًا حازمًا للنهوض بأمر الخلافة العباسية عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة 1092 م (485 هـ) ونشوب الخلاف بين أبنائه، بل وقف موقفًا سلبيًا فى أثناء النزاع فيما بينهم، إلى حد أنه أعلن السلطنة لاثنين من أبناء ملكشاه، وهم: بركياروق، ومحمد.

وقد ظل الخليفة العباسى المذكور ألعوبة فى أيدى السلاجقة حتى وافته منيته فى بغداد سنة 1094 م (487 هـ). فخلفه فى الحكم ابنه المستظهر بالله 1094ـ 1118 م (487 ـ 512 هـ) الذى لم يكن بأحسن حظًا من والده.

وعلى ذلك، فإن الخلافة العباسية لم تنهض بدور فَعَّال فى الدفاع عن مدن بلاد الشام والجزيرة التى أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى تحت ضربات الصليبيين. والواقع أن نجاح الصليبيين فى الشرق الإسلامى كان من أهم أسباب انقسام

الوحدة السياسية بين خلافتين: أحداهما عباسية سنية فى بغداد، والأخرى فاطمية شيعية فى القاهرة. يضاف إلى ذلك، ضعف السلطة المركزية[1] فى كل منها مما أدى إلى استشراء الوهن فى الجسد الإسلامى.

اتجه الفاطميون إلى الرد على المذابح التى قام بها الصليبيون واحتلالهم لعدد من مدن الساحل الفاطمى، ولذلك أخذ الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى يفكر جديًا فى محاربة الصليبيين، ولاسيما بعد أن احتلوا مدينتى: أرسوف Asruf وقيسارية Caesarea. وقبل ذلك انتقامًا لهزيمته فى معركة عسقلان سنة 1099 (493 هـ) فأعد حملة كبيرة، ووضع قيادتها لأحد مماليكه وهو سعد الدولة الطواشى[2].

ووصلت هذه الحملة إلى عسقلان فى منتصف مايو سنة 1101 م (رجب 495 هـ) ومنها توجهت إلى الرملة، وعندئذٍ أدرك قائدها سعد الطواشى سرعة تحرك الجيش الصليبى بقيادة الملك الصليبى بلدوين من قيسارية فى طريقه إلى الرملة[3].

ولم يستطع ذلك القائد الفاطمى إلا الارتداد إلى عسقلان، وقضى الجيش الفاطمى بها عدة أشهر دون أية أعمال حربية، ربما انتظارًا لوصول إمدادات جديدة[4] من مصر، مما أتاح فرصة كافية للصليبيين ليستعدوا لمواجهة الجيش المصرى، فاستطاع بلدوين أن يزيد من تحصينات الرملة، وأقام معسكره فى يافا

---

(1) عبد العزيز محمود عبد الدايم، بيت المقدس فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة 1989 م، ص77.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص139،

William of Tyre, Vol. I, P. 436; Jean Richard، Le Royaume latin de Jerusalem, Paris 1953, P. 35; Prawer, Crusader Institution, Oxford 1980, P. 158.

(3) الرملة تعتبر الممر أو الجسر الذى يصل يافا (الساحل) بالقدس (الجبل) وبالغور شرق الأردن، كما تصل شمال السهل الساحلى الفلسطينى بجنوبه، وهى بذلك تقع على الطريق الساحلى الذى يربط مصر ببلاد الشام والعراق وغيرها، مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج4، ق2، ص371.

(4) محمد محمد مرسى الشيخ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، ط. الإسكندرية 1990 م، ص159.

Jaffa يراقب تحركات المصريين، وظل فى الوقت ذاته على اتصال بالمواصلات البحرية[1]. وبعدها توجه إلى بيت المقدس حيث قضى هناك شهرى يوليو، وأغسطس من نفس العام بهدف جمع المال والرجال[2].

وفى أغسطس سنة 1101 م (ذو القعدة 495 هـ) وقعت فى يده رسالة علم منها أن قوات فاطمية جديدة وإمدادات قد جاءت إلى المصريين بعسقلان، وأنهم يستعدون للسير مرة أخرى إلى بيت المقدس[3]. ولذلك جمع رجاله من: المدينة الأخيرة، وطبرية، وقيسارية، وحيفا.. وعلى الرغم من ذلك لم يكن معه سوى مائتى وستين فارسًا وتسعمائة من المشاة[4]، مما دل على نقص العنصر البشرى لدى الصليبيين حينذاك.

فى حين تذكر بعض المصادر الإسلامية من قبيل المبالغة على الأرجح أن الجيش الصليبى كان مؤلفًا من ألف فارس وعشرة آلاف رجل[5]، و قسم الجيش الصليبى إلى عدة أقسام، وتم الزحف إلى الرملة[6]. تولى قيادة المجموعة الأولى الفارس بيرفولد Berfold، وقاد المجموعة الثانية "جيلدمار كارنيل" Geldmar سيد يافا.

أما المجموعة الثالثة، فكانت تحت قيادة هيودى سانت أومر Hugue de Saint-Omer سيد طبرية. بينما كان القسمان الآخران يتكونان من فرسان بيت المقدس

(1) William of tyre, Vol. I, P. 439.

(2) أسامة زكى زيد، حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين فى عهد الوزير الفاطمى الأفضل، مجلة كلية الآداب، م29، جامعة الإسكندرية 1981 ـ 1982 م، ص38.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص233.

(4) William of tyre, Vol. I, P. 439.

(5) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص140.

(6) William James Hamblin, The Fatimid Army during the early crusades, University of Michigan, 1985, P. 167.

برئاسة الملك بلدوين نفسه[1]. وبدأت المعركة يوم السبت السابع من شهر سبتمبر عام 1101 م (العاشر من ذى الحجة 494 هـ) فى السهل الواقع جنوب غربى مدينة الرملة[2].

وهاجم القائد الصليبى بيرفولد Berfold الجيش الفاطمى، فتمكن الفواطم من قتله وتمزيق جنوده، فى حين كان القائد جيلدمار كارنيل Geldmar Kamber يحاول مساعدته فلقى نفس مصير الأول، ودمرت قواته أيضًا.

أما القسم الثالث من الجيش الصليبى وكان بقيادة هيو سيد طبرية، فقد حاول الصمود أمام القوات الفاطمية التى سحقت هذا القسم ماعدا القلة القليلة وكان من ضمنها هيو فتمكن من الفرار إلى يافا[3]، وقد أحرز المسلمون تفوقًا فى بداية المعركة، وسبب ذلك الكثرة العددية وموقف الصليبيين أنفسهم فى دخول جزء من الجيش الصليبى تمكن على إثره جيش الفواطم فى سحقه وتدميره، ولكن الكفة لم تلبث أن تحولت لصالح الصليبيين، فألحقوا الهزيمة بالمسلمين[4]، وقتلوا قائدهم سعد الدولة الطواشى، وأجبروهم على الفرار إلى عسقلان وعلى ذلك رجحت كفة الصليبيين، ولم يتمكن المصريون من تحقيق نصر على الصليبيين.

ونلاحظ هنا دور العامل النفسى الذى ذرعه بلدوين الأول فى جنوده مع اكتشاف نقطة ضعف الفواطم فى قتل قائدهم مع مراعاة شىء مهم هو أن الفواطم

---

(1) Grousset, Histoire des croisades, Tome 1, P. 226.

(2) Fulcher of Chartes, P. 159.

(3) William of tyre, Vol. I, PP. 439-440.

عندما لاحظ بلدوين شبح الهزيمة يخيم على قواته، اجتمع بهم، وخطب فيهم خطبة حثهم فيها على التفانى فى القتال، فاتجهوا إلى المسلمين وهاجموهم بشراسة، فلم يستطع المسلمون التصدى لهم، واضطروا إلى الانسحاب إلى عسقلان، انظر: أسامة زكى زيد، حملات الرملة الثلاث، ص38 ـ45.

(4) Stanley Lane-Pool, History of Egypt in the middle Ages, London 1925, P. 164.

لم يكونوا بالقدر الكافى من التدريب فبرغم عددهم الكبير وصغر عدد الخصم، إلا أن العدو ألحق بهم الهزيمة، وعلى ذلك اتجهت قوة من المصريين ناحية عسقلان تاركين كل ما يملكون من مؤن وأسلحة وذخائر، وخاصة بعد أن شاع الخبر بينهم بموت قائدهم سعد الدولة الطواشى.

بينما اتجه البعض الآخر ناحية يافا وقوامهم خمسمائة رجل[1] من الجناح الأيسر للجيش المسلمين لمحاصرة المدينة، منتهزين فرصة انشغال القوات الصليبية فى مطاردة فلول المصريين المتجهين ناحية عسقلان[2].

وبذلك أصبح ميدان القتال، بعد انسحاب المصريين مغطى بكثير من أدوات الحرب من الدروع والتروس والخناجر والأقواس، فضلاً عن كثرة جثث الموتى من كلا الجانبين الإسلامى والصليبى، وما نجم عن ذلك من صبغ الأرض بلون الدماء[3].

وقدر المؤرخون شهداء هذه المعركة من المصريين بما يقرب من خمسة آلاف

---

(1) فؤاد الدويكات، إقطاعية طبريا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. عمان 2002 م، ص 138،

Charles Oman, A History of the Art of war in the Middle Age, Vol. I, London, 1924, P.294.

(2) بعد أن اتجه المصريون ناحية عسقلان، طاردتهم القوات الصليبية حتى أسوار هذه المدينة وهناك اشتبك الطرفان فى معركة، رجحت فيها كفة الجيش المصرى، حيث تلقى الصليبيون ضربة قاصمة، أنستهم تلك الانتصارات التى حققوها فى معركتهم السابقة عند مدينة الرملة، ونتج عن هذه المعركة أن فقدوا عددًا كبيرًا من مؤخرة جيشهم ومن أجزاء الجناح الأيمن منه، فضلاً عما فقدوه من تلك الغنائم والأسلاب التى كانوا قد استولوا عليها من المصريين فى المعركة السابقة.

Fulcher of Chartres, PP. 159-160.

(3) أسامة زكى زيد، حملات الرملة الثلاث، ص46.

فارس ورجل، خلاف عدد كبير من الأسرى[1]. أما بالنسبة للمصريين المحاصِرين لمدينة يافا فعندما لمحوا بعض جنود الصليبيين قادمين ظنوهم فى بداية الأمر أنهم باقى زملائهم الذين لم يتمكنوا من اللحاق بهم، وأنهم جاءوا لمساعدتهم فى حصار المدينة، ولكن الذى حدث كان العكس، فكانت هذه القوة من الصليبيين، ولم يتمكنوا من الفرار متفرقين فى كل ناحية، ودخل الملك بلدوين مدينة يافا وظل بلدوين يومًا نال خلاله قسطا من الراحة، ثم غادرها متجهًا إلى بيت المقدس. وهناك قابله رجال الدين وكل أهالى المدينة بالفرح والسرور، وقدموا له التهانى اللازمة وفق ما يقرره أحد المؤرخين الصليبيين[2].

وبعد ذلك اتجه الملك الصليبى إلى القبر المقدس حيث أدى الصلاة هناك، ثم وهب كل ما جمعه من الأسلاب والغنائم التى حصل عليها من معاركه السابقة إلى مستشفى بيت المقدس للإنفاق منها على الفقراء والمرضى[3].

ونلاحظ هنا دهاء بلدوين فى إظهاره أن حربه ضد المسلمين وانتصاره عليهم كان من عند الرب، وفى نفس الوقت تشجيع وتحميس الجنود ولسكان المملكة على مواجهة أعدائهم المسلمين، وبذلك تكون حملة الرملة الأولى قد فشلت فى مواجهة الصليبيين.

---

(1) اضطر الملك بلدوين أن ينسحب للوراء على رأس جيشه، واتجه إلى يافا، ولكن كان المصريون الذين اتجهوا لحصار يافا قد عملوا على ترويج الإشاعات بانتصارهم على الصليبيين وقتل ملكهم بلدوين، فلما أن علم أهل مدينة يافا بذلك عقدوا اجتماعًا، وقرروا فيه الكتابة إلى تنكرد صاحب أنطاكية يتوسلون فيه الإسراع لإنقاذ المملكة المعرضة للخطر باحتمال مقتل ملكها. وبأمر من زوجة بلدوين أرسل رسالة فى الحال إلى أنطاكية فى اليوم السابع من سبتمبر الموافق الحادى عشر من ذى القعدة وما أن قرأ تنكرد الرسالة حتى أمر بالاستعداد فى كل مكان لمساعدة رجال بيت المقدس.

William of Tyre, Vol. I, P. 440,

إبراهيم سعيد فهيم، يافا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى (1099 ـ 1291 م / 492 ـ 690 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1991 م، ص79.

(2) Albert d' Aix, P.553.

(3) أسامة زكى زيد، حملات الرملة، ص48.

أصبحت تلك الحملة واحدة من سلسلة الحملات الإسلامية الفاطمية لمواجهة الاستيطان الصليبى، وبفشلها حاول الأفضل القيام بحملة ثانية فى عام 1102 م (495 هـ). وفى العام التالى مباشرةً استغلالا لعنصر الوقت، أعد الأفضل هذه الحملة التى تكونت من عشرين ألفًا من العرب والسودان، وقادها ابنه شرف المعالى[1] وهو أمر يدل على أن والده علق عليها الآمال الكبار.

وتجمعت الحملة فى عسقلان يوم الخميس 15مايو سنة 1102 م (25 رجب سنة 495 هـ) وسارت فى ذات الطريق الذى اتبعته الحملة الأولى، فاتجه الجيش الفاطمى من عسقلان إلى الرملة واللد ويازور، ومن هناك اتجهوا من جديد لتهديد يافا وبيت المقدس[2].

وعندما وصل المصريون إلى مدينة الرملة لم يكن بها إلا حامية صغيرة لم تزد عن خمسين فارسًا، كان الملك بلدوين قد تركهم لحمايتها، إذ لم يتوقع أية هجمات أخرى للمصريين فى فترة قريبة بعد هزيمتهم الكبيرة فى حملة الرملة السابقة.

أما على الصعيد الصليبى، فكان لديهم نقص كبير فى القوى البشرية، وهذه مشكلة كانت تؤرق الجانب الصليبى بالمقارنة بالمسلمين الذين تمتعوا بكثافة عددية مع وسائل تسليح متنوعة بجانب مصر بخيراتها، كل هذه العوامل دعمت خروج حملة فى أسرع وقت ممكن، وهذا ما قام به الأفضل بالفعل، لقد اتبع الجيش الفاطمى خطة اعتمدت على شن هجمات على المدينة، وعندما اشتد الحصار عليها أرسل أسقفها روبرت أوف رون Robert of Roin إلى الملك بلدوين الأول، وكان فى ذلك الوقت موجود فى يافا، يطلب منه المساعدة فى فك هذا الحصار[3].

(1) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص68، ابن ميسر، تاريخ مصر، ت هنرى مايسه، ط. القاهرة 1919 م، ص 74، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5، ط. بيروت 1992 م، ص220.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص234.

(3) Fulcher of Charters, PP. 163-164; William of Tyre, Vol. I, P. 443.

وعندما علم بلدوين بذلك أسرع بالاجتماع بكبار قادته وشاورهم فى هذا الأمر، وانتهى الرأى بإصراره على الخروج على رأس مائتين من فرسانه غير مبال بخطورة هذا التصرف، وكان بلدوين يسير على رأس رجاله فى غير نظام فيما بين يازور والرملة.

ويبدو أن نشوة الانتصارات التى أحرزها على القوات المصرية فى المرة السابقة جعلته يصل إلى درجة الغرور[1] معتقدًا فى ضرورة انتصاره هذه المرة، بغض النظر عن حجم القوات التى معه[2]، ومن ثم وقع بلدوين الأول فى مشكلة كبيرة من جراء تجاهله للقرار الجماعى، وتعجله وعدم تأمين نفسه، بالإضافة إلى عدم وضع خطة حربية محكمة مما أدى إلى تدمير قواته ـ كما سنرى ـ.

وعندما وصل الصليبيون إلى سهل الرملة أصابهم الذهول لكثرة عدد القوات المصرية الموجودة فى ميدان القتال، وأدركوا أن لا مجال للتراجع والانسحاب، وأن المعركة بين الطرفين ستكون غير متكافئة، وسينتهى الأمر بالفناء والدمار، فالقوات المصرية تحاصر المكان تمامًا، وتقف حاجزًا دون وصول أى إمدادات صليبية إلى ميدان القتال[3].

ونشبت المعركة بين الطرفين فى 17مايو 1102 م (18 رجب 495 هـ)، وكانت حامية الوطيس، إذ نجحت القوات الصليبية فى أول الأمر فى توجيه ضربات عنيفة للقوات المصرية، ولكن لم يؤثر ذلك على الأعداد الغفيرة للجيش المصرى، وعندئذٍ

(1) Charles Oman, A History of the crusaders, Vol. I, P. 294,

مصطفى عبد العزيز العسقلانى، عسقلان ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1992م، ص70ـ 71.

(2) James ABrundage, The Crusades, Ho y \ ar and canon law, Great Britain 1998, P. 393.

(3) Fink, The Foundation of the latin, in setton, Vol. I, P. 364.

أدرك الملك بلدوين أنهم لم يحققوا أى تقدم، خاصة أنهم لم يتبق منهم سوى ما يقرب من خمسين مقاتلاً[1].

فاضطر الملك ومن معه إلى التقهقر ناحية حصن الرملة، الذى كان ما يزال تحت أيدى الصليبيين، ونجحوا فى الدخول فيه والاحتماء بأسواره، وقد فطن المسلمون لهذا، وكان باستطاعة المسلمين اقتحام الحصن، والاستيلاء عليه بدون عناء والقبض على بلدوين الأول، وباقى أفراد جيشه، ولكن حال غروب الشمس دون تنفيذ مهمتهم التى أرجأوا تنفيذها، واكتفوا بتشديد الحصار حول المدينة، فأخذ الصليبيون ينتظرون مصيرهم التعس فى القبض عليهم عند حلول الصباح[2].

وفى أثناء ذلك، اتجه أحد شيوخ العرب إلى باب الحصن طالبًا مقابلة بلدوين شخصيًا، وعندما تم ذلك أخبره بأن المصريين سوف يبدأون الهجوم على الحصن عند بزوغ الفجر، وعرض عليه مساعدته على الهرب، فتمكن هذا الأعرابى من تهريب الملك بلدوين[3]، وتوصيله إلى منطقة آمنة وبعيدة عن عيون المصريين، مما دل على خيانة هذا الأعرابى لبنى جلدته المسلمين، ولكن بعض الفرسان المصريين لحوا الملك ورفاقه، فطاردوهم، وتمكنوا من إصابة البعض، وأسروا البعض الآخر.

أما الملك فقد نجح فى الاختفاء فى جانب إحدى الجبال المحيطة بالمنطقة، رغم عمليات التفتيش الدقيقة والعديدة التى قام بها أفراد الجيش المصرى للعثور على الملك إلا أنهم فشلوا فى القبض عليه[4].

---

(1) أسامة زكى، حملات الرملة، ص55.

(2) Fulcher of Charters, PP. 168.

(3) William of Tyre, Vol. I, P. 445;

مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة، دير الآباء الفرنسيسكان، أورشليم 1865، ص216.
انظر أيضا:

Collin de Plancy, Godefriod de Bouilion et de Royaume de Jérusalem, Paris 1818, PP. 128-129; Par F. Valentin, Abrége de l'Histoire des croisades,Tours, 1940, P. 91.

(4) Grousset, Histoire des croisades, Vol. I, P. 232.

وكان بلدوين قد اتخذ من ظلمات الليل ستارًا يختفى وراءه ويواصل من خلاله مسيرته، وعندما حل الصباح اتخذ من الجبال مستقرًا له، وقد عانى خلال هذه المرحلة معاناة شديدة من الجوع والعطش والتعب الجسمانى والنفسى، وفق ما يقرره أحد المؤرخين الصليبيين الذى حرص على تصويره بمظهر البطولة[1].

وظل هكذا حتى وصل إلى مدينة أرسوف فى 19 مايو[2]. وقضى هناك سبعة أيام[3]، استقبله أهالى المدينة بعد أن تأكدوا من كذب الإشاعات التى انتشرت حول مقتله، وتم علاجه من الجراح التى ألمت به، ثم تركوه يأخذ قسطًا وافرًا من الراحة.

والجدير بالذكر، أن الملك بلدوين بعد هروبه اختفى عن أعين المسلمين فى أجمة قصب، وعندئذٍ أدركه المسلمون اضطروا إلى حرق تلك الأجمة للتخلص منه، فوصلت إليه النار، وأصابت بعض أجزاء جسده[4]. ولكنه مع ذلك تمكن من الفرار إلى يافا.

وتمكن المصريون فى صباح اليوم التالى من شن هجوم عنيف ضد القوات الصليبية المحاصرة داخل حصن الرملة، وانتهى الأمر بسقوط الحصن فى أيديهم، ولم يكتفوا بما أحرزوه من نصر على الصليبيين، وإنما أرادوا مواصلة انتصاراتهم فى التقدم إلى يافا بهدف استعادتها منتهزين فرصة حماستهم وروحهم المعنوية المرتفعة.

وبالفعل، وصلوا هذه المدينة وحاصروها برًا وبحرًا محاولين نشر خبر انتصارهم وإضعاف الروح المعنوية لدى الأهالى، فادعوا كذبًا موت مليكهم، ولكى يؤكدوا صدق هذا الخبر قاموا بقطع رأس إحدى جثث القتلى الصليبيين فى المعركة السابقة،

(1) William of tyre, P.446.

(2) William of tyre, Vol. I, PP. 446-447.

(3) William James Hamblin, The Fatimid Army during the early crusades, P. 176.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص141؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص56.

وكان وجه الشبه كبير من الملك بلدوين، ويسمى جيريون دى ويثينك Gerbond de Winthine[(1)]، وألقوها وراء أسوار المدينة مدعين أنها رأس ملكهم، فحدث ما توقعه المصريون من انخفاض مقدرة الأهالى فى المقاومة، وانهيار معنوياتهم،وحدث الهرج والمرج بين سائر أهالى المدينة[(2)].

وعند الاقتراب من المدينة أمر الملك بتعليق العلم الملكى على سارية المركب ليطمئن الأهالى بأنه مازال على قيد الحياة، ولكن عندما لمح رجال الأسطول المصرى المحاصر للمدينة سارية المركب وتنبهوا إلى حقيقة الأمر، أسرعت السفن المصرية بالتحرك تجاه مراكب الصليبيين للانقضاض عليها، ولكن كانت الأمواج عالية والعاصفة على أشدها، مما أعاق خطة المصريين، وانتهى الأمر بالإحاطة بمراكبهم، ونجاة المراكب المتواجد عليها الملك بلدوين ودخولها ميناء يافا، فعم الفرح والسرور بين الأهالى، وارتفعت معنوياتهم بسلامة ملكهم[(3)].

وكان بلدوين يرغب فى استدعاء بعض الصليبيين بين المتواجدين فى مدينة بيت المقدس وفى غيرها من أجزاء المملكة اللاتينية للحضور إليه فى يافا، بهدف فك الحصار البرى والبحرى المفروض على المدينة من قبل المصريين، فتطوع أحد الشباب المسيحيين السوريين فى حمل هذه الرسالة وتوصيلها إلى أولى الأمر[(4)].

وقد اتخذ هذا الشاب من الليل ستارًا يحقق من ورائه مأموريته، منتهزًا فرصة الليالى غير القمرية، ومستخدمًا الطرق الملتوية التى كان يعرفها. وقد ساعده هذا إلى حد كبير فى الوصول إلى بيت المقدس دون أن تراه أعين المسلمين، وهناك طمأن الناس على سلامة الملك، فعم المرح وزال الحزن ورفع الحداد[(5)].

---

(1) إبراهيم سعيد، يافا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ص86.

(2) Grousset, Histoire des croisads, Vol. I, P.231;

أسامة زكى زيد، حملات الرملة الثلاث، ص59.

(3) Runciman, A History of the crusades, Vol. II, P. 79.

(4) أسامة زكى زيد، حملات الرملة، ص59.

(5) نفسه، ص60.

وسرعان ما تكونت فرقة من أفضل فرسان الصليبيين الموجودين فى هذا الوقت، بلغ قوامها أربعمائة وثمانين فارسًا، وأبحروا إلى أرسوف ومنها إلى يافا، وعندما اقتربوا شاهدوا الحصار البحرى المصرى المفروض عليها، فاضطروا إلى إلقاء كل ما معهم فى البحر، حتى لا يستفيد به المصريون إذا ما تمكنوا من الاستيلاء على مراكبهم، ثم اتخذوا من السباحة طريقًا يوصلهم إلى بر المدينة، وبالفعل وصلوا دون أن يصيبهم مكروه[1].

وفى الأيام الأخيرة من مايو 1102 (أواخر رجب 495 هـ) وصل أسطول مسيحى مكون من مائتى قطعة بحرية أمام يافًا، يحمل عددًا كبيرًا من الحجاج، من بينهم صفوة من الفرسان الفرنسيين والإنجليز والألمان، و تمكن هذا الأسطول من التغلب على الأسطول المصرى مما أجبره على العودة إلى عسقلان، وفق ما يقرره أحد المؤرخين الصليبيين[2].

ولعل هذا الأمر قد شجع الملك الصليبى على الخروج إلى يافا على رأس جيشه لملاقاة المصريين المعسكرين على بعد ثلاثة أميال من المدينة، ودارت معركة عنيفة أدت إلى انتصار الصليبيين، وهرب المصريون ناحية عسقلان فى خلال الساعات الأولى من بدء المعركة[3].

ومن المرجح أن تفوق الصليبيين فى هذه المعركة كان نتيجة خطأ تكتيكى من جانب الفواطم بسبب قلة التدريب ونقص الخبرة، ونظرًا لقلة عدد الصليبيين فإنهم لم يلحقوا بهم، وإنما اكتفوا بما استولوا عليه من المعسكر الفاطمى من أدوات ودواب ومؤن ونقود. وبعد هذا النصر عاد بلدوين إلى بيت المقدس[4].

(1) Fulcher of Charters, P. 172; Grousset, Histoire des croisades, Vol. I, P. 235.

(2) Fulcher of Charters, P. 172.

(3) Fulcher of Charters, P. 172; Grousset, Histoire des croisades, Vol. I, P. 236; أسامة زكى زيد، حملات الرملة الثلاث، ص60.

(4) Fulcher of Charters, P. 172.

ويروى ابن الأثير أنه عندما سمع الوزير الأفضل بهزيمة ابنه شرف المعالى أسرع بإرسال حملتين: إحداهما برية تحت قيادة المملوك تاج العجم، وتألفت من أربعة آلاف فارس، والأخرى بحرية برئاسة القاضى ابن قادوس[1].

ولكن ما كان ينقص الفاطميين عندئذٍ لم يكن كثرة الرجال، وإنما النظام وإحكام الخطط الحربية، إذ رفض تاج العجم معاونة ابن قادوس، وقال له: لا يمكننى أن أنزل إليك إلا بأمر الأفضل، ولم يحضر عنده ولا أعانه، فأرسل القادوسى إلى قاضى عسقلان وشهودها وأعيانها، وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يومًا، واستدعى تاج العجم فلم يأته، ولم يرسل رجلاً، وفى تلك الأثناء أرسل بلدوين الأول رسالة عاجلة إلى تنكرد الوصى على أنطاكية، وإلى بلدوين دى بورج أمير الرها الجديد، يطلب منه إمداده بنجدة سريعة[2].

ولم تلبث هذه النجدة التى بلغت خمسمائة من الفرسان وألفًا من المشاة أن وصلت يافا فى سبتمبر سنة 1102 م (496 هـ)، وعلى رأسها أميرا أنطاكية والرها، وكان من الممكن ألا يصبح لتلك التجمعات الصليبية شأن كبير فى حالة استبسال الفاطميين فى القتال فى معركة فاصلة ضد الصليبيين، ولكن الجيوش الفاطمية عقب هزيمتها أمام يافا آثرت الانسحاب، وفى أعقابهم الصليبيون. وفى عسقلان ـ ووسط تلك الأزمة ـ طلب الأفضل من شمس الملوك دقاق صاحب دمشق المساعدة على الصليبيين، ولكن دقاق اعتذر عن ذلك ولم يحضر.

صمم الأفضل على مواصلة الجهاد لرد الصليبيين، واستنقاذ ما استولى عليه الصليبيون من الأراضى الإسلامية، وعلى ذلك كون فى أغسطس 1105 م (ذى الحجة 498 هـ) جيشًا يتألف من خمسة آلاف مقاتل[3] من الفرسان والمشاة المصريين

(1) الكامل فى التاريخ، ج9، ص68.
(2) محمد محمد مرسى الشيخ، الجهاد المقدس، ص168.
(3) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص68.

والسودانيين بقيادة ابنه سناء الملك، بالإضافة إلى قطع الأسطول البحرى المصرى، أضف إلى ذلك قوة الدمشقيين التى استعان بها الأفضل عندما كان ظهير الدين طغتكين[1] صاحب دمشق يعرض عليه أن يعاونه فى القتال المشترك بينهما، فقام طغتكين بإرسال ألف وثلاثمائة فارس من الأتراك ممن يجيدون رمى السهام[2].

ونلاحظ هنا، أن تعاونا قد ظهر بين السنة والشيعة، فكان الأفضل يعلم أن مدينة بيت المقدس قد خلت من الحجاج بالإضافة إلى انشغال بعض الإمارات الصليبية الأخرى بالمنازعات، ولاسيما النزاع بين بوهيموند Bohemond صاحب أنطاكية والإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus، الأمر الذى يعرقل وصول مساعدات إلى القدس من أنطاكية ـ إحدى الإمارات التى تأسست عليها المملكة الصليبية الوليدة ـ وعلى ذلك نجحت القوات الإسلامية فى عسقلان، وكانت خطتهم تتلخص فى جذب قوات الصليبيين إلى الرملة وإبقائها هناك، وفى نفس الوقت تتجه بعض القوات الإسلامية إلى يافا لحصارها والاستيلاء عليها فى حين تواصل القوات الإسلامية طريقها ناحية بيت المقدس لمحاصرتها، وكان الهدف من ذلك قطع طريق إمدادات من يافا ومحاصرة بيت المقدس للقضاء على الصليبيين، وهى خطة محكمة فى حالة وجود جيش منظم مدرب يستغل عنصر الوقت والمفاجأة.

---

(1) طغتكين، أبو منصور، المعروف بأتابك، كان من رجال (تاج) الدولة، وزوَّجه بأم ابنه دقاق، وكان مع تاج الدولة لما ذهب إلى الرى لقتال ابن أخيه، ثم رجع إلى دمشق بعد قتل تاج الدولة، وكان أتابك دقاق مدة ولايته، فلما مات دقاق استولى على دمشق، وكان شهما مهيبًا، مؤثرًا لعمارة ولايته، شديدًا على أهل العبث والفساد، وامتدت أيامه إلى أن مات يوم السبت السابع، ويقال الثامن من صفر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة، ودفن عند المسجد الجديد قبلى المصلى.
ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج25، ص35، القرمانى، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمى سعد، ج2، ط. بيروت 1992 م، ص419.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص148،
Jean Richard, Le royaume latin de Jerusalem, P. 34.

وكان الملك بلدوين متواجدًا فى يافا، فلما بلغه أمر تحركات الجيش الفاطمى، تملكه القلق خشية تفوق الفاطميين عليه، والاستيلاء على المدينة. ولو نظرنا إلى الوراء نلاحظ فرقًا كبيرًا بين تفكير بلدوين فى هذه الحملة والحملة السابقة، فهنا نرى بلدوين يقظًا حذرًا، لذلك أراد أن يقابل تحركات الفواطم بنوع من المكر، فتظاهر بعدم معرفته بنية المصريين[1].

وفى ذات الحين، أخذ يجهز جيشه سرًا، واعتمد على كل قادر على حمل السلاح فى مملكته الصغيرة، فرمم الأسوار، وعزز الحصون، وخصص بعض المقاتلين الأشداء للدفاع عن الأسوار، وبعد كل هذا خرج بجيشه متجها نحو عسقلان متخذًا من القاعدة القائلة بأن الهجوم خير وسيلة للدفاع فى حين كان الجيش الإسلامى يتجه إلى يافا متحركًا من عسقلان، ولذلك كان الالتقاء فى مفترق الطرق عند الرملة.

وهنا نلاحظ أن وسائل بلدوين الاستخبارية قد لعبت دورًا مهمًا فى إخباره بتحركات الجيش الفاطمى، فكان على استعداد مسبق بالمعركة الجديدة، وتأمين مملكته.

كما استغل العامل الدينى لإلهاب المشاعر الدينية لسكان المملكة، عندما أرسل إلى أفريمار A framar بطريرك بيت المقدس 1102 ـ 1108 م (496 ـ 502 هـ) يرجوه ومعه عامة الشعب بالتضرع إلى الله وكثرة الصلاة والصوم، ليكون هذا بمثابة فدية لنجدة الصليبيين من أى هزيمة قد تلحق بهم[2]، كذلك حمله مسئولية وعظ الناس على ضرورة التطوع لحمل السلاح، والاتجاه إلى المعركة القادمة[3]. وعلى ذلك تقدم

(1) أسامة زكى زيد، حملات الرملة، ص63.

(2) Fulcher of charters, P. 183.

(3) Ibid, P. 183.

أكثر من مائتين وخمسين مقاتلاً، وفى صباح اليوم التالى ذهب برفقة هؤلاء المتطوعين كثير من القساوسة، وعلى رأسهم أفريمار بطريرك بيت المقدس حاملاً الصليب المقدس[1].

والتحم الطرفان يوم الأحد 27 أغسطس 1105 م (14 ذى الحجة عام 498 هـ)، وكانت معركة شرسة، ذلك أن الجيش الإسلامى كان يزيد على العشرة آلاف مقاتل والجيش الصليبى لا يتجاوز خمسمائة فارس وألفين من المشاة، كما ذكر فوشيه الشارترى[2].

واتسمت المعركة بكثافة استخدام السهام والأقواس التى استمدها الدمشقيون من أساليب الحرب السلجوقية، مع شدة ضربات السيوف وما تميز به الدماشقة من سرعة ومهارة فى تصويب أهدافهم بالسهام، فتمكنوا من محاصرة إحدى الفرق الصليبية وتوجيه ضربات سهامهم إليها، فأثار هذا المنظر ثائرة الملك الصليبى، فأخذ علمه الأبيض من أيدى أحد فرسانه[3]، واقتحم الصفوف وأخذ يهاجم هنا وهناك مع تحميس جنوده وحثهم على ضرورة الصمود والتفانى فى القتال من أجل نصرة المسيحية، وعلى ذلك تمكن من فك الحصار، وفى الحال تشتت شمل الدماشقة ولحقتهم الهزيمة،وفروا من ميدان المعركة.

ولعل ما دفعهم إلى هذا، فرار كثير من المقاتلين المصريين إلى عسقلان وعلى رأسهم قائدهم سناء الملك الذى تمكن من الهرب مباشرة إلى القاهرة، ورغم هذا، فقد صمد كثير من القادة المصريين طوال المعركة، وعلى رأسهم حاكم عسقلان جمال الملك، ولكن لم تطل به الحياة إذ مات شهيدًا أثناء المعركة،وقطعت رأسه وأخذها معه الملك الصليبى، وحزن عليه جنده حزنًا كبيرًا[4].

---

(1) Grousset, Histoire des croisades, Vol. I, P. 244.

(2) Fulcher of charters, P. 185.

(3) Fulcher of charters, P. 186;

أسامة زكى زيد، حملات الرملة، ص66.

(4) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج3، ص350.

وانتهت المعركة بانتصار الجيش الصليبى رغم قلة عدده، وتم أسلاب الجيش الإسلامى، وعاد الصليبيون إلى يافا ومنها اتجه إلى القدس بعد أن تكبد خسائر كبيرة لم يعوضها إلا ما اغتنموه من وراء الاستيلاء على معسكر المسلمين[1].

أما بالنسبة للسفن المصرية المرابطة أمام مدينة يافا انتظارًا للفرصة المواتية للانقضاض على المدينة وغيرها من المدن البحرية الأخرى الخاضعة للصليبيين فسرعان ما وصلتها أنباء هزيمة الجيش الفاطمى، فدب الذعر فى قلوب من فيها من المقاتلين، خاصة بعد أن أمر الملك الصليبى بإلقاء رأس الأمير جمال الملك على ظهر إحدى السفن المصرية، وحينذاك انزعج المسلمون عندما علموا بحقيقة ما حدث لأميرهم. فآثروا الانسحاب إلى عسقلان.

وصادفتهم فى الطريق رياح شديدة أطاحت بعدد كبير من سفنهم، وألقيت بها على الشواطئ الصليبية، فكانت فرصة ذهبية للصليبيين الذين قبضوا على ما فيها بينها لاذت السفن الباقية بالفرار إلى عسقلان[2]، وفق رواية أحد المؤرخين الصليبيين.

ولنتوقف هنا لعقد مقارنة يسيرة بين حملات الرملة الثلاث وموقعة عسقلان فى الثانى عشر من أغسطس 1099 م (493 هـ) ونلاحظ أن موقعة عسقلان كانت بقيادة الوزير الأفضل بعكس حملات الرملة الثلاث، وعلى الرغم أيضًا من أن الحملتين الثانية والثالثة كانت بقيادة أبناء الأفضل شرف المعالى وسناء الملك، فلم يستغل الأفضل عنصر الوقت، بل أضاع وقتًا ثمينًا فى انتظار الأسطول، مما أتاح للصليبيين الفرصة لتجميع شملهم ومهاجمة الأفضل، وعندما أسرع جود فرى دى بويون Godfrey de Bouillion للانضمام إلى تنكرد، خرج من بيت المقدس يوم 19

(1) Fulcher of charters, P. 188.

(2) Ibid.

أغسطس ومعه البطريرك أرنولف Arnoul وروبرت دى فلاندرز، وقصد الرملة، حيث تأكدوا من وصول الفاطميين إلى عسقلان، وبعد قليل لحق ببقية القوى الصليبية روبرت النورمندى وريموند الصنجيلى Raymond of st. Gilles ومعه رجاله[1].

ولم يكد يجتمع شمل القوى الصليبية قرب الرملة فى يوم الأربعاء 10 أغسطس 1099م (20رمضان 492هـ) حتى أخذوا يزحفون جنوبًا فى اتجاه عسقلان حيث باغتوا القوات الفاطمية على حد قول ابن الأثير، وفى المعركة التى دارت بين الطرفين فى يوم الجمعة 12أغسطس عام 1099 (22 رمضان 492 هـ)حلت الهزيمة بالفاطميين[2] وتشتت شملهم بعد قليل، حتى أن بعضهم لم يجد مفرًا سوى البحر، فألقوا بأنفسهم فى اليم حيث غرقوا، فى حين احتمى البعض الآخر "بشجر الجميز" الكثيف، فأحرق الصليبيون بعض الشجر حتى هلك من اختبأ فيه[3].

أما ابن الوزير الأفضل فقد هرب إلى عسقلان ومعه بعض رجاله، ومنها ركبوا سفينة إلى البحر فارين إلى مصر، وهكذا تمكنت سيوف الصليبيين من المسلمين، فأتى القتل على الرجال والمتطوعين وأهل البلد، فكانوا زهاء عشرة آلاف نفس، وُنهب المعسكر[4].

وعلى ذلك فقد علم الصليبيون من انتصارهم فى عسقلان، أن الجنود القادمين من مصر لا يملكون كفاءة الجنود السلاجقة، وليسوا أندادًا لهم، وقد منحهم

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص202.

(2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص22.

(3) ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الإسكندرية 2002 م، ص 216؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الإسكندرية 1998 م، ص141، إسحق أرملة السريانى، الحروب الصليبية فى الآثار السريانية، ط. بيروت 1929 م، ص28.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص137.

إدراكهم لتفوقهم التكتيكى ثقة كبيرة فى أنفسهم، عززت تلك الثقة انتصارهم فى عام 1101م[1].

أما انتصار الصليبيين فى موقعة عسقلان على الفاطميين فقد قضى على هيبتهم بفلسطين، حتى أصبحت أيديهم طليقة فيها، مثلما صارت طليقة فى شمالى بلاد الشام عقب انتصارهم على كربوغًا.

أما عن حملات الرملة، فالحملة الأولى بالنسبة للمسلمين كشفت إهدار المسلمين لعنصر الوقت بالارتداد إلى عسقلان، وقضاء عدة أشهر بها فى انتظار الإمدادات، مع توقف تدريب الجنود خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى فقدان عنصر المفاجأة والحرب النفسية، وظهر ذلك بوضوح عندما قتل قائد الجيش الإسلامى سعد الدولة الطواشى ففر الجنود إلى عسقلان، على الرغم من انتصار المسلمين فى بداية المعركة، وتحطم قوات الصليبيين التى لم يبق منها سوى الثلث تقريبًا.

أما على الجانب الصليبى فنجد أن الصليبيين بقيادة الملك بلدوين الأول، استفادوا من عنصر الوقت خير استفادة فى تجميع الجنود وزيادة تدريبهم، مما انعكس على قدرتهم القتالية، بالإضافة إلى حماسة الملك الصليبى ـ قائد الجيش ـ فعندما لحقت به الهزيمة لم يستسلم، ولكن أسرع بتقوية الروح المعنوية للجنود، ونجح تمامًا فى استغلال العامل النفسى عن طريق رفع الروح المعنوية، فاستطاع هزيمة القوات الإسلامية.

أما الحملة الثانية، فبالرغم من استغلال الأفضل عنصر الوقت من أجل ضرب الوجود الصليبى فى مقتل، بالإضافة إلى تسرع الملك بلدوين وغروره وتفوق الجيش الإسلامى وتحقيق نصر كبير على الصليبيين، إلا أنه مع وجود أسطول مسيحى كبير

(1) سميل، فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق 1982 م، ص59.

انتصر الصليبيون ولاذت القوات الفاطمية بالفرار ناحية عسقلان فى الساعات الأولى من بداية المعركة.

وبالرغم من أن الوزير الأفضل أرسل حملتين: إحداهما برية تحت قيادة المملوك تاج العجم، والأخرى بحرية برئاسة القاضى ابن قادوس، نجد أن القائدين رفضا التعاون مع بعضهما، وبذلك فشلت الحملة الثانية بسبب عدم الاتحاد وتنسيق الجهود الحربية.

أما الحملة الثالثة، فنجحت فى إظهار التعاون بين الشيعة والسنة؛ أى بين الأفضل والدماشقة، بالإضافة إلى ظهور أسلوب الحرب السلجوقية فى استخدام السهام وتصويبها مع ضربات السيوف المتلاحمة.

وعلى النقيض ظهرت قوة الملك الصليبى فى فك الاشتباكات، مما أدى إلى فرار القوات الإسلامية من ميدان المعركة، بالإضافة إلى فرار القائد الفاطمى سناء الملك وتركه المعركة والهرب إلى القاهرة متخليًا عن شرف الشهادة فى سبيل الله.

وعلى هذا يتبين أن موقعة عسقلان وحملات الرملة الثلاث بشكل عام كانت نتيجة التردى العسكرى الذى أصاب الجيش الفاطمى، بالإضافة إلى الترهل السياسى الذى أصاب الدولة الفاطمية فى نهاية عصر الوزراء العظام الذين انعقدت لديهم مقاليد الأمور فى الخلافة الفاطمية دون شخص الخليفة، وهذا لا ينفى وجود قصور فى التكتيكات العسكرية الفاطمية، وهى ضعف مستوى الفرسان العرب، بالقياس بمستوى الفرسان الرماة السلاجقة[1].

زد على ذلك اعتماد الجيش الفاطمى فى القتال المتلاحم على الرمح والسيف

(1) أحمد رمضان أحمد، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة، ب.ت، ص43 ـ 46.

الذى كان الصليبيون أكثر تفوقًا فيه. أما فيما يتعلق بعناصر الرمى فقد اعتمد الجيش الفاطمى على مغارز الرماة المشاة من السودانيين، الأمر الذى أفقدهم خفة الحركة اللازمة، فلم يشكل الرماة الفرسان جزءًا يعتد به فى الجيش الفاطمى، خلافًا لما ظهر فى معركة الرملة عام 1105 م (499 هـ) عندما كانت تدعم الجيش الفاطمى فرقة تركية[1] وفق ما قرره البعض.

ولم تتوقف المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين بقيادة بلدوين الأول عند مصر بل امتدت إلى بلاد الجزيرة والشام، فقد رأى الصليبيون أن الفرصة سانحة للانقضاض على المسلمين والاستيلاء على حران، وذلك فى عام 1103 م (497 هـ)، نظرًا لأهمية هذه المدينة ووقوعها على طريق الموصل إلى بغداد وقطع الصلة بين المسلمين فى العراق وفارس عن إخوانهم فى الشام والجزيرة، بالإضافة إلى أن سقوط حران بأيديهم سيعطيهم فرصة لمهاجمة الموصل نفسها وتأمين الرها[2]، والسيطرة على إقليم الجزيرة.

وقد استغل الصليبيون النزاع الذى نشب بين جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق صاحب ماردين، بالإضافة إلى ما دار فى حران نفسها من النزاع بين بعض الزعماء المحليين، سار الصليبيون إلى حران ومعهم كل من بلدوين دى بورج Baldwin de Bourg صاحب الرها Edessa وبوهمند الثانى Bohemond II صاحب أنطاكية ومعه تنكرد Tancard، الأمر الذى أزعج كلاً من جكرمش وسقمان بن أرتق وجعلهما يتناسيان ما بينهما من حزازات قديمة ويتفقان على مقاومة الصليبيين.

---

(1) أحمد رمضان أحمد، "حول وسائل الصراع المسلح الإسلامى الصليبى فى العصور الوسطى"، مجلة المستقبل العربى، العدد 102، مركز دراسات الوحدة العربية 1987 م، ص80، 81.

(2) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط2، بيروت 1993 م، ص99.

والتقى الأميران المسلمان عند رأس العين على نهر الخابور[1] فى إبريل 1104م (أوائل شعبان سنة497هـ)[2]، وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان، ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك، والعرب، والأكراد[3].

وتوجه جكرمش وسقمان لمهاجمة الرها والنَّيْل منها، ولكن بلدوين دى بورج Baldwin de Bourg صاحب الرها Edessa، أدرك خطر المسلمين على الرها، فطلب من أصحابه التقدم صوب حران فتقدموا إليها وضربوا عليها حصار كاد يؤدى إلى سقوطها فى أيديهم.

ولكن الخلاف الذى وقع بين زعماء الصليبيين حال دون سقوط حران، حتى وصلت الجيوش الإسلامية التى عدلت عن المسير إلى الرها، فدارت بين الطرفين معركة عنيفة عند نهر البليخ، وهو أحد روافد نهر الفرات، فانهزم الصليبيون، ووقع بلدوين صاحب الرها وجوسلين صاحب تل باشر فى أسر المسلمين[4]. وبلغ عدد القتلى من الصليبيين أكثر من عشرة آلاف فارس وربما كان فى التقدير بعض المبالغة[5]. وفر بوهمند صاحب أنطاكية بمن تبقى معه من رجال.

وقد ترتب على هزيمة الصليبيين فى هذه المعركة نتائج ذات أهمية كبيرة، إذ إنها

(1) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص 73، خلف عبد العليم إسماعيل، إمارة الموصل وعلاقتها بالقوى الصليبية من الحملة الصليبية الأولى إلى نهاية الدولة الزنكية من 491 هـ/ 1097 م ـ 581 هـ/ 1185 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا 1991 م، ص70، كمال بن مارس، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل وحلب) من 464 ـ 583 هـ/ 1071 ـ1187 م، ط.القاهرة 2004 م، ص83.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص143.

(3) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص73.

(4) عن أسر بلدوين صاحب الرها وجوسليس صاحب تل باشر، انظر محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى فى أيدى الحكام المسلمين، ط. بيروت 1986 م، ص 27 ـ 29، حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية، ج1، ط. القاهرة 1971 م، ص173.

(5) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص143.

أدت إلى تقوية نفوس المسلمين فى الدفاع عن أراضيهم، كما أن هذه المعركة أوقفت زحف الصليبيين صوب الشرق، وقضت على آمالهم فى التقدم نحو العراق، وإتمام سيطرتهم على إقليم الجزيرة، كما خيبت مطامع بوهيموند، وقضت على مطامع الصليبيين بقطع الصلة بين القوى الإسلامية فى الشام والجزيرة وآسيا الصغرى عن طريق الاستيلاء على حلب(1).

وعلى الرغم من أن الصليبيين قد توقفوا فى توسعهم نحو الشرق عقب موقعة حران، إلا أن التحالف الذى انعقد بين سقمان بن أرتق وجكرمش لم يستمر طويلاً(2)، حيث وقع الشقاق بينهما بعد نصر حران، بسبب الخلاف على توزيع الغنائم حين حصل التركمان الذين كانوا مع سقمان على معظم الأسرى، والغنائم التى استولوا عليها عقب هزيمة الصليبيين.

وهكذا حقق جكرمش وسقمان بن أرتق للمسلمين أول نصر حاسم على الصليبيين، ومهدوا الطريق لظهور قيادات وأحلاف إسلامية وجهت الضربات المتتالية للصليبيين فى الشام والجزيرة ومنعتهم من تحقيق مطامعهم.

ويلاحظ أنه من قبل حدث مثل ذلك التحالف، ففى سنة 1103 م (497 هـ) تحالف سقمان بن أرتق مع سالم بن بدر العقيلى صاحب قلعة جعبر، ونجحا فى صد الصليبيين عنها(3)، وتشجع سقمان بن أرتق على الدخول فى محالفات

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، الحياة السياسية والتنظيمات الإدارية والمالية فى دول أتابكية الموصل والجزيرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1971 م، ص169؛ عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية فى الجزيرة والشام (465 ـ 812 هـ/ 1072 ـ 1409 م)، ط. بيروت 1980 م، ص214، 215.

(2) عبد الغنى إبراهيم رمضان، السلاجقة والصليبيون من موقعة ملازكرد 465 هـ/ 1071 م، حتى سقوط الرها 539 هـ/ 1144 م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1957 م، ص59.

(3) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص10؛ عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية، ص218.

مع القوى الإسلامية فى بلاد الشام ضد الصليبيين، ولكنه ذهب ضحية محاولاته، حيث توفى فى السنة التالية 1104 م (498 هـ)، عندما كان فى طريقه إلى بلاد الشام لنجدة ابن عمار صاحب طرابلس ضد الصليبيين.

أما جكرمش صاحب الموصل فقد ذهب ضحية الفتن والقلاقل التى كانت قائمة بين السلاجقة، ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه قد استاء من بعض تصرفات جكرمش، فأقطع أحد مماليكه ويدعى جاولى سقاوة الموصل ودياربكر والجزيرة كلها، وطلب منه المسير إلى تلك البلاد.

فلما وصل جاولى إلى مقربة من الموصل سنة 1106 م (500 هـ) لقيه جكرمش، ودارت بين الطرفين معركة، وقع فيها جكرمش أسيرًا فى يد جاولى، فقتله واستولى على الموصل من زنكى بن جكرمش[1].

غير أن أمره لم يطل بالموصل، فقد أساء السيرة فى الرعية، ولم يقم بواجب الطاعة وتقديم المساعدة للسلطان محمد بن ملكشاه، ولم يكتف بهذا، بل أطمع بعض أعداء السلطان فى الخلاف والعصيان[2]، مما أثار عليه حقده، فطلب من بعض قادة الأتراك التوجه إلى الموصل بزعامة مودود بن التوتنكين، فتوجهوا إليها، وشددوا الحصار عليها حتى استولوا على الموصل فى سنة 1108 م (502 هـ)، فلما تم لهم ذلك ولى عليها السلطان محمد بن ملكشاه مودود الذى أصبح أحد زعماء المسلمين بما حققه من بعث لفكرة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين، وما سعى إليه من محاولة لتوحيد قوى الشام مع الجزيرة للوقوف فى وجه الصليبيين[3] بقيادة الملك بلدوين الأول.

---

(1) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص156.

(2) سعيد أحمد برجاوى، الحروب الصليبية فى المشرق، ص218.

(3) ابن القلانسى، المصدر السابق، ص160؛ ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط3، بيروت 1986م، ص198.

وعندما استقر مودود فى حكم الموصل[1] سعى إلى تحقيق ما فشل فيه كل من جكرمش وجاولى من توطيد العلاقات بالسلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه، وسعى إلى تحقيق رغبة السلطان فى كل ما يطلبه منه، ففى سنة 1109م (503 هـ) تلقى مودود نداءً من السلطان يدعوه إلى القيام بجهاد الصليبيين والابتداء بالرها وزودوه بعدد من قادة الأتراك، وانضم إليهم نجم الدين أيلغازى صاحب ماردين، فلما اجتمعوا ساروا إلى سنجار، وفتحوا عدة حصون للصليبيين حتى وصلوا الرها، فأحكموا الحصار عليها، غير أنهم رحلوا عنها من غير أن يملكوها.

ويبدو أن انسحاب مودود عن الرها كان هدفه ملاقاة الصليبيين الذين كانوا قد تجمعوا بتحريض من ملك بيت المقدس، وقصدوا عبور الفرات إلى الرها وحران[2].

غير أن زعماء الصليبيين لم يستطيعوا عبور الفرات لتقديم النجدة العسكرية لإخوانهم فى الرها، ورأوا أن العودة إلى بلاد الشام أفضل من المضى قدمًا فى ميدان مكشوف، حتى لا يصيبهم ما أصاب إخوانهم سنة 1104 م (497 هـ) فى موقعة حران. فعادوا إلى الشام، وفى طريق عودتهم أخذوا فى تخريب البلاد الإسلامية

---

(1) أبو الفداء، المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ب.ت، ص223؛ ابن نظيف الحموى، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ج21، دمشق 1995م، ص299، ابن أبى الدم الحموى، التاريخ المظفرى، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ج21، دمشق 1995 م، ص 217.

(2) عفاف صبرة، " الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره فى حركة الجهاد الإسلامى"، مجلة الدارة، السنة 12، العدد 2، 1986 م، ص117 ، 118؛ أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة فى الفترة ما بين 435ـ 570 هـ، ط. عمان 1988 م، ص119.

التابعة لحلب، ولم يكتفوا بهذا، بل فرضوا على رضوان[1] صاحب حلب مبلغ عشرين ألف دينار وعشرة رؤوس من الخيل مع تقديم المؤن والعتاد للصليبيين بالرها[2].

أما الجيوش الإسلامية بقيادة مودود فقد عادت إلى حصار الرها للمرة الثانية 1109م/ 503هـ، ولم تستطع اقتحامها بسبب ما وصلها من الذخائر والمؤن والأمتعة من الصليبيين، مما اضطر المسلمين إلى الرحيل عنها، ولم يبلغوا عزمهم، ولكنهم ساروا فى ملاحقة الصليبيين العائدين إلى بلاد الشام، ولم يلحقوا بهم، فقد حاصروا تل باشر وهى من كبريات مدن إمارة الرها مدة خمسة عشر يوما وأربعين يوما بدون طائل[3].

وعندما عاد مودود وقادة السلاجقة أدراجهم إلى بلادهم، سار ظهير الدين طغتكين الذى قدم من دمشق لمساعدة مودود إلى بلاده خوفًا من أن يغدر به الصليبيون هناك.

ويشير ابن القلانسى إلى أن تفرق الجيوش الإسلامية عام 1109 م (503 هـ)

(1) رضوان بن تتش بن ألب أرسلان بن جعزى بك بن سلجوق بن دقاق أبو المظفر التركى السلجوقى، ولد سنة خمس وسبعين وأربعمائة، ونشأ فى دمشق، كان بدمشق عند توجه أبيه إلى ناحية الرى، وتوجه من حلب بعد قتل أبيه إلى دمشق أو حاصرها بعد موت أخيه دقاق، وقرر الخطبة والسكة باسمه، وعاد إلى حلب، وتوفى فى سنة سبع وخمسمائة.
انظر ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ج8، ط. دمشق 1988 م، ص 3659 ـ 3667، صلاح الدين الصفدى، أمراء دمشق فى الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق 1955م، ص33.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص169 ـ 170، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان ج2، ط. دمشق 1954 م، ص156.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، ط.القاهرة 1963 م، ص17.

ورفعها الحصار عن الرها كان بسبب الخلاف الذى حصل بين بعض قادة الأتراك السلاجقة ونجم الدين أيلغازى صاحب ماردين[1].

وعلى الرغم من أن الحملة التى قادها مودود ضد الصليبيين سنة 1109 م/ 503 هـ لم تؤد إلى سقوط بعض معاقل الصليبيين بيده، إلا أنها كانت علامة واضحة على مواصلة بعث فكرة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين الذى انطلق من منطقة الجزيرة، كما أدى إلى توطيد عرى التحالف السياسى والعسكرى بين شرف الدين مودود صاحب الموصل وظهير الدين طغتكين صاحب دمشق، وشجعت القوى الإسلامية على التحالف فى جبهة واحدة ضد الخطر الصليبى المتزايد[2].

فبعد تفرقة الجيوش الإسلامية فى حملة مودود الأولى التى قام بها ضد الصليبيين زادت أطماع الصليبيين فى التضييق على المسلمين فى بلاد الشام، وفرضوا على حلب ما لا طاقة له لزعيمها رضوان بدفعه، واستولوا فى سنة 1110 م (504 هـ) على قلعة الأثارب التابعة لحلب[3].

واستاء المسلمون من هذه الأوضاع المتردية، وارتفعت الأصوات تنادى بالجهاد، ولم يكن هناك من القادة المسلمين من يستطيع تلبية داعى الجهاد سوى شرف الدولة مودود، فقد لبى النداء وخرج فى نفس السنة 1110 م (504 هـ) بمن معه من المسلمين من الموصل، ووصل إليه عدد من الأمراء السلاجقة بأرض حران فى المحرم من سنة 1111 م (505 هـ)[4].

---

(1) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص170.

(2) ابن القلانسى، المصدر السابق، ص170، مسفر بن سالم عويج الغامدى، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى ص144، كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص113.

(3) Benjamin Z. Keder, Crusader and Mission European Approaches, toward the Muslims, New Jersey 1984, P. 75.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص158، ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص174.

وعزم الأمراء المسلمون بقيادة مودود على عبور الفرات[1]، والمسير إلى بلاد الشام حيث وصلتهم بحران أخبار من صاحب شيزر باستعدادات الصليبيين، فساروا ونزلوا على تل باشر، غير أن جوسلين استغل الخلافات القائمة بين بعض الأمراء المسلمين، فتقدم إلى أحمديل الكردى صاحب مراغة، وأعطاه مبلغًا من المال[2].

أما من بقى من المسلمين مع مودود على نية الجهاد فإنهم رأوا الاستعانة برضوان صاحب حلب. غير أنه لم يلتفت إليهم، ولم يكتف بهذا بل أغلق أبواب حلب فى وجوههم، فسار مودود ومن بقى معه من رجال حتى وصلوا إلى معرة النعمان[3]، حيث انضم إليهم هناك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق.

وسار مودود ومعه طغتكين من معرة النعمان إلى نهر العاصى، ووجد الصليبيون الفرصة سانحة للانقضاض على قوات مودود وطغتكين، فاجتمعوا فى أفامية بقيادة تنكرد صاحب أنطاكية ومعه بلدوين الأول وبلدوين دى بورج أمير الرها، وعزموا على المسير إلى غرب نهر العاصى للقاء المسلمين، فتم اللقاء بين الطرفين عند نهر العاصى فى ربيع الأول سنة 1111 م (505 هـ) وظفر المسلمون بالصليبيين، فارتفعت المعنويات وقويت النفوس على مواجهة الصليبيين، وعاد بعدها طغتكين إلى دمشق، بينما عاد مودود إلى الموصل[4].

(1) فايد حماد محمد عاشور، جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية، ط3، بيروت 1985 م، ص155.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص159، سعيد السيد على فرغلى، آل كورتيناى ودورهم فى الصراع الإسلامى الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1992 م، ص 41، حامد زيان غانم، الصراع السياسى والعسكرى بين القوى الإسلامية، ط. القاهرة 1983 م، ص 60.

(3) عن معرة النعمان، انظر مها يسرى محمد، معرة النعمان ودورها فى عصر الحروب الصليبية (1097 ـ 1291 م / 490 ـ 690 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1998 م، ص170 ـ 172.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص161؛ سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج8، ص36، 37.

وعلى الرغم من أن حملة مودود الثانية لم تحقق ما كان مرجوًا منها، فإن هذا لا يعد فشلاً فى حركة بعث فكرة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين، بل إنها ثبتت الدعائم التى كانت قد وضعت فى حران سنة 1103 م (497 هـ)، وساعدت على مواصلة الجهاد الإسلامى[1].

ومما يؤكد عزم المسلمين على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين أن مودود بعد عودته إلى الموصل جّهز حملة عسكرية فى سنة 1112 م (506 هـ)، سار بها إلى الرها بقصد الاستيلاء عليها فحاصرها فترة من الزمن، ولما آيس من الاستيلاء عليها اتجه نحو سروج[2].

ورغم هذه الهزيمة التى منى بها مودود فإن عقد العزم على الخروج فى حملة ثالثة ضد الصليبيين بالشام فى نفس السنة 1112 م (506 هـ)، مما عكس إصراره على الجهاد توثق التحالف والمودة بينه وبين ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق[3]. ولم تنته سنة 1112 م (506 هـ) حتى تعرضت مناطق دمشق وغيرها من بلاد الشام بغارات عنيفة شنها بلدوين الأول، واضطر طغتكين إلى طلب النجدة من شرف الدين مودود صاحب الموصل، فما كان من الأخير إلا أنه وجه الدعوة لعدد من أمراء المسلمين بالجزيرة وطلب منهم المسير معه لنجدة طغتكين.

فلما سمع طغتكين بقدوم قوات الجزيرة خرج من دمشق ولقيها ببلدة سلمية، ووصلوا مسيرهم جميعا عبر الأردن حتى وصلوا إلى الأقحوانة[4]، ومنها ساروا إلى

(1) مسفر بن سالم الغامدى، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى، ص147.
(2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص147.
(3) عفاف صبرة، الأمير مودود التونتكين، ص124.
(4) العينى، عقد الجمان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج24، دمشق 1995 م، ص 50؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ط. القاهرة 1974 م، ص217؛ محمود الحويرى، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها فى التصدى للصليبيين، ط. القاهرة 1992 م، ص68؛ جمال محمد حسن زنكى، إمارة دمشق فى المرحلة المبكرة للحروب الصليبية، ص67، 68.
John L. Monte, Crusade and Jihad in the Arab Heritage, New Jersey 1944, P. 169; Fink, Mawdud I of Mosul, precursor of Saladin, The Muslim Word, vol. XLIII, 1953, P. 23; Hadia Dajani Shakeel, Diplomatic Relations Between Muslim and Frankish Rulers 1097-1153. A.D. in Crusades and Muslims in Twelfth Century Syria, New York 1993, P.204.

طبرية حيث عسكر هناك الصليبيون بزعامة بلدوين الأول وجوسلين صاحب تل باشر وروجر صاحب أنطاكية.

وفى يونيه 1113 م (المحرم 507 هـ) التقى المسلمون بالصليبيين ودار القتال بين الطرفين فانهزم الصليبيون[1]، ووقع كثير منهم فى الأسر، ومنهم بلدوين الأول إلا أنه استطاع الفرار.

وحاصر المسلمون الصليبيين حول طبرية ستة وعشرين يومًا، ساروا بعدها إلى بيسان، ودمروا أراضى الصليبيين الواقعة بين عكا وبيت المقدس[2]، فارتفعت معنويات المسلمين بما وصل إليه الصليبيون من هزيمة.

ولما طال المقام بعساكر الجزيرة فى بلاد الشام استأذن بعضهم مودود فى العودة إلى بلادهم فأذن لهم، فقرر مودود وطغتكين العودة إلى دمشق، فدخلوها فى أغسطس 1113 م (ربيع الأول 507 هـ) بعد أن اطمأن إلى ما حل بالصليبيين من هزيمة عند طبرية[3]، وهى هزيمة أعادت للمسلمين بالشام ما كانوا قد أيسوا من تحقيقه بعد مضى سنوات عديدة من دخول الصليبيين إلى بلاد الشام.

وقد ترتب على انتصار المسلمين عدد من النتائج المهمة منها: أن شرف الدين مودود ـ على قصر مدته ـ أصبح نقطة تحول فى تاريخ الصراع الإسلامى ـ الصليبى

(1) Elizabeth Siberry, Criticism of Crusading 1095 - 1274, Oxford 1985, P. 77.

(2) الحافظ الذهبى، العبر فى خبر من غبر، ج4، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت 1963 م، ص120.

(3) أبو شامة، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ق1، ط. بيروت، القاهرة 1956 م، ص68، ابن العبرى، تاريخ الزمان، ت: إسحق أرملة، ط. بيروت 1986 م، ص134، ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج2، ط. بيروت 1996 م، ص21، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ط. بيروت 1991 م، ص674، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط3 بيروت1986 م، ص198، ابن أبى الدم الحموى، من تاريخ ابن أبى الدم، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ج21، دمشق 1995 م، ص219.

خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة، جعلت مملكة بيت المقدس تركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فاقتصر بلدوين الأول خلال السنوات الباقية من عمره على الدفاع عن الكيان الصليبى.

وعلى الرغم مما حققه شرف الدين مودود من جهود كبيرة فى سبيل توحيد قوى الشام والجزيرة، فقد تعرض بعد دخوله دمشق للاغتيال على يد نفر من الباطنية، عندما كان يصلى بالجامع الأموى بدمشق فى آخر جمعة من 28ربيع الأول 507 هـ الموافق 12سبتمبر 1113 م[1].

الواقع أن حركة الجهاد ضد الصليبيين لم تتوقف بمصرع مودود، وذلك أن السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه لما بلغه مقتل مودود، أسند حكم الموصل وأعمالها إلى أقسنقر البرسقى[2]، وكتب إلى سائر الأمراء السلاجقة بطاعته والمسير معه لقتال الصليبيين.

---

(1) ابن واصل الحموى، التاريخ الصالحى، الموسوعة الشامية، ج21، ص456، العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج3، القاهرة 1350 م، ص21، ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ مصطفى عبد القادر عطا، ج17، ط. بيروت 1992 م، ص 123، ميخائيل السريانى، تاريخ مار ميخائيل، ت: مارغريغوريوس صليبا شمعون، ط. دمشق 1996 م، ص186، عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبى عصر ولاة السلاجقة فى الموصل 489 ـ 521 هـ/ 1095 ـ 1127 م، ط. الرياض 1981 م، ص50، أمين توفيق الصليبى، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص11، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2005 م، ص81 ـ 86.

(2) الأصفهانى، كتاب تاريخ دولة آل سلجوق، ط. القاهرة 1900م، ص159، ابن واصل، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج1، ط.القاهرة 1953م، ص29.
هو قسيم الدولة أبو المظفر أقسنقر بن عبد الله التركى البرسقى كان شجاعًا همامًا، وكان شحنة بغداد فى أيام المسترشد بالله، وكان خفيف الوطأة، عنه انظر: ابن الفوطى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج4 ـ ق3، ط. دمشق 1965م، ص588،589؛ ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج4، ص1963 ـ 1969.

وقاد أقسنقر البرسقى جيشًا ضخمًا بهدف الاستيلاء على مدينة الرها، فبلغها وفرض عليها الحصار فى يوم الجمعة 15مايو 1114 م (7 ذى الحجة 507 هـ)، غير أنه رفع الحصار عنها وغادرها بعد شهرين، بسبب المصاعب التى واجهته فى توفير المؤن من ناحية، والخلاف الذى نشب بينه وبين أيلغازى بن أرتق صاحب ماردين[1]، الذى امتنع عن المشاركة فى حصار الرها.

على أن الخلاف بين أيلغازى والبرسقى سرعان ما تحول إلى قتال بينهما فى بداية العام التالى (1115 م)، وانتهى بهزيمة الأخير هزيمة ساحقة، أدت إلى إعفائه من حكم الموصل[2]. فاكتفى بإقطاعه فى الرحبة، ثم عهد السلطان السلجوقى محمد بجيوشه إلى برسق بن برسق أمير همذان، وأمره بالمضى لقتال الصليبيين.

أما الرها فقد حاصرها فترة، ومن بعد ذلك تحرك قاصدًا حلب ليتخذها قاعدة لعملياته الحربية فى بلاد الشام غير أن الطواشى لؤلؤ صاحب النفوذ الفعلى فى حلب بعد وفاة صاحبها رضوان فى عام 1113 م/ 507 هـ رفض أن يفتح أبواب المدينة للجيوش السلطانية[3]، كما فعل رضوان من قبل عام 1110 م (504 هـ)، واستنجد لؤلؤ بأيلغازى صاحب ماردين وطغتكين صاحب دمشق لمساعدته، ولم يتردد هؤلاء جميعًا فى التماس المساعدة من روجر صاحب أنطاكية[4]. الذى رحب بذلك وسرعان ما خرجت قوات دمشق وحلب جنبا إلى جنب مع قوات روجر، وعسكرت فى معسكرين أحدهما تركى والآخر صليبى بالقرب من أفامية لمراقبة برسق فى المحرم عام 1115 م (509 هـ)، ويضاف إلى ذلك، استدعى روجر زعماء

---

(1) عن هذا الخلاف انظر: ثريا محمد عطية الغانمى، جهاد الموصل ضد الصليبيين فى عهد أميريها مودود التونكين وأقسنقر البرسقى 500 ـ 520 هـ/ 1106 ـ 1126 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، 1983م، ص117 ـ 122.

(2) نفسه، ص122، أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة، ص127.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ج2، ص176.

(4) أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة، ص 126.

الصليبيين الآخرين لمساندته، فانضم إليه فى أفامية فى شهر أغسطس بلدوين الأول وبونز صاحب طرابلس وبلدوين دى بورج صاحب الرها.

على أية حال، أصبح الموقف آنذاك مهيأ لخوض معركة كبيرة بين جيوش السلطان بقيادة برسق، والجيوش الصليبية، والتركية المتحالفة، ولكن المعركة لم تحدث، إذا أدرك برسق صعوبة موقفه، ورأى من الحكمة الانسحاب بقواته[1].

والواقع أن انسحاب برسق كان مناورة، إذ عاد بعد قليل وانقض على كفر طاب التابعة لأنطاكية، واستولى عليها ودمرها فى 3سبتمبر 1115 م (11ربيع الثانى عام 509 هـ)، ثم تحول عنها إلى معرة النعمان، وهدد حلب، وأنطاكية، ولما علم روجر أن برسق فى طريقه إلى تل دانيث الواقعة فى منتصف الطريق بين أفامية وحلب نصب له كمينًا فيها، وفاجأ قواته فى 14سبتمبر، وأنزل بها هزيمة ساحقة[2]، فر برسق على أثرها.

وفى هذه المعركة قتل الصليبيون من قوات برسق ثلاثة آلاف رجل، وأسروا النساء، وأشعلوا النار فى الأطفال والشيوخ مما عكس وحشيتهم ودمويتهم، كما أرسلوا من تبقى من الأسرى إلى حلفائهم طغتكين وإيلغازى ولؤلؤ، وقد استغرق الصليبيون يومين أو ثلاثة فى تقسيم الغنائم، التى قدرها البعض بحوالى ثلاثمائة ألف بيزنت[3].

وتركت هزيمة تل دانيث جرحًا عميقًا فى نفوس المسلمين، وكشفت تلك الهزيمة عن حقيقة لا ينبغى إغفالها، وهى أن القوى الإسلامية فى الشرق مازالت منقسمة على نفسها، كان من نتائج موقعة دانيث أيضًا أن استطاع روجر الأنطاكى

(1) عبد الغنى إبراهيم رمضان، السلاجقة والصليبيون من موقعة ملاذ كرد، ص104 ، 105.

(2) الذهبى، العبر فى خبر من غبر، ج4، ص17، عبد النعيم محمد حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ط. القاهرة 1959 م، ص110، فايد حماد عاشور، جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية، ص160.

(3)Taef Kamal El – Azhari, The Saljūgs of Syria during the Crusades 463-549 A.H./ 1070-1154 A.D., Berlin 1997, P.151; Corole Hillen Brand, The Crusades Islamic perspectives Edinburgh University Press, 1999, P.80.

الصليبى أن يهدد باقى الإمارات الإسلامية المجاورة لإحساسه بضعف القوى الإسلامية وتفككها واضطراب أحوال بعضها داخليًا.

وعقب الغزو الصليبى للشرق الإسلامى ظهر الجهاد بكل أنواعه، ومنه ما أطلق عليه المقاومة الشعبية محاربة الصليبيين فى المناطق الفلسطينية للاحتلال الصليبى، فكانت جماعة الحجاج هدفا لرجال المقاومة الإسلامية، وأيضًا البدو الذين أضيروا من هذا الغزو، فاستغلوا الأماكن الطبيعية مثل: الكهوف والمغاور، والغابات الكثيفة والمناطق التى توجد بها الوديان، مع استغلال جهل هؤلاء الحجاج بجغرافية البلاد.

فكان أكثر الطرق تعرضًا للأخطار هو الطريق الواصل بين الساحل وبين بيت المقدس (أى طريق يافا ـ القدس)، فكانت تلك الهجمات ترفع من إصابات الصليبيين بين قتلى وجرحى[1]. كذلك أشار الرحالة سايولف Saewulf الذى مر بالطريق المذكور بين عامى 1102 ـ 1103 إلى ذلك بقوله:

"اعتاد المسلمون على نصب الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ أنهم كانوا يختبئون فى الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصخرية، ويراقبون ليلاً ونهارًا حتى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على أولئك الذين يتخلفون وراء جماعتهم بسبب التعب والإرهاق، وفى لحظة ما يمكن رؤيتهم فى كل مكان، ثم يختفون كليًا.

ويمكن لأى شخص يقوم بمثل هذه الرحلة أن يرى ذلك. كم هو كبير عدد الجثث الملقاة أو الممزقة من قبل الوحوش فى الطريق أو على جانبه، ويمكن للبعض

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 353,

سعيد عبد الله البيشاوى، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين 492 ـ 513 هـ/ 1099 ـ 1187 م، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491 ـ 690 هـ ج 1، جامعة اليرموك 2000 م، ص220.

أن يندهش، لأن الجثث المسيحية ملقاة هناك غير مدفونة، ولكن يجب أن لا يندهش المرء بتاتًا، حيث إنه لا يوجد إلا قليل من التراب، ولا يمكن الحفر بسهولة فى الصخور الصلبة، وحتى لو وجدت الأرض الترابية من هو الأحمق الذى سيكون بوسعه ترك جماعته، والقيام بمفرده بحفر قبر لأحد رفاقه، لو فعل ذلك فإنه سيكون مستعدًا لحفر قبر لنفسه بدلاً من قبر لرفيقه"[1]. هكذا، كشفت لنا تلك الرحلة قوة المقاومة الإسلامية فى ذلك الطريق والتى دفعت الصليبيين إلى تجنب دفن قتلاهم خوفًا من أن يغتنم المسلمون الفرصة ويفتكون بهم[2].

ويتضح من حديث سايولف أن المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الغزاة كانت متأججة منذ بداية الغزو، وإنها كانت تحدث خسائر مادية وبشرية مؤثرة[3].

ومن الملاحظ أن نص ذلك الحاج الروسى يوضح صورة صادقة للطريق المذكور فى عهد الملك بلدوين الأول، وهو طريق على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة الصليبية، إذ إنه الممر الحيوى والرئيسى الذى سلكه الحجاج القادمون من أوربا لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية فى أنحاء المملكة الصليبية، وأهمها بيت المقدس بطبيعة الحال. إن مسألة تدفق الحجاج إلى تلك المواقع كانت بالغة الحساسية للمملكة الصليبية، إذ إنها كانت تعنى قدرتها على حماية المحارم المسيحية المقدسة، كما لا نغفل أن المكانة الدولية لتلك المملكة تأتت لها من خلال حمايتها لطرق الحج المسيحى فى فلسطين.

مهما يكن من أمر، فقد استمرت المقاومة الشعبية الفلسطينية فى مواجهة القوات الصليبية، وتمكنت إحدى المجموعات المسلحة من نصب كمين للملك بلدوين

---

(1) رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضى المقدسة، ت. سعيد البيشاوى، ط. عمان 1997 م، ص23.

(2) محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص43.

(3) سعيد البيشاوى، المقاومة الشعبية الفلسطينية، ص220.

الأول فى شهر يوليو عام 1103 م (ذى الحجة 496 هـ)، ونجح أفراد المجموعة فى إصابة الملك إصابة وصفت بأنها كانت خطيرة، وكادت أن تودى بحياته[1].

ولعل هذه الحادثة توضح أن المجموعات الإسلامية المسلحة، كانت توجه جهودهًا لمحاربة الجنود والفرسان الصليبيين، وليس فقط للحجاج الغربيين الذين كانوا يفدون إلى فلسطين من أجل زيارة الأماكن المقدسة، وممارسة شعائر الحج المسيحى، بدليل مهاجمتهم للملك الصليبى الذى لاشك أنه عبر الطريق بحراسة مشددة من الفرسان والجنود المدربين والمجهزين بالأسلحة.

ونتيجة لما حدث للملك بلدوين الأول وكرد فعل غاضب، فإنه أمر فرسانه وجنوده بتعقب المجموعات الإسلامية المسلحة العاملة فى المنطقة[2]، وقتل جميع أفرادها.

كما أمر بجمع كل أنواع المواد القابلة للاشتعال أمام مداخل الكهوف، وأطلق فيها النيران، وكان أمله بهذه الوسيلة أن يجبر الهاربين المختبئين داخل الكهوف على الاستسلام[3]. ويذكر المؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى أن الصليبيين قاموا بقتل نحو مائة رجل من أفراد المقاومة الشعبية بمجرد خروجهم من الكهوف والمغاور[4]، مما يدل على وحشية ودموية الصليبيين وأنهم أتوا للإبادة وسفك الدماء.

ذلك عرض عن سياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة. أما الفصل التالى فيتحدث عن العمارة الحربية فى عهده.

* * *

(1) Albert d' Aix, PP. 602-603;

حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 1997م، ص394.

(2) حسن أحمد عبد الجليل البطاوى، "رحلات الحجاج الأوربيين إلى الدول الصليبية فى الشرق الإسلامى (492ـ583 هـ 1099ـ1187 م)"، مجلة المؤرخ المصرى، العدد 26، يناير 2003 م، ص205.

(3) William of tyre, Vol.I, P. 426.

(4) Fulcher of Charters, P. 144.

■ الفصل الثالث

العمارة الحربية فى عهد بلدوين الأول



يتناول هذا الفصل بالدراسة سياسة بلدوين الأول Baldwin I تجاه تشييد القلاع والحصون، ويتعرض لدوافع تشييد هذه القلاع فى فترة عهده الممتدة من (1100 م - 1118 م/ 494 هـ - 512 هـ).

ومن الملاحظ أن أعداد الصليبين فى مملكة بيت المقدس الصليبية فى فترة الدراسة ببلاد الشام كانت قليلة إذا ما قورنت بأعداد المسلمين أصحاب الأرض، ولا شك فى أن هذا الأمر قد مثل عبئًا ثقيلاً على الكيان الصليبى.

وترجع مشكلة نقص العنصر البشرى لدى الصليبيين إلى عدة أسباب منها: قلة أعداد الصليبيين الوافدين من الغرب، فقد وصل إلى بلاد الشام نسبة محدودة من الصليبيين الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى، فكثير من هؤلاء تعرضوا فى الطريق للجوع والهلاك تحت وطأة الظروف القاسية التى اعترضت طريقهم منذ خروجهم من غرب أوربا، بالإضافة إلى المجاعات والأوبئة التى قضت على أعداد كبيرة منهم، وعندما وصل الصليبيون إلى الشرق بدأ الأمراء فى تحقيق أطماعهم الشخصية، وتفرقت الجموع الصليبية فرقًا شتى خلف أمرائهم، فاتجهت مجموعة منهم شرقًا إلى الرها، ومجموعة أخرى استقروا فى أنطاكية، ودخل الباقون إلى بيت المقدس[1].

أضف إلى ذلك عودة بعض الصليبيين إلى الغرب الأوروبى بعد ما حققوه فى الشرق من وضع اللبنة الأولى من الكيان الاستيطانى. فضلاً عن عودة جماعات

(1) عن ذلك انظر: راغب حامد البكر، الاستيطان الفرنجى فى القدس، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491 - 690 هـ ج2، جامعة اليرموك 2000 م، ص617، 618.

الحجاج التى كانت تفد إلى بلاد الشرق[1]، وبعد أن تم للصليبيين فتح بيت المقدس سنة 1099 م (493 هـ) قرر عدد من الزعماء الصليبيين الذين شاركوا فى الحملة العودة إلى أوطانهم، وكان على رأسهم "روبرت كونت نورماندى" و"روبرت كونت فلاندرز".

وقد عاد عدد كبير أيضًا من الصليبيين الذين نجوا من أيدى السلاجقة فى آسيا الصغرى فى حملة عام 1101 م (495 هـ)، بعد وصولهم إلى بيت المقدس، ويصور "فوشيه الشارترى" حال المملكة بعد رحيل هؤلاء، إذ يقول إنه لم يكن هناك من المحاربين ما يكفى للدفاع عن المملكة ضد المسلمين، إذا ما فكروا فى مهاجمتها[2]. ذلك أن الصليبيين لم يكونوا، حسب تقدير فوشيه سوى ثلاثمائة فارس، وعدد مماثل من المشاة القائمين على الدفاع عن بيت المقدس ويافا والرملة، فضلاً عن قلعة حيفا[3] وعندما شرع الصليبيون فى جمع الفرسان لمهاجمة الأعداء وجدوا أن تحصيناتهم خاوية على الرغم من التدفق المستمر للحجاج الغربيين على بلاد الشام، فإنهم ظلوا فى حاجة إلى مزيد من الدعم البشرى لبناء حماية المجتمع الجديد[4].

ولم يقتصر الأمر على عودة الحجاج الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى، أو الذين وفدوا إلى الشرق فى مواسم معينة، بل تخطى ذلك إلى هجرة كثير من الصليبيين الذين كانوا قد استقروا فى الشرق منذ البداية، ورضوا بالمعيشة فى تلك البلاد، واتخاذها وطنًا جديدًا لهم. وكان أغلب هؤلاء الفارين من العامة البسطاء الذين عانوا من الحياة فى الشرق، وتعرضت أرواحهم للهلاك، وكان هذا الفرار

---

(1) نبيلة إبراهيم مقامى، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ط. القاهرة 1994 م، ص69.

(2) Fulcher of Charters, P. 160.

(3) Fulcher of Charters, P. 150.

(4) Phillips, J. The Latin East 1098 _ 1291 in Riley Smith, (ed.) Oxford 1995, P. 173.

يمثل ظاهرة تهدد أمن الكيان الصليبى، وصار على القائمين على الأمر أن يعالجوا هذه المشكلة، فأصدروا قانونًا يمنع هجرة من بقيت أملاكهم بأيديهم لمدة عام ويوم بعده، حتى لا يتمكنون من مغادرة بلاد الشام[1].

أضف إلى ذلك، أن ظروف الشرق كانت لها آثارها السيئة على الأوضاع الصحية للصليبيين، فإنهم لم يألفوا الحياة فى الأجواء الحارة، فأدى ذلك إلى انتشار بعض الأمراض بينهم، مما لا عهد لهم بها، ووقع كثير منهم فريسة لهذه الأمراض، وقد ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال بوجه خاص.

أما العامل الآخر فقد تمثل فى الرغبة فى تأمين حركة الحجاج[2] فقد كانت إغارات المسلمين لا تتوقف على الطرق التى يسلكها أولئك الحجاج الممتدة من يافا وغيرها من المدن الساحلية إلى مدينة بيت المقدس والمدن والقرى الأخرى[3] كما سبقت الإشارة.

وهكذا، فإن الصليبيين لم تتوافر لديهم القوة البشرية التى تجعلهم يقيمون مجتمعًا قويًا ومتماسكًا، وكان على القلة الصليبية الحاكمة مضاعفة الجهد لمواجهة مشكلة نقص العنصر البشرى، وكان من الممكن أن تظل قوتهم فى نمو بالهجرات المتوالية من الغرب، وبما تحمله من دماء جديدة، غير أن هذه الهجرات لم تحدث بصورة منتظمة، وقدر أى الصليبيون أن خير وسيلة لمواجهة ذلك الوضع هو إقامة القلاع والحصون فى كافة أنحاء مناطقهم، والواقع أنه لم ينضم إلى القوى البشرية للصليبيين

---

(1) William of Tyre, Vol. II, P. 180.

(2) عبد الرحمن زكى، القلاع فى الحروب الصليبية، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م15، القاهرة 1969 م، ص62.

(3) محمد مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية فى القرنين السادس والسابع هـ/ الثانى عشر والثالث عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1984 م، ص422.

أعداد كبيرة[1] خاصة أنهم كانوا قد استولوا فى بداية غزوهم على مدن وقلاع متناثرة.

ويتطلب الأمر، التعرض لدور جودفرى فى تشييد القلاع على نحو موجز. استطاع الصليبيون بعد حصار طويل الاستيلاء على بيت المقدس فى 15يوليو 1099 م (شعبان 492 هـ)، وتم تعيين جودفرى حاميًا للقبر المقدس، وترتب على ذلك استيلاء الصليبيين على قلعة بيت المقدس (برج داود)[2]. ولتدعيم مركز الصليبيين فى بيت المقدس، كان لابد من تحقيق السيطرة على القلاع والمدن الإسلامية.

فتوجه جودفرى إلى بيت لحم، فأخذت قرى الخليل تتساقط فى يده، وما لبثت القوات الصليبية أن هاجمت مدينة الخليل، وتمكنت من إسقاطها بعد هجوم قصير، وطردوا المسلمين منها[3].

وقد قرر جودفرى تشييد القلعة، وأشرف على بنائها بنفسه، فاختار موقعها خارج المدينة، فوق التل يتحكم فيها حيث تشرف على التلال المجاورة على الحرم الإبراهيمى، وعمل جودفرى على تشييد هذه القلعة حتى أصبحت فى عام 1100 م (493 هـ) ذات قوة ومنعه[4].

وقد رجح أحد الباحثين المحدثين أن جودفرى قام بترميم قلعة الخليل التى أشار

(1) Russel, The Population of the crusades States in Setton, VoL 5, 1985, PP. 304 - 305.

(2) Boase, Jerusalem in the time of the crusades Society, Land Scape and Art in the Holy city under Frankish Rout Ledge, London and New York 2001, P. 73.

(3) على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية 1099 ـ 1187 م ـ 492 ـ 583 هـ ط. القاهرة 1998 م، ص104.

(4) سعيد البيشاوى، الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى 492 ـ 583 هـ/ 1099 ـ 1187 م، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 2003 م، ص51.

إليها المقدسى[1]، ولذا، فلم يؤسس قلعة جديدة، وذلك لضيق الوقت وكثرة المهام العسكرية الملقاة على عاتقه[2]. كما قام تنكرد أيضًا بالاستيلاء على مدينة نابلس وذلك فى الخامس والعشرين من يوليه عام 1099م (الثالث من رمضان 494 هـ) دون أى مقاومة من جانب المسلمين[3].

وقد أعقب ذلك مهاجمة بيسان، وكانت عملية الاستيلاء عليها سهلة لعدم وجود دفاعات قوية بها[4] اتخذ تنكرد من بيسان قاعدة عسكرية للاستيلاء على مدن وقلاع الجليل، ولذلك عمل على تحصين المدينة[5] عندئذٍ توجه إلى ناحية الشمال فاستولى على مدينة طبرية، واستطاع تنكرد أن يوطد سيطرته على المدينة، فأسقط بذلك قلعتها[6] وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على الناصرة وجبل الطور، وأكمل ذلك بالاستيلاء على مدينة صفد ذات الموقع المهم فى الشمال[7] ولكى يحافظ تنكرد على أملاكه الجديدة فى الجليل، كان لابد أن يربطها بالساحل عن طريق إسقاطه

---

(1) على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى، ص108.

(2) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، 1906م، ص172، صلاح عبد المنعم، القلاع فى مملكة بيت المقدس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2000 م، ص34.

(3) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت: حسن حبشى، القاهرة، 1958م، ص120، سعيد البيشاوى، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية عصر الحروب الصليبية (492ـ 690 هـ/ 1099 ـ 1291 م)، ط. عمان 1990 م، ص48.

(4) Stevenson, The Crusades, PP. 40 – 41.

(5) طالب الصوافى، القلاع والحصون فى شمالى فلسطين فى فترة الصراع الفرنجى الإسلامى 492ـ 691 هـ/ 1099 ـ 1291 م، ط. عكا 2000 م، ص 209.

(6) عن ذلك انظر فؤاد عبد الرحيم دويكات، إقطاعية طبرية ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. عمان 2002 م، ص132.

(7) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، ج2، ط. دمشق 1962 م، ص146.

قلعة حيفا، وبالفعل تمكن من تحقيق ذلك بعد وفاة جودفرى، وذلك فى أواخر يوليو عام 1100/ 493 هـ[1].

وعقب تتويج الملك بلدوين الأول ملكًا على مملكة بيت المقدس الصليبية كان عليه أن يتخذ توجهًا عسكريًا جديدًا تمثل فى السيطرة على القلاع الإسلامية مع مراعاة إنشاء قلاع جديدة تكون هجومية فى المقام الأول ودفاعية فى المقام الثانى.

ويلاحظ أن بلدوين الأول بإسقاطه عددًا من مدن الساحل الشامى أمكنه بالتالى إخضاع قلاع تلك المدن، ولم يقتصر جهود بلدوين فى إسقاط قلاع المدن الساحلية، بل أضاف بعض القلاع الأخرى لتدعيم سيطرته على طريق يافا القدس، فكان هذا الطريق المنفذ الرئيسى للإمدادات والحجاج (العامل البشرى)، وظل معرضًا للتهديدات والأخطار من قبل البدو والقوات الفاطمية[2] لذا دعت الحاجة الملحة إلى تشييد عدد من القلاع بين يافا ـ القدس[3].

وقام بلدوين بتشييد حصن أرنولد Chateau Arnold أو حصن أرنول Chateau Arnoul[4]، وذلك لتأمين طريق أساسى يسلكه الحجاج الصليبيين للوصول إلى مدينة بيت المقدس، يبدأ ذلك الطريق من غرب بيت المقدس من الباب الغربى لها، والمسمى بباب يافا، ويستمر فى الامتداد على هضبة القدس نفسها، ثم يعبر دير ياسين وأباغوش، ثم الرملة، وتجدر الإشارة إلى أنه من منطقة أبى غوش ينحدر

(1) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص225.

(2) Prawer, Histoire du Royaume Latin de Jerusalem, T.I, Edition du center National de la Recherche Scientifoue, Paris 1969. PP. 276 – 277.

(3) Fedden, Crusader Castles, London 1950. P. 16;

عبد الرحمن زكى، القلاع فى الحروب الصليبية، ص 62.

(4) اختلف الباحثون حول موقع هذا الحصن. عن ذلك انظر: صلاح عبد المنعم، القلاع الصليبية، ص 43.

الطريق إلى الرملة، ويطلق على الامتداد الواقع من جهة الرملة إلى السهل الساحلى اسم باب الوادى[1].

كما أنشأ بلدوين الأول العديد من القلاع بين شمالى فلسطين ومدينة صور الفاطمية التى لـم يتم الاستيلاء عليها إلا فيما بعد فى عهد الملك بلدوين الثانى 1124 م (512 هـ)، وذلك نتيجة موقع المنطقة، فقد قام هيو سانت أومر Hugh de St Omer أمير الجليل 1101 ـ 1106م (495 ـ 500 هـ) بتشييد قلعة صفد فى عام 1102 م (495 هـ)[2] رغبة منه فى تأمين الأجزاء الشمالية من الجليل، وقد أقيمت القلعة فوق جبل صفد ذى القمة الشاهقة، وكانت تشرف على الطريق الواقع بين دمشق وعكا[3]، وتبعد مقدار ثلاثة وعشرين ميلاً من مدينة بانياس[4]، وقد قامت القلعة بالسيطرة على قلب الجليل[5].

كما شيد ذلك الأمير الصليبى فى عهد بلدوين الأول حصن تبنين Tibenin أو تورون Toron[6]، وكان ذلك فى عام 1104 م/ 498 هـ ويعد ذلك الحصن من

(1) محمد مؤنس، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص96.

(2) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص146،

- Fedden, Crusader castle, P. 13.

وقد أطلق على صفد مفتاح الجليل حيث سيطرت على الطريق الرئيس الذى يربط بين عكا ودمشق، كما أنها كانت فى مقابل مخاضة بيت الأحزان.

- William of Tyre, Vol. II, P. 245;

حسن عبد الوهاب حسين، " أمن الطرق بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام "، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد 42، جامعة المنوفية يوليو 2002 م، ص112. وعن الدراسات الأثرية لهذه القلعة انظر فؤاد عبد الرحيم دويكات، إقطاعية طبرية ودورها فى الصراع الصليبى، ص134.

(3) Grousset (R), Histoire des Croisades, Tom II, P. 138.

(4) Ernoul, The City of Jerusalem, trans by Conder P.P.T.S, Vol VI , London 1896, P. 51.

(5) Deschamps (P), Les Chateaux des Croisades en Terre Sainte, "la Defense du Royaume de Jerusalem", Paris 1939, P. 125.

(6) William of Tyre, Vol. II, P. 469.

أوائل الحصون التى أقيمت لمحاولة إسقاط مدينة صور الخاضعة للفاطميين، لما أحدثته من خطر رئيسى فى تلك الناحية[1]. أقيم حصن تبنين على قمة أحد الجبال المطلة على مدينة صور، وكانت تبنين تبعد عن صور بحوالى عشرة أميال[2]، كما بعدت عن مدينة بانياس بمقدار سبعة عشر ميلاً من الجنوب الشرقى[3]، وكان الهدف من إنشاء هذه القلعة ـ وكذلك القلاع الأخرى ـ هو الدفاع ضد هجمات حاميات صور الفاطمية، بالإضافة إلى ربط البحر المتوسط فى الغرب وجبال لبنان الشرقية[4]، حيث كانت قلعة تبنين تشارك مع قلاع أخرى فى حماية شمال الجليل، وطريق صور -دمشق- عكا، وعلى الرغم من تواجد قلعة تبنين داخل حدود إقليم الجليل، إلا أنها أصبحت تكون إقطاعًا تابعًا لملك بيت المقدس مباشرة[5]، وكان حصن تبنين من القلاع التى شيدها الصليبيون، والتى تتسم بأنها هجومية، كذلك استخدم كمنطقة تمكيس[6] للقوافل الإسلامية[7].

وكانت القلعة الثالثة التى أنشأها "هيوسانت أومير" بإقليم الجليل هى قلعة هونين Chateau neuf[8]. ووقعت هذه القلعة فى شمالى فلسطين على الحدود اللبنانية عند إصبع الجليل، وترتفع عن سطح البحر حوالى 650 م، فى حين أن القلعة مقامة على جبل جنوبى البلدة على ارتفاع 900 م.

والمكان الذى تتواجد عليه القلعة هو ممر جبلى أسفله واد يتصل مع نهر

(1) صلاح عبد المنعم، القلاع الصليبية، ص45.

(2) William of Tyre, Vol. II, P. 469.

(3) بورشارد، وصف الأراضى المقدسة، ت: سعيد البيشاوى، ط. عمان 1995م، ص59 هامش (1).

(4) طالب الصوافى، القلاع شمال فلسطين، ص73.

(5) ليلى محمد الطرشوبى، إقليم الجليل فى عصر الحروب الصليبية ـ القرن الثانى عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة 1987م، ص88.

(6) أى يدفعون المكوس والضرائب.

(7) ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت 1959م، ص273.

(8) Deschamps, Les Chateaux des Croisades, P. 130.

الليطانى، وينحدر من الجهة الشرقية للقلعة وادٍ آخر نحو الجنوب، يصل حتى وادى الحولة وبانياس[1]، وهذه الوديان المنتشرة حول القلعة مغطاة بالأشجار والنباتات، ويزرع بعضها بأصناف المحاصيل[2]، كما أن القلعة ومعها قلعة بانياس تشرفان أيضًا على الوادى الذى يجرى من دمشق باتجاه بحيرة الحولة.

ويلاحظ أن هذه المميزات جعلت تلك القلعة تشرف على الطريق الذى يربط بين دمشق وصور، وبين دمشق ووادى الحولة وطبرية عبر منحدرات جبل الشيخ[3] بنيت قلعة هونين الحصينة، فوق صخرة منفردة قائمة بذاتها فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى[4] من قبل أمير الجليل "هيو دى سنت أومير" 1101 ـ 1106م (494 ـ 500 هـ) ضمن خطة صليبية للسيطرة على طريق دمشق – صور من ناحية، ولمنع أى تحرك تقوم به قوات إمارة دمشق لمهاجمة المملكة من ناحية أخرى، وكانت هذه القلعة ذات طابع هجومى أيضًا، مثل غيرها من القلاع الصليبية.

ويلاحظ أن القلعة شكلها مستطيل، بطول 85 م، وعرض 65 م، وهى محاطة بمنحدرات من الصخور المقطوعة من جهة الشمال والجنوب والغرب، مما مكنها من الإشراف والتحكم فى الطرق والأراضى التى حولها، كما كانت بعيدة عن مرمى أى هجوم مفاجئ[5].

وقد شاركت هذه القلعة بجانب من الصراع بين الصليبيين والمسلمين منذ بنائها مع القلاع الأخرى المجاورة لها، وخاصة تبنين وبانياس الداخلية، إلا أن الصراع فى

(1) طالب الصوافى، المرجع السابق، ص180.
(2) ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ب. ت، ص247.
(3) Benvensiti The Crusaders in the Holy land, Jerusalem 1976, P. 300.
(4) القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ط. القاهرة 1919 م، ص157.
(5) طالب الصوافى، القلاع شمالى فلسطين، ص181.

البداية كان حول قلعة بانياس ذات الموقع الاستراتيجى المهم والمميز، لأنها تشكل تهديدًا مباشرًا لدمشق، فهى عبارة عن برج مراقبة يطل عليها واقع فى مرتفعات الجولان.

كذلك قام الملك بلدوين الأول فى عام 1108 م (501 هـ) باختيار موقع قريب من صور لبناء حصن يتميز بالقوة والحصانة فى موقع تل المعشوقة Scandalium[1]، لا يبعد إلا مسافة قصيرة عن مدينة صور (حوالى كيلومتر إلى الجنوب الشرقى منها).

والواقع أن بلدوين الأول نجح فى السيطرة على المسالك الرئيسة المؤدية إلى تلك المدينة، وذلك أنه باستيلائه على صيدا فى عام 1111 م/ 503 هـ ملك ناصية الناحية الشمالية لصور[2]، كما أن حصن تبنين ضمن له السيطرة على المنفذ الشرقى. وأخيرًا، فإن حصن تل المعشوقة أتم محيط دائرة الحصار الذى دعم بلدوين ضربه على صور، حتى يظفر بها، ويضمها إلى ممتلكاته الساحلية، وبذلك تدعمت دائرة نفوذه[3] فى تلك المنطقة.

كذلك تم تأسيس حصن العال فى عام 1105 م (499 هـ)[4]، وهو نسبة إلى وقوعه شمال قرية عال فى حين عرفته المراجع الغربية باسم حصن بلدوين Fort de Bouldoin أو قصر البردويل Le Qasr Berdoauil الذى وقع بين البثنة وسواد طبرية[5]. وبهذا الموقع، استطاع الصليبيون إقامة قاعدة حربية متقدمة تجاه دمشق،

(1) William of Tyre, Vol. II, P. 512.

(2) Smail (R), "Crusader Castles of twelfth Century" in E. H. R, 1978, P. 140.

(3) سر الختم عثمان على، مدينة صور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى 1097 ـ 1291 م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1971 م، ص51.

(4) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص241، سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج8، ص16، السيد الباز العرينى، الشرق الأوسط، ط. القاهرة 1963 م، ص315.

(5) حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية، ج1، ط. القاهرة1971 م، ص 197.

وبالتالى تهدد دمشق بغارات متكررة التى قام بها الأمير هيو، مما دفع طغتكين أتابك دمشق بضرورة مهاجمة حصن عال، ولشدة خطورته أمر بهدمه وتسويته بالأرض[1] وهذا يوضح مدى خطورة هذا الحصن.

ونتيجة لما أصاب حصن بردويل أو عال من تدمير على يد طغتكين أراد بلدوين أن يعيد سيطرته على منطقة السواد شرقى بحيرة طبرية، فأراد استغلال الهدنة المبرمة بينه وبين جبهة دمشق طغتكين، التى بدأت عام 1108 م (501 هـ) على أن تستمر لمدة أربع سنوات[2]. ولا نغفل أن تلك الهدنة احتلت أهمية خاصة لدى الطرفين، لأنها ارتبطت بزاوية المياه واستقلالها من الجانبين.

ومن الحصون الأخرى التى شيدها بلدوين الأول حصن حبيس جلدك Habis Jaldak بعدما استفاد من تجربته فى حصن عال، الذى تعرض للتدمير على يد طغتكين، فانعكس ذلك على اختيار موضع حصن الحبيس فى مكان أقل عرضة للهجوم من قبل قوات ذلك الأمير الدمشقى[3]، فذلك الحصن بمثابة كهف أو مغارة تقع جنوب نهر اليرموك فى منطقة عرفت باسم عراق الحابس جنوب رأس هلحا Rastlilija حيث بلدة شيجارا Shejara[4] وهكذا، نجد أن الصليبيين سيطروا على منطقة السواد شرق نهر الأردن نتيجة تشييدهم هذا الحصن.

(1) Hugh Kennedy, Crusader Castles, Cambridge 1994, P. 40.

عصام سخنينى، طغتكين أتابك دمشق 488 ـ 522 هـ/ 1095 ـ 1128 م، ط. عمان 2003 م، ص118.

(2) جان ريتشارد، تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها ضمن الصراع الإسلامى ـ الفرنجى على فلسطين فى القرون الوسطى، ط. بيروت 1994 م، ص150،

Prawer, Histoire du Royaume Latin, P. 278.

(3) Deschamps, Les chateaux de croisades, P. 9.

(4) صلاح عبد المنعم، القلاع الصليبية، ص49،

Prawer, Histoire du Royaume Latin, P. 279.

وتحقيقًا لاستكمال السيطرة على منطقة السواد شيد الصليبيون قلعة خان راجوب Khan Rahup فى الطريق الجنوبى الشرقى من نهر الأردن[1].

كذلك إلى جانب اهتمام الملك بلدوين الأول بتحصين مدينة نابلس فى قلب المملكة، شيد قلعة صليبية فى مدينة نابلس إلى جانب برج أمامها، عرفت باسم برج نابلس Turris Neopolilana، وذلك للدفاع عن المدينة ضد محاولات المسلمين المستمرة لاسترجاع أراضيهم المسلوبة، وذلك حينما منحت لباين دى ميللى Payen de Milly عام 1108م (502 هـ)[2].

وقام بلدوين بالتوسع جنوبًا باتجاه الغرب مع الحدود المشتركة بينه وبين الدولة الفاطمية بمصر، لذلك عمل على الاهتمام بهذه المنطقة، وذلك عندما وصل إلى علمه "بأن ثلاثة آلاف دمشقى تحت إمرة القائد التركى "الأصفيد" بنوا قلعة فى وادى موسى لمنع المسيحيين من المرور فى تلك المنطقة"[3]. "وقد خرج إليهم فى عام 1107م/ 501 هـ على رأس جيش من خمسمائة جندى، بصحبة دليله الكاهن السورى ثيودور"، وأجبر المسلمين على ترك المنطقة، وهدم القلعة[4]، ثم أراد الملك تقوية وجوده فى منطقة شرق البحر الـميت، فاختار موقع حصن الشوبك عام 1115 م/ 509 هـ[5].

---

(1) صلاح عبد المنعم، المرجع السابق، ص49.

(2) سعيد البيشاوى، نابلس، الأوضاع السياسية والاجتماعية، ص75.

(3) سعد محمد المؤمنى، القلاع الإسلامية فى الأردن، ط. عمان 1988 م، ص245.

(4) Savigna (M.R) ou Airab. P ve Biblique, Paris 1903, P. 118.

(5) Savigna (M.R) ou Airab, P. 118.

وقد عرف حصن الشوبك أيضًا باسم الجبل الملوكى Montroyal

Fulcher of Charters, P. 218,

زكى النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1958 م، ص270؛ فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت: كمال اليازجى، ج2، ط. بيروت 1959 م، ص 23.

وقد تميز موقعها بوفرة القدرة الدفاعية عنها بشكل طبيعى، وذلك لأن الحصن يربض فوق قمة من قمم جبال الشراة، هى وادى الحماط من الشرق والشمال، ووادى الرعاية من الجنوب، ووادى مدقات الزبيب من الغرب، والمسافة ما بين قمة الجبل وقيعان الأودية المحيطة تتراوح ما بين مائة متر فى الجزء الشمالى الغربى إلى حوالى 250 مترًا باتجاه الشرق[1]. ولقد وصفها ياقوت الحموى بأنها قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك[2].

لقد ساهم موقع تلك القلعة فى توفير الحصانة الطبيعية له، كما ساعدت على إغلاق الممر الذى يسلكه المسلمون، وبالتالى مراقبة طرق التجارة والحج الإسلامية[3]. وتمكن بلدوين عن طريقه من فرض الضرائب على القوافل المارة بهذه المنطقة[4].

ولم يلبث أن شيد فى تلك المنطقة أيضًا حصن الوعيرة[5] الذى وقع فى جبل الشراة قرب وادى موسى الواقع فى وادى عربه فيما وراء الأردن[6]. ارتفع عن سطح البحر حوالى 1050مترًا. وكان اختيار بلدوين موفقًا لإقامة الحصن فى ذلك الموقع المنعزل بخندق طبيعى يتراوح عمقه ما بين 300 ـ 500 مترًا[7].

وقد اختلف عدد من الباحثين فى تحديد بناء هذا الحصن[8]، وأتفق مع الباحث

---

(1) سعد المؤمنى، القلاع الإسلامية، ص243 – 245.

(2) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج4، ص453.

(3) حسن عبد الوهاب حسين، "مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية"، (ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية)، ط. الإسكندرية 1997م، ص159.

(4) حسن عبد الوهاب، أمن الطرق بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام، ص117.

(5) الوعيرة، تصغير "الوعرة"، وهى المنطقة صعبة الارتياد، انظر ياقوت الحموى، ج5، ص380.

(6) محمد مؤنس عوض، "وليم الصورى مؤرخًا للقلاع الجنوبية"، (ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية)، ط. عمان 1999م، ص87.

(7) سعد المؤمنى، القلاع الإسلامية، ص336.

(8) عن ذلك انظر: صلاح عبد المنعم، القلاع الصليبية، ص51.

صلاح عبد المنعم الذى رأى أنه تم تشييده فى عام 1116م (510 هـ)، وذلك لأنه تزامن مع الحملة الثانية لبلدوين فى المنطقة، والوصول إلى البحر الأحمر.

واستكمل بلدوين حملته الثانية عام 1116 م/ 510 هـ - بعد تأسيسه لحصن الوعيرة، حتى وصل بها إلى مدينة أيلة Eilat وتمكن من السيطرة عليها[1]. ولقد حرص الصليبيون على تأسيس إقطاعية شرق الأردن الصليبية ككيان صليبى وبسقوط أيلة فى أيديهم وضعوا الأسس التى ارتكزوا عليها لتقطيع المنطقة العربية، وقد تنبه المؤرخون إلى أن الحافز التجارى كان وراء توسعات الصليبيين فى الجهات الجنوبية والشرقية للمملكة[2]، حيث تهيأ لها الاتصال بالبحر الأحمر، وما يرتبط به من نشاط بحرى، ومن ثم نجح الصليبيون فى وضع أيديهم مباشرة على طرق القوافل، ولاسيما الطريق الممتد من دمشق إلى مصر عبر أيلة إلى البحر الأحمر، وكذلك المسالك المؤدية من مصر للحجاز ودمشق[3].

وبفضل تلك السياسة تم التحكم فى حركة التجارة فى منطقة الشرق الأدنى[4]، ثم تقدم للسيطرة على جزيرة فرعون ile de gray، وأنشأ بها قلعة[5]. وكان لزامًا

---

(1) حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر، ص195،

Atiya, Crusade, Commerce and Culture, London 1962, P. 65.

(2) على أحمد محمود السيد، استرداد صلاح الدين أيلة من الصليبيين عام 1170 م - 566 هـ (ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى)، ط. الإسكندرية 2004 م، ص129.

(3) William of Tyre, Vol. II, P. 506;

المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، القاهرة 1334هـ، ص200.

نظرًا لخطورة موقع أيلة حرص صلاح الدين على السيطرة على هذه القلعة منذ وقت مبكر من جهوده لتحرير القدس، ومن ثم استرد قلعة أيلة عام 1170 م / 566 هـ، عن ذلك انظر على أحمد محمود السيد، استرداد صلاح الدين أيلة من الصليبيين، ص106 - 125.

(4) على أحمد محمود السيد، المرجع السابق، ص129،

Grousset, Histoire des croisades, Vol. I , P. 315.

(5) جمعة محمد مصطفى الجندى، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1985 م، ص48.

على بلدوين تأمين ميناء أيلة للسيطرة على جزيرة فرعون وتحصينها، وبذلك يكون بلدوين الأول قد تحكم فى أمن البحر الأحمر من خلال هذه القلعة، كما سيطر تمامًا على الطريق المعتاد للقوافل بين مصر والشام والحجاز[1].

وبذلك يكون ذلك الملك الصليبى قد أرسى قواعد مملكته الوليدة باستغلال موقع المنطقة التى استولى عليها من خلال تأسيس مجموعة من القلاع الصليبية أدت لاتساع رقعة المملكة الوليدة، بالإضافة لتغلبه على مشكلة نقص العنصر البشرى فقامت الحجارة مقام الجنود[2]. أضف إلى ذلك أن الصليبيين كانوا يقاتلون باستماتة وضراوة للدفاع عن المدن والقلاع التى سيطروا عليها، فإن فقدان الصليبيين للمدن والأراضى التى احتلوها فى سوريا يعنى النهاية بالنسبة لهم[3].

ومن الملاحظ أن سيطرة الصليبيين على الأردن، ووادى عربة بما فيها تلك الحصون ومنها الكرك[4]. أتاحت لهم فرصة التحكم فى صحراء النقب، بحيث كانت أيلة على خليج العقبة خاضعة لسيادتهم، وقد أدى تشييدها إلى تأمين حدود المملكة هناك، وقطع الطريق بين مصر والشام، بالإضافة إلى اعتراض طريق حج المسلمين إلى الأماكن المقدسة الإسلامية بالحجاز.

وقد وقع حصن الكرك جنوب الأردن على بعد عشرة أميال تقريبًا إلى الشرق من

(1) حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر، ص195.

(2) Fedden, Crusader castle, P. 13.

(3) قاسم عبده قاسم "صورة المقاتل الصليبى"، المجلة التاريخية المصرية، م 27، القاهرة 1981م، ص 33.

(4) قد ورد اسم الكرك فى بعض المصادر القديمة ومنها التوراة تحت اسم (قير حارسة).. (Kir – Haresath)، والكلمة مكونة من قطعتين (قير) والثانى (حارس)، فالمقطع الأول (قير) Kir يعنى الحصن أو القلعة. أما تفسير المقطع الآخر (حارس) يعنى تلاً يعلوه بناء وتفسير المعنى لكل مقطعى الكلمة (القلعة المحصنة على تل). انظر أسامة سيد على، الظهير الشامى ودوره فى الصراع الإسلامى الصليبى، ص253.

الطرف الجنوبى للبحر الميت، وأقيم الحصن على جبل يرتفع بمقدار 933 م عن سطح البحر المتوسط، تحيط به الأودية من ثلاث جهات: وادى الست من الشرق، ووادى الصليبيين من الغرب، ووادى الكرك من الشمال، وتلتقى تلك الأودية معًا قرب عين سارة على بعد كيلومتر غرب المدينة، وتشكل مع قمة الجبل منطقة رعن جبلى، تكون ذات انحدارات قوية، هى فى الشرق والشمال أكثر منها فى الغرب.

وتقوم المدينة والحصن على ذلك الركن، ويقع الحصن فى جنوب المدينة حتى يحميها من الهجوم من جهة الأرض المرتفعة المجاورة، ولذا حفر من جنوب الحصن خندق فصل الجبل الذى يقوم عليه الحصن والمدينة عن الجبل المعروف بجبل الثلاجة(1).

وبذلك استطاع الصليبيون فى عهد بلدوين الأول التغلب على مشكلة نقص العنصر البشرى عن طريق تشييد القلاع التى تؤلف هيكل المملكة الحربى. أضف إلى ذلك استغلال عنصر الوقت فى تشييد قلاعهم، وهذا يتضح فى التقارب الزمنى بين أعوام 1115م ـ 1116م (509 ـ 510 هـ) فى تشييد قلعة أيلة جزيرة فرعون ـ الشوبك.

وبرع الصليبيون فى التوفيق بين استغلال طبوغرافية المملكة والاحتياجات العسكرية، وظهور ذلك فى طبوغرافية القلاع التى بنيت لتطويق مدينتى صور وعسقلان الإسلاميتين اللتين لم يتم السيطرة عليهما خلال فترة الدراسة، ولكن نتيجة هذه المنظومة القلاعية تم السيطرة على هاتين المدينتين. ويتضح ذلك فى سقوط صور عام 1124م ـ 518 هـ، وعسقلان 1153م ـ 548 هـ بعد عقود قليلة من رحيل بلدوين الأول.

ولا نغفل ظهور ما يمكن أن نسميه بتطبيق نظام العمل الجماعى بين القلاع(2) فى

(1) مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق، 1984م، ص55.
(2) صلاح عبد المنعم، القلاع الصليبية، ص106.

حالتى الهجوم والدفاع، فعندما تتواجد أكثر من قلعة فى المنطقة يظهر بينهم ما نسميه فريق لتحقيق الأهداف العسكرية، وتساهم كل قلعة من خلال موقعها أو طبوغرافيتها فى تحقيق تلك الأهداف العسكرية عن طريق أن كل قلعة تستطيع بمبدأ تبادل الرؤية أن تتبادل الأنباء والتعليمات وتيسير المواصلات[1].

واستطاعت القلاع الصليبية أن تكون قاعدة ارتكاز للكيان الصليبى، عن طريق السيطرة على الأرض وطرق القوافل ليس فحسب، بل التلويح بتأسيس الحصن الصليبى فى بعض المواقع المهمة كمصدر للدخل للملك الصليبى، وهو ما انطبق على ما فعله الملك بلدوين الأول حينما جـمع قواته، وعزم على تشييد حصن فوق تلك المعشوقة بالقرب من صور الإسلامية للتضييق عليها، وكان ذلك عام 1107م (501 هـ)، وأقام لمدة شهر لتحقيق ذلك، فقايضه والى صور على سبعة آلاف دينار فقبضها ورحل عنه[2].

لقد ساهمت القلاع الصليبية فى عهد بلدوين الأول فى حل مشكلة احتياج الصليبيين إلى المال، وذلك بسيطرتهم على الأرض، وهى أساس النظام الإقطاعى، كما ساهمت فى السيطرة على الساحل الشامى.

وبذلك نجح بلدوين الأول فى السيطرة على منطقة جنوب شرقى البحر المتوسط بتفكير عسكرى سليم، تمثل فى السيطرة على وادى عربة والبحر الأحمر حتى أيلة، وبذلك استطاع قطع خطوط المواصلات بين أقطار العالم الإسلامى والسيطرة عليها وتأمين المملكة الوليدة فى نفس الوقت[3].

---

(1) عبد الرحمن زكى، "العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين"، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م7، القاهرة 1958 م، ص124.

(2) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص55.

(3) أسامة سيد على، " الموقع الجغرافى لجنوب شرق البحر المتوسط وأهميته فى رسم سياسة مملكة بيت المقدس الصليبية"، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس 2002 م، ص9.

وهكذا تمكن بلدوين من ضم المنطقة المذكورة إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، ليصل بالمملكة إلى أقصى اتساع لها، حيث لم يبق أمام الصليبيين سوى اختراق شبه جزيرة سيناء لغزو مصر، إذا أتيحت لهم الفرصة أضف إلى ذلك، مراقبة الصحراء الممتدة ناحية ضلع المثلث فى وادى عربة، الكرك والشوبك.

ذلك عرض عن العمارة الحربية فى عهد بلدوين الأول. أما الفصل التالى فيتعرض لسياسة بلدوين الأول تجاه الكنيسة.

* * *



■ الفصل الرابع

سياسة بلدوين الأول تجاه الكنيسة


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

يتناول هذا الفصل بالدراسة، سياسة الملك بلدوين الأول تجاه الكنيسة، ويتضمن عدة عناصر: الإشراف على الكنيسة، ومنع رجال الـدين من إقامة حكومة دينية فى بيت الـمقدس، وموقف بلدوين من البطريك دايمبرت سنة 1102 م (496 هـ)، وعزل دايمبرت من البطريركية سنة 1102 م (496 هـ)، وانتخاب أرنوف بطريركًا سنة 1112 م (506 هـ)، والمنح والإقطاعات، وتحايل بلدوين الأول للزواج من أدلياد سنة 1113 م (507 هـ).

لعبت الكنيسة اللاتينية دورًا مهمًا ومؤثرًا فى اندلاع الحرب الصليبية، إذ خططت لها وجعلتها تحت قيادتها وإشرافها، فكان لها الدور الأكبر فى اختيار قادة الحملات:[1] الكنسيين والعلمانيين، وقد برز دور الكنيسة فى هذه الحرب لعدة أسباب جوهرية: أولها، حماية أموال المحاربين وخاصة المشاركين من الأمراء والبارونات والدوقات، فهم الفئة الإقطاعية فى أوربا. وثانيها، اختيار الكنيسة لرجال الدين المرافقين للحملة، فهم وقود التشجيع للجنود والأمراء، وبالتالى محاولة لإضفاء الطابع الدينى والصفة الشرعية للحركة الصليبية والسيطرة عليها باسم الدين، فهى التى دعت إليها، وهى التى أمدتها بتأييدها المادى والمعنوى، وهى التى شجعت المحاربين من كافة الأجناس والفئات على الاشتراك فيها، بالإضافة إلى تعيينها مندوبًا بابويًا للإشراف على الحملة[2].

فبعد أن انتهى البابا أوربان الثانى Urban II من إلقاء خطابه قام ادهمار

(1) Michaud, Histoire des Croisades, Vol. I, Paris 1841, P. 127.

(2) جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، ص68.

Adhemar دى مونتيل أسقف مدينة "بوى"، وطلب من البابا راجيًا أن يكون له شرف المساهمة فى الحرب المقدسة ضد المسلمين، وبالفعل تم تعيين ادهمار Adhmar مندوبًا عن البابا للخروج مع الحملة الأولى ليكون بمثابة قائد روحى عليه التوفيق بين الأمراء والبارونات والدوقات وكافة الإقطاعيين المشاركين فى الحملة.

ولكن البابا أوربان الثانى كان عليه أن يختار رجلاً عسكريًا لترأس الجيش، فوقع اختياره على ريموند الصنجيلى Raymond of st. Gilles، وهو أحد البارونات (كونت تولوز Toulouse) الذى عرف بخبرته وتحمسه للحرب الصليبية ضد المسلمين[1].

وهكذا، تم تعيين للحملة الأولى قائدا روحيًا وآخر عسكريًا التف حوله الجنود الذين قرر لهم المجمع امتيازات مهمة، منها غفران الذنوب، وإسقاط الضرائب عنهم. وقام أساقفة كل مدينة بصنع سناجق الصلبان وتقديمها إلى جماهير المسافرين مع تلك الحملة[2] التى حدد البابا موعد خروجها فى أغسطس 1096م (490 هـ)، بحيث تكون القسطنطينية مكانًا لإلتقاء الجيوش الأوربية الزاحفة إلى الشرق، وقاد هذان الرجلان الحملة الصليبية الأولى نحو الشرق الإسلامى، وبعد أن اطمأن البابا أوربان إلى خروجها قفل عائدًا إلى إيطاليا[3].

وعندما تم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، سارع العلمانيون بانتخاب واحد من بينهم، وصار الأمر محصورًا بين اثنين، وهما: ريموند Raymond

(1) Lamb, The Crusades Iron Men and Saints, London 1930;

إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص23.

(2) محمد صالح منصور، أثر العامل الـدينى فى توجيه الحركة الصليبية، ط. بنغازى، 1996 م، ص196.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص107.

وجودفرى دى بويون Godfrey[1]. وليس هناك شك فى أن ريموند Raymond كان أوفر ثروة، وأكثر قوة من منافسه، وهذا بالإضافة إلى قوة شخصيته وخبرته السياسية وبعد نظره الذى جعله يؤثر التحالف مع الدولة البيزنطية، على أن قوة هذا الأمير من ناحية، وعدم حب الأمراء والفرسان له من ناحية أخرى، جعلت الأمراء يتخوفون من اختياره. هذا إلى أن سياسته تجاه الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus وإفراطه فى التردد عليه والتحالف معه، أثارت استياء كثير من الصليبيين، حتى فرسانه ورجال جيشه.

وهكذا لم يبق هناك سوى جودفرى دى بويون Godfrey de Bouillion الذى أبدى رفضًا إلا أنه قبل فى النهاية[2] على أن يخاطب بلقب دوق ولا يكون ملكًا[3] يلبس تاجًا، واتخذ لقب حامى الضريح المقدس (Advocatus Sanct Sepulchri)[4]. وهناك أكثر من مغزى وراء اتخاذ جودفرى لذلك اللقب، فلقد كان لفظ حامى يمنح فى فرنسا للعلمانى الذى يقوم بحماية أرض الدير[5]. وقد يعنى

---

(1) ولد جودفرى البويونى سنة 1060 م، فى بولونيا Boulogne Sur-Mer على الأرجح، وكان أبوه يوستاش الثانى كونت بولونيا، وأمه إيدا Eda ابنة جودفرى الملتحى دوق اللورين الأدنى، كان يعمل فى خدمة الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع. عن جودفرى دى بويون. انظر سرور عبد المنعم على، "جودفرى دى بويون حاكمًا للكيان الصليبى 1099 ـ 1100 م/ 493 ـ 494 هـ"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع عشر، مارس 2004 م، قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، ط. القاهرة 2001 م، هامش (1)، ص150.

(2) عن انتخاب جودفرى حاكمًا للكيان الصليبى. انظر بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص116، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة القدس، ص257،
Sidney Painter, A History Middle Age, 284 – 1500, London 1963, P. 207.

(3) Daniel-Rops, cathedral and crusades, translated by John Warrington, London 1959, P.447.

(4) عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس، ص61، جمعة مصطفى الجندى، نظم الحكم والإدارة فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 2003 م، ص193.

(5) Duggan, The Story of the Crusade, London 1963, P. 79;
عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص61.

ذلك اعترافًا ضمنيًا من جانب جودفرى Godfrey بأن الكيان الجديد فى بيت المقدس لعبت فيه المؤسسات الدينية دورًا مهمًا، وفى هذا ترضية لرجال الدين، كما قد يعنى أيضًا رفضه حمل التاج فى مكان ارتدى فيه السيد المسيح تاج من الشوك[1].

بعد أن تمت عملية انتخاب جودفرى دى بويون Godfrey de Bouillion كأول حاكم صليبى على بيت المقدس، كان ضروريًا انتخاب قيادة روحية بعد اختيار الرئاسة الزمنية، وبعد مناقشات بين رجال الدين والعلمانيين تم ترشيح أحد رجال الدين، وهو أرنولف مالكورن Arnoulf Malecorn[2]، وذلك فى أغسطس عام 1099م (493 هـ)[3]، ويخبرنا فوشيه الشارترى أن رجال الدين قرروا عدم اختيار بطريرك حتى سألوا بابا روما عمن يرغب فى تعيينه.

وعلى هذا الأساس فإن تعيين أرنولف مالكورن Arnoul Malecorn بطريركًا كان بشكل غير رسمى، وكان وراء ذلك الاختيار أسقف مارتا Marta[4].

وإذا كان المؤرخ المجهول يذكر أرنولف Arnoul على أنه رجل عاقل وشريف[5]، من وجهة النظر الصليبية بطبيعة الحال فإن المؤرخ وليم الصورى رفض هذا الرأى،

---

(1) Richard J. Le Rayaume Latin de Jerusalem, P. 62.

(2) كان قسيس روبرت دوق نورماندى، كما كان المدرس الخاص لبعض أطفال وليم الفاتح، بدأ البطريرك اللاتينى الأول أرنولف عهده بعزل العديد من القطاعات الثورية فى الكاتدرائيات والكنائس، وقام بتعذيب الرهبان الأرثوذكس حتى يخبروه بالمكان الذى قاموا فيه بإخفاء الصليب الحقيقى والمتعلقات الدينية الأخرى.

عن ذلك انظر: أنتونى بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ت أحمد غسان سبانو ونبيل الجبرودى، ط. دمشق 1985 م، ص108، جوناثان ريلى سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ص151،

Runciman, The Eastern Schism, Oxford 1955, P. 87; Mgr Alfred Baudrillart, Dictionnaire D'Hisoire et de géographie Eccléslastiques, Vol. VI, Paris 1930, P. 619.

(3) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص120.

(4) William of Tyre, Vol. I, P. 380; Grousset R., Histoire des Croisades, P. 171.

(5) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص120.

ووصفه بأنه كان شريرًا ماكرًا[1] وتتفق الباحثة مع المؤرخ الصليبى وليم الصورى فى هذا الرأى.

وسيتضح من خلال الدراسة أن أرنولف بالفعل رجل ماكر، وهذا يظهر بوضوح من خلال تعامله مع بلدوين الأول بشكل ملفت للانتباه، فكان طوع أمر الملك، بالإضافة إلى موافقته على زواجه من أدليد الصقلية، بالرغم من أن الملك الصليبى تزوج من أميرة أرمينية، والديانة المسيحية تحرم ذلك. أضف إلى ذلك استغلاله لأموال الكنيسة، فقد زوج ابنة أخيه "إما " Emma من يوستاش جارنيه، ومنح الأخير مدينة أريحا مهرًا، على الرغم من أن المدينة كانت من أملاك كنيسة بيت المقدس[2].

على أية حال، فقد اعتلى أرنولف مالكورن Arnoulf Malecorn عرش البطريركية فى بيت المقدس باعتباره أول بطريرك لاتينى لها.

عمل أرنولف على الوفاق مع الحاكم العلمانى أمام الجميع على أن تكون علاقته به معتدلة، واختار أرنولف ألا يقحم نفسه فى مشاكل مع جودفرى دى بويون، واكتفى بالمسائل الكنسية، وقصر نشاطه عليها. ففى رسالة بعث بها البطريرك أرنولف والدوق جودفرى معًا إلى ماناسيس Manasses رئيس أساقفة ريمس Rems، وبعد إخباره باختيارهما لمنصبهما، فإنهما يدعوانه ليطلب من المسيحيين أن يسألوا الله أن يهب الحاكم الجديد النصر على الأعداء، ويهب البطريرك الحكمة فى تشريعاته فى مواجهة الكفار[3].

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 384.

(2) William of Tyre, Vol. I, P. 489.

(3) Hagenmeyer, Chronologie, de la Premiere Croisade, in R.O.L, Tom7, Paris 1899, P.487.

وعمل أرنولف منذ البداية على إضفاء صبغة لاتينية على بطريركية بيت المقدس، وكانت علاقته حسنة مع جميع الأمراء الصليبيين القائمين على حكم الدولة الصليبية الناشئة، مما يؤكد دهاء أرنولف فى تدعيم نفسه فى البطريركية، ولكن لم يمض على انتخابه سوى فترة وجيزة لا تتجاوز أربعة أشهر، وتقرر عزله، على أساس أن انتخابه لم يكن متفقًا مع القانون الكنسى[1].

وتجدر الإشارة إلى أن دايمبرت Daimbert لم يكن ضمن رجال الحملة الصليبية الأولى غير أنه حضر إلى بلاد الشام عام 1099 م (493 هـ)، على رأس أسطول بيزى[2] وقد جرت عملية انتخاب دايمبرت فى كنيسة القيامة فى أواخر ديسمبر سنة 1099 م (صفر سنة 493 هـ)[3]، وعمل على كسب حلفاء له، فوجد فى بوهيموند Bohemund أمير أنطاكية غايته، فكل منهما له طموحه، فالأول يتطلع إلى منصب البطريركية فى بيت المقدس، بينما بوهيموند يأمل فى الحصول على التأكيد الكامل من الكنيسة اللاتينية فيما يتعلق بإمارته لأنطاكية[4].

يذكر وليم الصورى أن أرنولف لم يغفر لدايمبرت ذلك العمل، فأخذ يعمل على إحداث اضطرابات وتهديدات لدايمبرت.

---

(1) Hamilton B., The Latin Church in the Crusader States, London 1980, P. 16.

(2) وصل دايمبرت إلى الشام فى نهاية أغسطس عام 1099 م، أى بعد استيلاء الصليبيين على القدس، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس، ص61.

(4) Fulcher of Chartres, P. 139.

(4) استولى بوهمند على أنطاكية دون وجه حق، ولم يكن قانعًا بذلك، وهاجم المدن البيزنطية والتركية على حد سواء، إسحق عبيد، روما وبيزنطة من قطعية فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة 1970 م، ص127، 128،

أما بوهيموند فقد كسب كثير من وراء الدور الذى قام به فى مساعدة دايمبرت، لأنه ضمن تأييد بطريرك بيت المقدس له فى حالة تعرضه لهجوم من جانب الإمبراطور البيزنطى، وعلى أساس هذا التأييد اتخذ بوهيموند لنفسه لقب أمير أنطاكية، كما اتخذ ابن أخته تنكرد لقب أمير الجليل، إشارة منهما إلى أنهما لا يتبعان جودفرى، وإنما دايمبرت، انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 216.

ويلاحظ أن وليم الصورى كان منحازًا إلى جانب دايمبرت الذى كان مقبولاً لدى الجميع، واختير من قبلهم لإدارة الكنيسة، وأن وليم الصورى كان يميل إلى جانب دايمبرت على حساب أرنولف Arnoulf وأغدق على الأخير كثير من الصفات الشريرة[1].

وقد عمل دايمبرت Daimbert منذ البداية على تأكيد الأسبقية الدينية على السلطة الزمنية، فما لبث أن ركع جودفرى دى بويون وبوهيموند أمام البطريرك الجديد، مثلما يركع الأفصال الإقطاعيون أمام سيدهم، وطلبا منه تقليدهما حكم بيت المقدس وأنطاكية على التوالى.

ومعنى ذلك، أن بطريرك بيت المقدس رأس السلطة الروحية فى المملكة المقدسة وممثل المسيح فيها، وذلك بوصفه بطريركًا على تلك المدينة من ناحية ومندوبًا بابويًا اختاره البابا[2]، وهو خليفة القديس بطرس لينوب عنه فى الأرض المقدسة من ناحية أخرى، وبذلك صار على بقية الأمراء العلمانيين أن يدينوا له بالطاعة والاحترام، وأن يتسلموا منه تقاليدهم الخاصة بقيامهم فى حكم إمارتهم[3].

أما بالنسبة لبلدوين فكان غيابه واضحًا خلال مراسم التقليد، حيث لم يكن لديه نية فى الركوع أمام أى شخص[4] ـ وسوف يتضح ذلك فيما بعد ـ.

وقد تطلع دايمبرت إلى إقامة حكومة ثيوقراطية باعتباره ممثلاً للسلطة الدينية

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 485.

(2) اعتقدت كنيسة روما أنها سيدة الكنائس، خاصةً أن مؤسسها القديس بطرس رأس الحوريين، وقد ورد فى إنجيل يوحنا عبارة يقول فيها السيد المسيح عن بطرس الذى هو اسمه سمعان بن يونه، وأطلق عليه بطرس الصخرة، فقال له السيد المسيح: "أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى"، وبالتالى اعتقدت تلك الكنيسة أنها سيدة على كافة الكنائس. إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ط. القاهرة 1972 م، ص172 ، 173.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج1، ص215.

(4) أنتونى بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص114.

رغم افتقاره إلى تأييد البابا، ولأن الحرب الصليبية فعلة كنسية Action d' Eglise، فإن كل ما يتم تحقيقه من نصر لابد أن ينسب للكنيسة، وعلى هذا الأساس طالب دايمبرت ببيت المقدس ويافا.

وعندما رحل الأسطول البيزى بعد عيد الفصح لعام 494 هـ/ 1100 م ووصل الأسطول البندقى إلى ميناء يافا فى يوليه من نفس العام، أدرك جودفرى دى بويون أن الفرصة قد أتيحت له ليتخلص من ضغوط دايمبرت، لذلك رحب بوصول الأسطول البندقى على أساس أنه سيدعم الموقف السياسى خلال تلك المرحلة من تاريخ الوجود الصليبى فى المنطقة، وما لبث أن توفى جودفرى فى 18 يوليو عام 1100م (494 هـ)[1] وقد جاءت وفاته لتكشف عن أطماع رجال الدين اللاتينى، وعلى رأسهم دايمبرت فى إقامة حكومة دينية يكون لرجال الدين تأثير كبير عليها.

و من المتصور أن قيام حكومة دينية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظامًا ملكيًا وراثيًا، كان أمرًا صعب التحقيق، ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى حكم بيت المقدس كانت كافية لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس.

هذا بالإضافة إلى أن أرنولف مالكورن Arnoul Malecorn البطريرك السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت Daimbert، كان له أنصاره من رجال الدين، وهؤلاء شايعوا فكرة قيام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس، لا شيء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه أطماعه وآماله[2].

مهما يكن من أمر، فإن وجه الأهمية فى ذلك الموقف هو أن المؤمنين بنظام الملكية الوراثية اتجهوا جميعًا نحو بيت بوايون، وأحاطوا نواياهم بالسرية التامة، وأرسلوا

(1) Fulcher of Chartres, P. 89.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص221.

أسقف الرملة معه اثنان من الفرسان لمقابلة بلدوين أمير الرها Edessa لمطالبته بالحضور على وجه السرعة لاستخلاص حقوقه وتولى السلطة بوصفه الوريث الشرعى للكيان الصليبى فى بيت المقدس بعد وفاة أخيه جودفرى، بالإضافة إلى قيام مجموعة من الفرسان بقيادة وارنر أوف جراى Warner of Gray أحد أقارب بلدوين الأول بالاستيلاء على قلعة بيت المقدس (برج داود)، ثم إرسال الرسل السريين إلى بلدوين دى بويون، يطلبون منه القدوم إلى بيت المقدس، ويستحثونه على الوصول بسرعة وبدون تأخير، لكى يتولى حكم البلاد مكان شقيقه[1].

وقد تمت هذه الأمور بالتنسيق والتشاور مع أرنولف مالكورن[2] الذى كون حزبًا فى مواجهة دايمبرت Daimbert ولم يكن من دافع لديهم سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف أمام أطماعه، وبالتالى لم يسمحوا له بإقامة حكومة دينية، بل إنهم شجعوا على إقامة ملكية وراثية فى بيت المقدس.

وكان نتيجة النزاع بين أرنولف ودايمبرت تدعيم مبدأ الملكية الوراثية. أضف إلى ذلك ما كانت تخشاه البابوية فى الغرب الأوربى من فرض سيطرة الكنيسة عليها، لأن إرتقاء أحد رجال الدين الأقوياء بطريركية بيت المقدس سوف يؤدى إلى قيام بابوية جديدة فى الشرق، وهذا ما يعارض مصالح البابوية فى الغرب الأوروبى، لأن بابا بيت المقدس يستطيع فى هذه الحالة بوصفه خليفة المسيح فى مدينته فرض السيادة على بابا روما الذى لن ينفعه عندئذٍ أنه خليفة القديس بطرس فى كنيسته، ونجد هذا السبب المحورى من الأسباب القوية التى جعلت بابوية روما لا يؤيدون دايمبرت فى منازعاته مع ملك بيت المقدس، وبالتالى لم يشجعوا إقامة حكومة دينية فى الأراضى المقدسة[3].

وهنا تتضح لغة المصالح المشتركة، فالبابوية فى روما إذا ما خلعت عن نفسها

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 418.
(2) Ibid, P. 418.
(3) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الإسكندرية 1990 م، ص113.

رداء الرهبنة فإنها سترتدى ثوب رجل السياسة. نخلص من ذلك إلى أن فشل جهود دايمبرت لإقامة حكومة دينية يرجع إلى موقف مجموعة من رجال الدين من بينهم أرنولف مالكورون وروبرت أوف روين Robert of Rwin الذين عارضوا هذه الفكرة، بالإضافة إلى رغبة عدد من الفرسان مثل جالديمار كاردينيل وغيره من أتباع جودفرى فى قيام حكم ملكى وراثى فى الأراضى المقدسة ومعارضة البابوية فى سيطرة الكنيسة الشرقية عليها.. كل هذه الأسباب جعلت آمال دايمبرت تتحطم، وتم إعلام بلدوين حاكم الرها Edessa بوفاة شقيقه جودفرى.

بيد أن دايمبرت لم يفقد الأمل، فقد عمد إلى طلب عون بوهيموند فى أنطاكية يشكو له ما يلاقيه من اضطهاد من جانب الكونت جارنيردى حازى[1].

وفعلاً اتصل بصديقه بوهيموند أمير أنطاكية بوصفه القوة الوحيدة التى تستطيع أن تقف فى وجه بلدوين ويحول دون وصوله إلى حكم بيت المقدس. هذا بالإضافة إلى أن دايمبرت كان له أنصار من الأمراء من بينهم تنكرد Tancred ابن أخت بوهيموند[2].

وقد عرف عن تنكرد الشجاعة والحماسة، وأنه صار من أقوى أمراء الكيان الصليبى، فقد اتفق تنكرد مع دايمبرت على عرض حكم بيت المقدس على بوهيموند بوصفه القوة الكبرى التى يمكنها الوقوف فى وجه بلدوين من ناحية، ثم مساعدة دايمبرت من ناحية أخرى.

ويتضح من الرسالة التى بعث بها دايمبرت وتنكرد إلى بوهيموند أن الغرض منها كان استثارة الأخير، ولو قدر لخطة دايمبرت النجاح لأدى ذلك إلى إثارة حرب أهلية بين الصليبيين فى بلاد الشام بين بلدوين أمير الرها Edessa وبوهيموند

(1) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897, P. 79.

(2) Stevenson W., The Crusaders, P. 42.

أمير أنطاكية، مما يؤدى بالصليبيين جميعًا فى الشرق إلى كارثة كبرى، فكان لابد من قيام ملكية قوية فى بيت المقدس تستطيع أن توحد الصفوف[1]. وقد كان من حسن حظ الصليبيين ألا تصل الرسالة التى بعث بها دايمبرت إلى بوهيموند، إذ وقع حامل الرسالة قرب اللاذقية فى أيدى رجال ريموند الصنجيلى[2] المنافس اللدود لبوهيموند. وفى تلك الأثناء حلت ببوهيموند كارثة كبرى جعلته عاجزًا عن مجرد الحركة، ففى شهر يوليو سنة 1100 م (494 هـ) كان بوهيموند Bohemund فى طريقه إلى ملطية ليقدم النجدة لأميرها الأرمنى ضد التركمان من أتباع غازى كمشتكين بن الدانشمند صاحب سواس، فوقع بوهيموند أسيرًا فى قبضة كمشتكين، ولم تفلح الجهود التى بذلها الصليبيون لإنقاذه[3].

وهكذا، قدر لبوهيموند أن يظل أسيرًا ثلاث سنوات فى قلعة نيكسار قرب شاطئ البحر الأسود[4]. ولنا أن نتصور إذا تم بالفعل وصول الرسالة إلى بوهيموند وعدم وقوعه فى الأسر لحدث اتحاد بينه وبين دايمبرت.. هذا الاتحاد كان من شأنه إشعال حرب أهلية بين القادة العلمانيين ورجال الدين بين المؤيد والمعارض.

قام دايمبرت بتتويج بلدوين ملكًا على بيت المقدس، فى يوم عيد ميلاد السيد

---

(1) Richard J., Le Royaume Latin, PP. 62- 63.

(2) وكان قد وصل إلى اللاذقية فى آخر يوليو من نفس العام موريلوس دى بورتو Mariliuos de Porto كاتم سر دايمبرت الذى كلفه بحمل رسالة إلى بوهيموند ليدعوه إلى حكم بيت المقدس، ولكن استوقفته السلطات فى اللاذقية لفحص ما يحمل من أوراق فاكتشفت أمر الرسالة الموجهة إلى بوهيموند، فعلى الفور قامت السلطات البيزنطية المسيطرة على المدينة بتوجيه الرسالة إلى رجال ريموند دى سان جيل لترجمتها، فعلموا ما بها، وقاموا بالقبض على موريلوس دى بورتو ليحولوا دون وصول الرسالة إلى بوهيموند.

Fulcher of Charters, P. 128.

(3) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج9، ص29، على بن صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم فى بلاد الأناضول، ط. الإسكندرية 1994 م، ص177.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج2، ص145.

المسيح لعام 1101 م (495 هـ) وبحضور: الأساقفة، والقساوسة، والأمراء، والرعية، فى كنيسة بيت لحم[1]، وقد عمل بلدوين على أن يتوج فى بيت لحم حتى لا يتوج ملكًا فى بيت المقدس حيث ارتدى المسيح تاج الشوك[2] كما يعتقد المسيحيون.

بيد أن هذا التتويج كان له أكثر من معنى بالنسبة لبلدوين ودايمبرت، فقد كان إعلانًا بقيام مملكة لاتينية فى الشرق وزوال كل احتمال لقيام حكومة دينية، وسرعان ما اشتد النزاع بين بلدوين الأول والبطريرك دايمبرت.

بدأ بلدوين الأول فى التخلص من دايمبرت، ولكنه فى أول الأمر عقد مع الأمير تنكرد اتفاقًا فى مدينة حيفا Haifa فى مارس عام 1101 م (جمادى الأول سنة 495 هـ)، وبموجب هذا الاتفاق تنازل تنكرد للملك بلدوين الأول عن إمارة الجليل، لأنه كان مضطرًا للرحيل إلى أنطاكية، إذ رأى فى الإمارة الأخيرة منتهى مطامعه وآماله.

وهذا الاتفاق يدل على دهاء بلدوين فى كيفية التخلص من أعدائه الواحد تلو الآخر[3]، ومن بعده، بدأ بلدوين فى التخلص من دايمبرت، ولكنه كان حريصًا على أن يتم ذلك بطريقة لا تجلب عليه غضب رجال الدين سواء فى بيت المقدس أو روما.

وكانت فرصة بلدوين كبيرة بقدوم المندوب البابوى الكاردينال موريس أسقف

(1) Fulcher of Chartres, P. 148; William of Tyre, Vol. I, P. 427; Regine Pernoud, The Crusades, London 1962, P. 92.

(2) Boase.T.S.R, Kingdoms and Strongholds of the Crusades, London 1971, P. 42; Brehier, L, Eglise et L'Orient au Moyen ages, les Croisades, Paris 1928, P. 86.

(3) من المعروف أن تنكرد نفسه كان يكن الكراهية لبلدوين منذ أن نشبت بينهما المنازعات فى قليقية، منذ ثلاث سنوات،

William of Tyre, Vol. I, P. 178.

بورتو Borto[1] الذى قدم إلى المملكة الصليبية للتحقيق فى بعض الشكاوى حول قانونية ارتقاء دايمبرت للبطريركية.

وعندما وصل ذلك الكاردنيال إلى بيت المقدس استقبله الملك بلدوين ورجال الدين وأخبروه عن استعدادهم الكامل لطاعة أوامر البابا بكل عدل وحق، وهذا يدل على أن بلدوين كان يريد أن يطمئن البابا فى روما أنه سيكون خادمه المخلص فى بلاد الشرق.

ومن هنا يتضح دهاء بلدوين فى رسم سياسته الجديدة للمملكة الصليبية الوليدة فى إطار علمانى بحت، يكون هو سيده الأوحد، مع مراعاة أن تكون سيادته العلمانية فى حمى الكنيسة الأم فى روما.

بعد ذلك عقد الكاردينال موريس فى بيت المقدس اجتماعًا حضره الأساقفة والرهبان، وذلك فى أواخر سنة 1101 م (495 هـ) لبحث أمر الشكاوى التى قدمها الملك ضد البطريرك دايمبرت[2].

وقام الملك بلدوين بتوجيه الاتهامات للبطريرك دايمبرت، واتهمه بالخيانة العظمى، حيث تعاون مع الأمير تنكرد ضده حتى يمنعه من وراثة عرش أخيه الأمير جودفرى، كذلك اتصل بالأمير بوهيموند وشجعه على أخذ عرش بيت المقدس، حتى لو اقتضت الضرورة استعمال القوة فى سبيل ذلك، بل أضاف بلدوين

(1) هو أحد الكرادلة الاثنى عشر فى الكنيسة الرومانية المقدسة، كما كان رئيس أساقفة مدينة بورتو، وقد أرسله الباب باسكال الثانى إلى الأرض المقدسة بسبب توسلات الملك بلدوين للتحقيق فى الشكاوى المقدمة منه ضد البطريرك دايمبرت، وقد وصل إلى اللاذقية مع أسطول جنوى فى عام 1100 م (493 هـ) حيث نزل باللاذقية، ويبدو أنه أكمل الطريق إلى بيت المقدس برًا، وقد توفى الكاردينال 1102 م (496 هـ). انظر سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص117،

Hamilton, The Latin Church, PP. 54, 55.

(2) John La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100- 1291, New York 1970, P. 204.

تهمة أخرى حيث ادعى محاولة دايمبرت اغتياله إبان رحلته صوب الجنوب[1]، وهو اتهام بلا ريب على جانب كبير من الخطورة.

وعندما استمع الكاردينال موريس لأقوال الملك بلدوين الأول Baldwin I، قرر منع دايمبرت من الاشتراك فى الطقوس الدينية الخاصة بعيد الفصح، والذى اعتاد فيه أسلافه البطاركة الصعود إلى جبل الزيتون[2] لإقامة الطقوس الدينية.

ونظرًا لخوف البطريرك دايمبرت على مستقبله، ذهب إلى الملك وركع أمامه باكيًا يطلب منه الصفح، ولا يحرمه من منصبه فى هذا اليوم، إلا أن بلدوين رفض طلبه، وعندئذٍ قدم البطريرك رشوة كبيرة إلى الملك قيمتها ثلاثمائة بيرنط ذهبية، فتراجع بلدوين مؤقتًا عن تشدده وعفا عنه[3].

وعلى هذا لم ينته الصراع بين البطريرك والملك فازدادت الهوة بين الطرفين، لأن بلدوين الأول كان دائمًا فى حاجة مستمرة للأموال[4] من أجل دفع رواتب الفرسان والجنود، بالإضافة إلى إنشاء فرق عسكرية جديدة، وبسبب تضييق الجنود على

---

(1) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص47.

(2) جبل الزيتون The Mount of Olives سمى بهذا الاسم بسبب كثرة الأشجار المزروعة فى كل بقعة منه. والجبل جميل للغاية، وهو يقع بالقرب من المدينة المقدسة، وإلى الشرق منها، ويفصله عنها وادى جوسفات الذى يعرف أيضًا بوادى القديسة مريم، و"وادى جنهم" و"وادى سلون" و"وادى النار" و"وادى قدرون"، و"وادى الدموع" وقد أطلق عليه الصليبيون اسم جبل الأنوار، ويعرف أيضًا بجبل الطور، وذكره المؤرخون العرب باسم "طوررزيتا". ويوجد على الجبل أشجار الزيتون والتين والعنب، كما يزرع على سفحه القمح الجيد. ويقال إن عمر بن الخطاب صلى على هذا الجبل، وأن عيسى عليه السلام صعد منه إلى السماء.
بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص27، هامش (3).

(3) Grousset, Histoire des Croisades, Tom I, P. 240.
وهذا يذكرنا بحادثة شهيرة فى أوروبا العصور الوسطى ولكن بصورة عكسية عندما تم إذلال الإمبراطور الألمانى هنرى الذى فعل ما فعله ديمبرت ولكن مع البابا جريجورى السابع عام 1077 م فى حادثة كانوسا Canossa الشهيرة. عنها انظر: رأفت عبد الحميد، تاريخ وحضارة أوروبا فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1996 م، ص154 ـ 160.

(4) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 82.

الملك بلدوين الأول طلب من البطريرك المشاركة بجزء من المال، فبذل له مائتى مارك من الفضة[1] وذكر بأن هذا المبلغ هو ما تحويه خزائن البطريركية، غير أن أرنولف مالكورن مستشار كنيسة القيامة Sancti Sepulcri Concellarius ورجال الدين التابعين لحزبه، أكدوا للملك بلدوين الأول أن البطريرك دايمبرت أعاد فرض الأموال على أتباعهم بغير حق، وأضافوا أنه يخفى مبالغ كبيرة من المال.

وعندما علم الملك بذلك غضب غضبًا شديدًا على البطريرك وأخذ يستحثه على القيام برعاية الجنود، الذين يقومون بحماية الكنائس، وتأمين الحجاج، والمؤكد أن مجرى الأحداث لم يكن فى صالح البطريرك دايمبرت.

ففى خريف عام 1101م (495 هـ) تلقى البطريرك دايمبرت هدية من روجر Roger أمير أبوليا مقدارها ألف بيزنت[2] على أن تقسم ثلاثة أقسام: جزء للقبر المقدس، وجزء للمستشفى التى أقامها فى بيت المقدس، والثالث للملك للمساهمة فى إعداد الجيش، غير أن دايمبرت احتفظ لنفسه بالمال كله، مما جعل الملك يتقدم بشكوى بخصوص هذا الأمر إلى المندوب البابوى الكاردينال موريس الذى لم يستطع مساعدة دايمبرت فى هذا الأمر لوضوح تورطه بتهمة الاختلاس، فتقرر عزله وحرمانه من سلطانه وواجباته فى كنيسة القيامة، كما تم القبض على مساعديه وإرسالهم إلى السجن[3]، مما دل على أن اعتذاره السابق لبلدوين الأول لم يكن صادقًا فيه.

(1) المارك: كان هناك نوعان من هذه العملة: أحدهما من الذهب، والآخر من الفضة، والمارك الذهبى تتراوح قيمته من ثمانية إلى عشرة ماركات فضية، ويزن الواحد منها 2.3 جرام، وبذلك تصبح قيمة المارك الذهبى على أقل تقدير ما يساوى 18.4 على أقصى تقدير يساوى 23 جرام من الفضة. انظر محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين، ص159، حاشية (1).

(2) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 82.

(3) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص121.

وبناء على ذلك، رحل دايمبرت إلى يافا حيث سمح له بلدوين بقضاء فترة الشتاء هناك، وفى مارس عام 1101 م (494 هـ) وصل إلى أنطاكية، فبادر أميرها تنكرد بالترحيب به، ووضع تحت تصرفه كنيسة القديس جورج st. Goerge[1]. وقد حاول تنكرد الضغط على بلدوين لإعادة دايمبرت إلى منصبه مستغلاً حاجة بلدوين إلى مساعدته فى حربه ضد المصريين[2]، إلا أن بلدوين لم يتراجع عن موقفه، وعارض مطلب تنكرد وحاول دايمبرت الاستعانة بالبابوية فى روما[3]، فعرض شكواه على بابا روما، وأوضح له ما لحق به من أذى على يد الملك الصليبى، وحصل دايمبرت بالفعل على العون البابوى، فقد أعطى خطابًا بابويًا، وأرجعه إلى بلده فى تقدير كامل ليسترد الكرسى الذى أبعد عنه خطأ.

ويذكر فوشيه دى شارتر أن دايمبرت مات فى الطريق إلى بيت المقدس[4]، ويرجع وليم الصورى وفاة دايمبرت إلى ما أصيب به من أمراض خطيرة[5].

وبوفاة دايمبرت، انتهى الصراع بين الملك والكنيسة، وبدأت مرحلة أخرى يكون الحكم فيها بيد من حديد، ويكون بلدوين بذلك استطاع بمهارة ودهاء أن يمسك زمام الأمور فى مملكته الجديدة، مع مراعاة البابوية فى روما.

وكان الملك قد جعل منصب البطريرك شاغرًا، بحجة أنه سيخطر بابا روما بهذا

(1) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 82.

القديس جورج St. George، وهو جورج الشهيد عاش بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين، واعتبر القديس الحامى لإنجلترا، ويعد أحد أكبر الشهداء المسيحيين شهرة فى عهد المسيحية المبكرة، ومن المحتمل أنه قتل فى اللد Lydda فى أخريات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الميلاديين، عنه انظر: محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة 2006 م، ص223ـ224.

(2)Grousset, Histoire des Croisades, Tom I, P. 293.

(3) حسين مؤنس، نور الدين بن زنكى فجر الحروب الصليبية، ط. الرياض 1984م، ص109.

(4) Fulcher of Chartres, P. 177.

(5) William of Tyre, Vol. I, P. 464.

الأمر[1]. ولم يواجه بلدوين الأول أية مضايقات ذات شأن من جانب الكنيسة بعد وفاة دايمبرت، فقد كان على رأس الكنيسة بطريرك متقدم فى العمر هو ايفرمار Efremar 1103م ـ 1107م (497ـ 501 هـ)[2].

وكان ايفرمار من طراز يختلف عن دايمبرت فلم يدرك الأوضاع التى تحيط به، وانتهى به الأمر إلى العزل من منصبه نظرًا لتقواه وإيمانه العميق وشخصيته البسيطة، فقد أنيطت به كنيسة قيسارية التى كانت شاغرة[3] وفق ما قرره وليم الصورى.

وبعد عزل ايفرمار تولى جبلين Gibelino المفوض البابوى ورئيس أساقفة إيرل بطريركية بيت المقدس بإجماع رجال الدين عليه، وشغل ذلك المنصب مدة أربعة أعوام، فكان رجلاً قويًا، وقد توفى فى السادس من أبريل سنة 1112م (506 هـ)[4]، وقد تولى أرنولف مالكورن Arnoul Malecorn البطريركية خلفًا لجبلين.

وقد شهدت تلك الفترة وفاقًا بين الكنيسة والملك، ويرجع ذلك إلى حرص أرنولف على بقاء التفاهم والتعاون مع الملك[5] مع عدم إغفال حرص بلدوين الأول نفسه على نفس الأمر.

ومما لا شك فيه أن ذلك الحرص أرضى الملك بلدوين الذى كان حريصًا على تثبيت أركان مملكته بأن تكون له السيطرة التامة. ولم يكن الملك بلدوين الأول

(1) Hamilton B., The Latin Church, PP. 55- 56.

(2) هو قس متقدم فى العمر قدم مع الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، حظى باحترام الجميع، وقد اشتهر بالتقوى (من وجهة نظر المؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى).

Fulcher of Charters, P. 191.

(3) William of Tyre, Vol. I, P. 468.

(4) Ibid.

(5) عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس، ص85،

Boose, Kingdom and strongholds, P. 42.

يتدخل فى تصرفات البطريرك فى أية أمور كنسية، إلا إذا تعلق الأمر فقط بالدخل الكنسى، فهنا ما كان يتوجب على البطريرك أن يحصل على موافقة الملك حين التصرف فى هذا الدخل. فعندما أراد البطريرك افريهار أن يجدد رواتب كهنة القبر المقدس فى عام 1103م (497 هـ)، حصل أولاً على موافقة الملك بلدوين الأول، بل أنه وثق المرسوم الذى أصدره بشأن ذلك بخاتم الملك[1].

وعندما أراد البطريرك أرنولف 1112ـ 1118م (506 ـ 512 هـ) أن يخصص فى عام 1112 جزءًا من العشور التى يؤديها له بعض ملاك الأرض من اللاتين لإعادة بناء كنيسة جوسفات Josphat، والتى تقع خارج نطاق مدينة بيت المقدس من جهة الشرق، وعندما منح نفس البطريرك فى عام 1114م (508 هـ) عشور بيت المقدس إلى كهنة القبر المقدس، فى الحالتين، كان ذلك بمشاورة الملك، وبعد أن قدم إلى الملك التماسًا فى هذا الشأن، وأمره الملك بتنفيذ ذلك[2].

ومن هنا، يتضح أن الملك بلدوين الأول سيطر على الكنيسة من الناحية الاقتصادية، نظرًا لما كانت تعانيه المملكة من احتياج مستمر للأموال.

ومما تقدم نستطيع أن نستنتج أن الملك بلدوين الأول نجح فى سياسته مع الكنيسة بقدرته على كسب ثقة البابوية فى روما، وإخضاع الأساقفة فى المملكة الصليبية الوليدة تحت سيطرته التامة.

من ناحية أخرى، واجه الصليبيون مشكلة أخرى تتعلق بعملية إنشاء الأسقفيات اللاتينية، مكان الأسقفيات الأرثوذكسية التى كانت قائمة فى الأراضى المقدسة، فقبل قدوم الصليبيين إلى منطقة فلسطين وتأسيس مملكة

(1) Rohrict R. Regesta, Regni Hierosolimitani. Innsbruck 1893, No. 40, P.7.

(2) حسين محمد عطية، "مجلس نابلس 23 يناير 1120 م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية"، حولية التاريخ الوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، م1، القاهرة 2000ـ 2001 م، ص43.

بيت المقدس لم يكن هناك وجود للشعائر اللاتينية على أرض تلك المنطقة، فيما عدا مستشفى القديس يوحنا فى بيت المقدس التى كانت تقدم خدماتها للحجاج اللاتين[1].

ومن ثم أخذت الكنيسة اللاتينية شكلاً جديدًا مع اتساع رقعة الأرض التى استولى عليها الصليبيون، فأخذت تنظم أمورها. فعندما دخل الصليبيون بيت المقدس وجدوا بطريركية بيت المقدس خالية من بطريركها الأرثوذكسى الذى ترك المدينة قبل قدوم الصليبيين، ونتاجًا لذلك كان اللاتين هم العنصر الغالب والمسيطر على المدينة[2].

ومن بعد أرنولف وأفريمار تـولى البطريركية جبلين Gibelino 1108- 1112م (496 ـ 502 هـ) فكان رجلاً قويًا قادرًا على ممارسة دوره فى تنظيم الكنيسة اللاتينية دون معارضة من أحـد، وكـان ذلك نتيجة توفيقه بين جميع الأطراف، سواء الملك بلدوين الأول أو رجال الدين. وعندما اعتلى جبلين عرش البطريركية عام 1108 م (502 هـ) لـم يكن يتبع بيت الـمقدس سوى أسقفيتان: أقيمت الأولى فى الرملـة Ramla أثـناء تقـدم الصليبيين صـوب بيت الـمقدس عـام 1099 م (493 هـ)[3]، وبعد أن تم الاستيلاء على مدينتى اللد والرملة كان لابد من اختيارهم لأسقف لاتينى، وتم اختيار روبرت الروفينى Robert of Roven[4] أسقفًا، وبهذا تكون أسقفية اللد والرملة أولى الأسقفيات اللاتينية التى أنشئت فى الأراضى المقدسة.

---

(1) فتحى عبد العزيز محمد، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام 1187 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1988 م، ص96.

(2) Richard, "The Political and Ecclesiasrical Organization of the Crusader States" in Setton (ed) A History of the Crusades, Vol. V, U.S.A. 1985, P. 235.

(3) Fulcher of Charters, P. 115.

(4) Hamilton, The Latin Church, P.11.

أما الثانيـة فأقيمت فى قيسارية بعـد استيلاء بلـدوين الأول عليها عام 1101 م (495 هـ)، فتم انتخاب أحد رجال الدين ويدعى بلدوين ليكون رئيسًا للأساقفة فى المدينة، وتم اختياره بالإجماع[1].

ويتضح من السرعة التى تم فيها تعيين رئيس أساقفة قيسارية، أن الصليبيين كانوا متلهفين لتحويل الكرسى الأرثوذكسى فيها إلى آخر لاتينى.

ومن المحتمل أن رئيس الأساقفة الأرثوذكسى لم يكن موجودًا فى قيسارية أثناء الاستيلاء عليها، إلا لما قام الصليبيون بانتخاب وتعيين أسقف لاتينى بهذه المدينة. هذا الأمر يتشابه مع ما قام به الصليبيون بعد استيلائهم على اللد والرملة، حيث بادروا إلى تعيين أسقف من بينهم ومنحوه العطايا والإقطاعات[2].

ومن المعروف أن الكنيسة الغربية كانت تريد كثلكة الشرق، لذلك عملت على تعيين أساقفة لاتين فى الأراضى المقدسة، فأنشأ الصليبيون أسقفية لاتينية فى الناصرة سنة 1109 م (503 هـ)، وقام جبلين بتنصيب أسقف لاتينى للكنيسة الناصرة، وقد سجلت وثائق دير القديسة مريم فى وادى جوسفات اسم أول أسقف تولى شئون أسقفية الناصرة، ويدعى برنارد[3]. وتسلم أول أسقف لاتينى للناصرة مهام منصبه عام 1109م (503 هـ) وامتد نفوذه على كل الجليل[4].

وقد أسهم الملك بلدوين الأول فى تحويل بيت لحم إلى أسقفية لاتينية، بعد أن قرر رفع كنيستها إلى مرتبة الكاتدرائية، وذلك بعد أن توج فيها ملكًا على بيت المقدس، مما يدل على تقدير بلدوين الأول لكنيسة بيت لحم، ورغم تعارض ذلك

---

(1) Fulcher of Charters, P.155.

(2) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص131.

(3) نفسه، ص132.

(4) Prawer the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1972, P. 164.

مع المذهب الأرثوذكسى السابق[1]، مع ملاحظة عدم تجاهل بلدوين الأول فى استئذان السلطة الدينية فى الغرب الأوروبى، فأرسل اثنين من رجاله إلى روما لأخذ موافقة البابا باسكال الثانى Paschal II[2]، مما يدل على فطنة بلدوين فى عدم تخطى البابوية فى روما وإشراكها فى الأمور الكنسية.

وقد أرسل الباب باسكال الثانى مفوضًا عنه لبحث هذا الأمر، وعندما وصل المفوض البابوى إلى بيت المقدس، وجد أن الملك ورجال الدين قد قضوا بانتخاب اسكتنيوس Aschetinus[3] كأول أسقف لاتينى لبيت لحم، على أن تتبع عسقلان التى لم يستول الصليبيون عليها قبل عام 1153م (548 هـ)[4].

وبعد ذلك أعطى الملك بلدوين الأول للأسقف إسكتنيوس ولخلفائه حق امتلاك مدينة بيت لحم التى منحها فى الحال للكنيسة، وقد أعطى الملك هذه المنحة لأسقفية بيت لحم ضمن وصية خاصة به[5].

و اهتم البطريرك جبلين ببيت لحم والناصرة، فى ضوء إحساس الصليبيين بأهمية

(1) William of Tyre, Vol. I, PP. 481- 482.

(2) Ibid, P. 482;

البابا باسكال الثانى: تولى المنصب البابوى فى أغسطس سنة 1099 م/ رمضان 492 هـ، بعد وفاة البابا أوربان الثاني، وقد اتخذ القرارات لصالح بطريركية بيت المقدس، عندما صرح بأن المدن والمقاطعات التى استولى عليها الملك بلدوين الأول، والتى سيستولى عليها فى المستقبل تخضع لسلطة مملكة بيت المقدس، وقد أرسل فى هذا الشأن عدة رسائل للملك بلدوين الأول وإلى البطريرك جبلين. وتوفى باسكال الثانى فى يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من يناير سنة 1118 م/ الثالث والعشرين من رمضان سنة 511 هـ.

William of tyre, Vol.I, PP. 508-513,

سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص116 حاشية (2).

(3) Hamilton, The Latin Church, P. 59.

(4) Prawer, The Latin Kingdom, P. 165; Benvenisti, The Crusaders, P.160.

(5) Benvenisti, The Crusaders, P. 160.

أن تكون مثل تلك الأماكن التى تحوى ما يتعلق بذكريات المسيحية فى عهدها الباكر ضمن الهيئة الكنسية، وألا تكون مهملة الشأن، وقد أراد جبلين نشر النظام الأوغسطينى[1].

وعند إنشاء أسقفية لاتينية فى بيت لحم، واجه الصليبيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية مشكلة أخرى عندما أرادوا تحويل بعض الأسقفيات الأرثوذكسية فى المدن الساحلية، مثل: عكا وبيروت وصيدا إلى أسقفيات لاتينية، فعندما استولى بلدوين على عكا فى عام 1104 م (498 هـ)[2]، فإنها لم ترق إلى أن تكون أسقفية رغم أهميتها.

وعندما استولى الملك على بيروت فى مايو سنة 1110م (شوال 504 هـ)[3]، وعلى صيدا فى ديسمبر سنة 1111م (جمادى الأولى سنة 505 هـ)[4]. وتمثل المدينتان جزءًا من إقليم صور الذى يتبع بطريركية أنطاكية حسب النظام الأرثوذكسى، إلا أن جبلين وبتأييد من الملك بلدوين أراد ضم الميناءين إلى نفوذه الكنسى. ويرجع موقف بلدوين إلى رغبته فى أن تكون المناطق التابعة لسيطرته تابعة لبطريركية، وكان مبرر جبلين فى ضم المدينتين هو أن خمسة قرون من التواجد الإسلامى كفيلة بإحداث فوضى فى التقسيم الكنسى القديم[5].

(1) النظام الأوغطسينى، نسبة لأوغسطين الذى ولد سنة 354 م فى تاجستا شرقى نوميديا Numicia (شرقى الجزائر اليوم) وعاش فى شمال إفريقيا، حيث أصبح أسقفًا لـمدينة هيبو Hippo، وظل هناك إلى أن مات فى سنة 430 م، ألف كتابه الشهير مدينة الله De Civitate Dei، وبدأ فى كتابته سنة 413 م وانتهى منه سنة 426 م وقارن فيه بين مدينة الله والمدينة الأرضية، صاحب الإطار اللاهوتى للكاثولكية المعروف بالنظام الأوغسطينى، والذى استمر حتى عصر الإصلاح الدينى. لمزيد من التفاصيل انظر اعترافات القديس أغوسطنيوس، ت: يوحنا الحلو، ط. بيروت 1962 م، ص1 ـ 6، إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ص134 ـ 138.

- Mgr Alfred Baudrillart, Dictionnaire d'Histoire et de géographie Ecclèstastiques, Vol.VI, Paris 1931, P. 440- 445.

(2) Fulcher of Charters, P. 176.

(3) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص269.

(4) نفسه، ص174.

(5) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص325.

ومن المرجح أن هذا القرار شجع بلدوين الأول على ضم المركز الأسقفى فى صور إلى سيادة مملكة بيت المقدس على الرغم من أن صور مازالت بأيدى المسلمين، وفى الوقت نفسه كانت رغبة دفينة للبابا فى كثلكة الأسقفيات الأرثوذكسية التابعة لكنيسة أنطاكية.

ولكن برناراداوف فالنس بطريرك أنطاكية تقدم بمجموعة من الشكاوى إلى كنيسة روما يتهم فيها البابا والكنيسة بالاعتداء على حقوق بطريركية أنطاكية، موضحًا أن صور جزء من البطريركية الأنطاكية[1].

وبسبب الاعتراض الذى قدمه بطريرك أنطاكية لم يتم تعيين أساقفة لاتين لكل من صيدا وعكا، وظلت تبعيتهم معلقة حتى موت البطريرك جبلين سنة 1112 م (506 هـ)[2]، وعلى ذلك قام بطريرك أنطاكية بإرسال مندوبين عنه إلى المجلس البابوى فى بنفنتو Benvento سنة 1113م (507 هـ) ليرفع القضية مرة أخرى[3]، وقد أرسل البابا رسالة لبطريرك أنطاكية فى يوم الثلاثاء الموافق الثامن عشر من مارس سنة 1113م (الثامن والعشرين من رمضان سنة 507 هـ) وأوضح فيها أنه يوافق على أن تقوم بطريركية أنطاكية بفرض سلطانها الكنسى على جميع البلاد التى خضعت للإمارة، وتلك التى سيتم الاستيلاء عليها فى المستقبل، ولا يستطيع تعيين حدود خاصة لكل من الكنيستين[4]، وطلب البابا من بطريرك أنطاكية أن يتقبل بروح من التفاهم القرار الخاص بمنح المدن والمقاطعات التى استولى عليها بلدوين الأول، والتى ستخضع له مستقبلاً لتكون تحت حكم وسلطة كنيسة بيت المقدس[5].

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 516; Hamlton, The Latin Church, P. 27;
أسد رستم، كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، ج2، ط. بيروت 1988 م، ص271.
(2) Hamilton, The Latin Church, P. 61.
(1) Röhricht Regesta, P. 16.
(4) William of Tyre, Vol. I, P. 511.
(5) Ibid.

وفى نفس الوقت أرسل البابا باسكال الثانى رسالة إلى الملك بلدوين الأول يخبره فيها بأمر الشكاوى التى بعث بها بطريرك أنطاكية وكافة رجال الدين اللاتين فى البطريركية[1]. غير أن بابوات روما حسموا الأمر على أساس أن المدن والمقاطعات الخاضعة لكنيسة بيت المقدس تتبع الحدود السياسية للمملكة، وهذا الأمر ينطبق أيضًا على كنيسة أنطاكية التى تمتد سلطتها حسب الحدود السياسية للإمارة.

وبناء على ما سبق، نستطيع القول أن بطريركية بيت المقدس اقتسمت مع بطريركية أنطاكية الأسقفيات الأرثوذكسية التى كانت تتبع المركز الأسقفى فى صور، وقام رجال الدين اللاتين بتحويل هذه الأسقفيات وهى: بيروت وصيدا وعكا إلى المركز الأسقفى فى صور، بينما احتفظت بطريركية أنطاكية بأسقفيات: جبيل، وطرابلس، والرُها. وبهذا التقسيم انتهى الصراع بين السلطة الدينية فى مملكة بيت المقدس وبين السلطة الدينية فى إمارة أنطاكية. وقد لعب بابوات روما دورًا مهمًا فى إنهاء الصراع بين السلطتين[2] حفاظًا على وحدة الصليبيين فى بلاد الشام وتجنب نشوب الاختلافات بينهم.

وعلى الرغم من هذا الأمر، فقد تمسك كل طرف فى مواجهة الآخر بمد نفوذه على إقليم صور، فإقليم صور جدير بأن يثير ذلك النزاع، وظلت المشكلة حول إقليم صور معلقة حتى بعد وفاة البطريرك جبلين، ولا ينتقص من دوره شيئًا فإن ما قام به كان له أثره فيما بعد حول التنظيم الكنسى فى الإقليم. ولم يحدث تقدم كبير فى أمر التنظيم الكنسى خلال بطريركية أرنولف، وذلك رغم أنه كان على وفاق مع الملك بلدوين الأول، وقد أمكن لأرنولف بمساعدة بلدوين الأول فرض النظام الأوغسطينى على الرهبان الكنسيين بالضريح المقدس[3].

(1) William of Tyre, vol. I, P. 512.

(2) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص126.

(3) Boase, Kingdoms and Strongholds, P. 42.

من ناحية أخرى، فقد حصلت المؤسسات الكنسية اللاتينية فى الأراضى المقدسة على بعض من المنح والإقطاعات، ويمكن تقسيم الإقطاعات التى حازتها المؤسسات الكنسية اللاتينية فى الأراضى المقدسة إلى نوعين هما: الإقطاعات النقدية والإقطاعات العينية. فالإقطاعات النقدية التى تتمثل فى حصول الكنائس والأديرة على دخل سنوى محدد من مختلف القطاعات والمؤسسات فى الكيان الصليبى[1].

ففى الفترة السابقة على مرحلة الدراسة قام الأمير جودفرى دى بوايون بتخصيص منح نقدية لرجال الدين، عرفت فيما بعد باسم رواتب رجال الدين.[2] ويعتبر المبلغ الذى تم رصده لهذه الغاية من الإقطاعات النقدية التى قدمت للكنائس والأديرة[3]. أما فى عهد الملك بلدوين فقد خصص لكنيسة القيامة ألف مكيال من القمح الذى تنتجه أراضى نابلس سنويًا[4].

أما الإقطاعات العينية، فهى الإقطاعات التى حازتها الكنائس والأديرة من ملك بيت المقدس وكبار السادة الإقطاعيين والنبلاء والبرجوازيين فى المملكة، وقد اختلفت قيمة ومساحة هذه المنح، فلم تكن ذات قيمة واحدة[5].

وعند دراسة المنح والإقطاعات فى فترة الدراسة سوف نجدها قليلة فى السنوات الأولى من الاستيطان الصليبى، وهذا نتيجة طبيعية لضيق مساحة الأراضى التى استولى عليها الصليبيون، بالإضافة إلى أن حدود المملكة لم تكن قد وضحت معالمها.

---

(1) Runciman, A History of the Crusades, Vol.II , P. 298.

(2) William of Tyre, Vol. I, PP. 391, 392.

(3) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص149.

(4) Röhricht Regegesta, PP. 16- 17; Genevieve, Cartulaire du Chapitre de Saint-Sepulcre de Jerusalem, Paris 1984, Acte No. 26, PP.86 - 88.

(5) Hamilton, The Latin Church, P. 140 - 142.

ويتطلب أمر دراسة منح الملك بلدوين الأول لكنيسة بيت المقدس التعرض على نحو موجز لسياسة جودفرى دى بوايون فى ذلك المجال، من أجل تأصيل سياسة الملك بلدوين الأول موضع الدراسة ولعقد المقارنات مع سلفه.

وأولى المنح التى حصلت عليها الكنيسة اللاتينية كانت فى أسقفية اللد والرملة فى يونيه سنة 1099 م (رجب سنة 493 هـ)، وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بفترة وجيزة قام الأمير جودفرى دى بوايون بمنح كنيسة القيامة إحدى وعشرين قرية فى حدود بيت المقدس[1].

أما عن الملك بلدوين الأول، فقد حرص على بسط سيطرته على الكنيسة، وعندما تأكد من مساندتها له منحها الكثير من الأرض التى استولى عليها من المسلمين[2]. وفى بداية حكم بلدوين لم يستطع تقديم أى منح للكنائس والأديرة نظرًا لمحاربته المسلمين وحاجته الدائمة للمال لدفع أجور الجند، بالإضافة إلى صراعاته مع دايمبرت الذى كان له تأثير كبير فى عدم لجوء الملك إلى إغداق المنح والإقطاعات على الأديرة والكنائس.

• ويلاحظ أن أولى المنح التى قدمها الملك بلدوين الأول كانت فى سنة 1108م (502 هـ)، أى بعد مضى ثمانية أعوام من ارتقائه العرش، إذ قام فى هذه السنة بمنح دير القديسة مريم فى وادى جوسفات Josphat قرية عسكر Ascher[3] الواقعة فى حدود إقطاعية نابلس بكافة زمامها[4]. وقد أعطيت هذه المنحة بصفة دائمة لدير

(1) Genevieve, Le Cartulaire de Chapitre, Acte No. 26, PP. 86 - 88;

وعن هذه القرى انظر: سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص163 ـ 166.

(2) Hamilton, The Latin Church, P. 138 - 141.

(3) قرية عسكر إحدى قرى نابلس، وتشتهر بكثرة أشجار الزيتون، وهى تقع على بعد ميل واحد شرق نابلس، انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج3، ص123.

(4) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص173.

القديسة مريم فى وادى جوسفات Josphat بحضور عدد كبير من رجال الدين والأمراء فى المملكة الصليبية، ومن بينهم بلدوين رئيس أساقفة قيسارية وروبرت أسقف اللد والرملة ويوستاش جارنيه وغيرهم[1].

أما المنحة الثانية التى قدمها الملك بلدوين الأول فكانت لأسقفية بيت لحم، ففى يوم الأربعاء الموافقة أول سبتمبر سنة 1109 م (الثالث من صفر سنة 503 هـ) منح الأسقفية خمس قرى وهى: قرية البيدر Bedar[2]، الواقعة مقابل مقاطعة عكا، وقرية سيلون Seylon[3] فى حدود إقطاعية نابلس، وقرية بيت بزان Beth Bezan[4] الواقعة فى حدود بيت لحم، وقريتين فى حدود عسقلان هما: قرية كوكبة Kaukaban[5]، والسوافير الشرقية[6] Suafir وما يحيط بها من أراضى[7]، وهى فى مناطق متعددة من فلسطين.

وقد أكد الملك بلدوين الأول على استمرارية المنحة التى سبق أن قدمها الأمير جودفرى دى بوايون لكنيسة القيامة، وهى عبارة عن إحدى وعشرين قرية فى حدود بيت المقدس إلى جانب المخابز الواقعة فى حدود نفس المدينة باستثناء ثلاثة مخابز، وتم إثبات هذه المنحة فى سجلات الملك بلدوين الأول[8].

---

(1) Röhricht R. Regesta, PP. 10-11; Kohler, Chartes de L'abbaye de Notre- Dame de la Valle de Josophat en Terre-Saint, in R.O.L., Tome XI, Paris 1899, P. 112.

(2) قرية البيدر: تقع على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو مترًا جنوبى عكا بانحراف قليل نحو الشرق.

(3) قرية سيلون: هى إحدى القرى الواقعة فى حدود إقطاعية نابلس.

(4) قرية بيت بزان: تقع فى الجنوب الشرقى من بيت لحم.

(5) كوكبة: تقع فى الشمال الشرقى من عسقلان على بعد سبعة عشر كيلو مترًا منها.

(6) السوافير الشرقية: تقع فى الشمال الشرقى من عسقلان، وعلى بعد خمسة عشرة كيلو مترًا عن هذه القرى الخمسة. انظر سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، هامش، ص174، 175.

(7) Röhricht R. Regesta, P. 13.

(8) Genevive B.B, Acte 26, PP. 86 - 88;

سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص176.

والمنحة الثالثة كانت عام 1115 م (509 هـ)، فقام ذلك الملك الصليبى بمنح قرية جيزار (جيراس) Jerraz الواقعة فى حدود الغور El Gor[1] إلى دير القديسة مريم فى وادى جوسفات، وقد تمت هذه المنحة بموافقة جوسلين أمير الجليل، وأثبتها الملك بلدوين فى السجلات الملكية[2].

وفى نفس العام، أكد لرجال الدين فى دير القديسة مريم فى وادى جوسفات بواسطة هيو رئيس الدير على جميع المنح والإقطاعات التى حازوها فى الوادى (جوسفات) وخارجه، وهى عبارة عن منازل وحدائق فى حدود بيت المقدس، بالإضافة إلى مخبز، وطاحونة، وجزأين من قرية بيت حسان. أما الدير حصل على قناة منحها الملك بلدوين الأول، وذلك لرى الأراضى التى حصلوا عليها فى القرية، كذلك قام ذلك الملك بمنح دير القديسة مريم فى وادى جوسفات منزلاً فى عكا، وقرية كسير Cassera الواقعة فى المرتفعات داخل حدود عكا وبستانًا ومبنى بجوار صيدا، وفرنا وطاحونة وبستان وقطعة من الأرض مساحتها كاريوكتين[3]، ومنازل فى بيروت[4].

(1) منطقة الغور، وهى منطقة تقع شرقى البلاد الفلسطينية، بين سورية وشرق الأردن، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته، والغور هو قسم من الانخفاض العظيم الذى يبدأ من جبال طوروس فى آسيا الصغرى، ويستمر جنوبًا مارًا بسوريا وبالبحر الميت ووادى عربه إلى خليج العقبة، وينتهى فى بحيرة فكتوريا، انظر مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، ق1، ص61.

(2) Röhricht R. Regesta, P. 18-19 ; Delaborde H.F., Chartes de Terre- Sainte Provenent de L'abbaye de Notre- Dame de Josaphat, Paris 1880, Doc No. 5, PP. 27 - 28.

(3) لقد عمل الصليبيون على تقسيم الأراضى الزراعية إلى وحدات تعرف باسم الكاريوكا، وهى تعادل الفدان العربى الذى يساوى أربعة دونمات نحو أربعة آلاف متر مربع، وذلك تمييز للكاريوكا العربية Al-Faddan-Al-Arabi، أى ما يعادل ثلاثمائة وخمسين Hectare عن الكاريوكا الصليبية الرسمية التى كانت تساوى خمسة وثلاثين هيكتار دونما. عن ذلك انظر: سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص468.

(4) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص178.

وفى عهد الملك بلدوين الأول حصلت كنيسة القيامة على مدينة أريحا Jericho وما يحيط بها من أراضى[1]. وقد ذكر وليم الصورى أن البطريرك أرنولف مالكورون قدم المدينة لتكون مهرًا لابنة أخته إما Emma، عند زواجها من يوستاش جارنيه صاحب إقطاعية قيسارية، وكانت المدينة تدر على كنيسة القيامة دخلاً يقدر بخمسة آلاف قطعة ذهبية[2].

وفى عهد الملك بلدوين الأول، حصل دير القديسة مريم فى وادى جوسفات على ثلاث قرى قدمها بسيللوس Pisellus[3] فيكونت بيت المقدس[4]، وقام الملك بالتأكيد على هذه المنحة وتوثيقها فى السجلات الملكية سنة 1114 م (508 هـ)[5] تشير هذه المنحة إلى أن نائب الملك فى بيت المقدس كان يمتلك بعض الإقطاعات، وقد تنازل عن جزء منها لدير القديسة مريم فى وادى جوسفات، وقام الملك بالتأكيد على هذه المنحة وإثباتها فى سجلاته. وفى سنة 1115 م (509 هـ) قام والتر

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 489; Hamilton, The Latin Church, P. 63.
(2) William of Tyre, Vol. I, P. 489.
(3) Röhricht R. Regesta, Doc No. 52, PP. 10 -11;
سعيد البيشاوى، المرجع السابق، ص191.
(4) كان رئيس المحكمة البرجوازية يحمل لقب فيكونت Viscount، ولم تكن هذه الوظيفة وراثية، وظل فيكونت موظفًا يتقاضى راتبه من سيد المدينة، وفى العادة كان رئيس هذه المحكمة من بين طبقة الفرسان فى الإمارة، وتصل رئاسته إلى عدة سنوات.
عرفت وظيفة الفيكونت فى الغرب الأوربى خلال الفترة الكارولنجية، حيث كان الفيكونت مسئولاً عن جزء من كونتية، وظهرت هذه الوظيفة بشكل غير واضح على استحياء فى بداية القرن الحادى عش الميلادى. ومع بداية القرن الثانى عشر الميلادى، انتشرت وظيفة الفيكونت فى كل مكان، وكانت هذه الوظيفة وراثية. ومن المنطقى الاعتقاد بأن وظيفة الفيكونت الصليبى كانت اقتباسًا لذلك النموذج الأصلى لهذه الوظيفة التى كانت موجودة فى شمال فرنسا، كانت المحكمة البرجوازية تنعقد للقضاء ثلاثة أيام فى الأسبوع أيام: الاثنين، والأربعاء، والجمعة باستثناء أيام الأعياد. انظر يوشع براور، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، ص179 ـ 180، جمعة الجندى، نظم الحكم والإدارة فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص220.
(5) Röhricht R. Regesta, Doc No. 134. PP. 33 - 34.

ماكوميت Walter Machumet بمنح دير القديسة مريم قرية جمارفارا Jamarvare وهى تقع فى حدود إقطاعية الخليل[1]. وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملك بلدوين الأول، ففى عام 1115 م (509 هـ) قام يوستاش جارنيه سيد قيسارية وصيدا بمنح دير القديسة مريم فى وادى جوسفات قرية كفر عبرا Caphar Abra فى حدود صيدا، بالإضافة عن منزل فى المدينة نفسها، وكذلك قدم يوستاش جارنيه قرية بيت الله Beth Alla فى حدود قيسارية إلى جانب منزل فى المدينة نفسها، وقد تم التأكيد على هذه المنحة بواسطة الملك بلدوين الأول، وجرى إثباتها فى السجلات الملكية[2] هى الأخرى.

ويلاحظ أن حصول الدير المذكور على كافة تلك المنح والعطايا يدل دلالة واضحةعلى إمكاناته المتسعة وتميزه على غيره من الأديرة لكنيسة بيت المقدس.

وفى نفس العام حصل دير القديسة مريم على قطعة من الأرض مساحتها كاريوكتين Carrucates، قدمها بلدوين سيد الرملة له[3].

كما قام جوسلين أمير الجليل بمنح نفس الدير قرية قصر المه Casrielme، بالإضافة إلى منزلين ريفيين فى طبرية. وقد تم التأكيد على هاتين المنحتين بواسطة الملك بلدوين الأول، الذى أكد أيضًا على امتلاك الدير لقرية عسكر السالفة الذكر فى حدود إقطاعية نابلس[4]. فى نفس العام أيضًا منح لامبيرتوس ـ أحد النبلاء فى إمارة الجليل قرية سوسمية Soesme الواقعة فى إمارة الجليل لدير القديسة مريم فى وادى جوسفات، وقد تمت هذه المنحة فى حضور جوسلين أمير الجليل ووليم دى بور ـ أحد كبار النبلاء فى إمارة الجليل وقتذاك ـ وقد قام الملك بلدوين بتأكيد هذه المنحة فى السجلات الملكية[5].

---

(1) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص192.
(2) Röhricht R. Regesta, Doc. No. 80, PP. 18 - 19.
(3) Ibid, PP. 18 - 19.
(4) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص194.
(5) Röhricht R. Regesta, Doc. No. 80, PP. 18 - 19.

وتجدر الإشارة، إلى أن رجال الدين اللاتين فى كنيسة القيامة شرعوا فى تأسيس المستوطنات الصليبية فى بعض الإقطاعات التى حصلوا عليها من قبل من الأمير جودفرى سنة 1099م (493 هـ)، وكانت قرية البيرة[1] الواقعة شمالى بيت المقدس على بعد ستة عشر كيلو متر شمال مدينة بيت المقدس[2] أولى المستوطنات.

وبطبيعة الحال قام رجال الدين فى كنيسة القيامة بتهجير من تبقى من سكان القرية المسلمين إلى مناطق أخرى[3]، قبل الشروع فى تأسيس تلك المستوطنة الصليبية. ومن المرجح، أن إنشاء هذه المستوطنة تم بشكل تدريجى بتوطين مجموعة من الأوربيين الأحرار فى البيرة Magna Mahumeria، وتم تزويدهم بقطع من الأراضى حتى يقوموا بزراعتها مقابل دفع ضريبة العشر لرجال الدين فى كنيسة القيامة، واقتسام المحصول معهم[4].

ويبدو أن مستوطنة البيرة قد اكتملت سنة 1115 م (509 هـ)، إذ قام روجر أسقف الرملة بمنح دير القديسة مريم فى وادى جوسفات قطعة أرض مساحتها

---

(1) البيرة: بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة، ومن المهم الإشارة إلى أن هناك عدة مواقع جغرافية حملت اسم البيرة، فهناك البيرة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق بين الرها إلى عنتاب، وهناك موضع آخر على شط الفرات من أعمال الجزيرة فوق جسر منبج، وأخيرًا البيرة فى الأندلس، انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج1، ص526، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، تحقيق وستفليد، ط. بيروت، 1986 م، ص236 ـ 246 ـ 316 ـ 396، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ط. بيروت 1960 م، ص502، تسيبولد، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص172 ـ 173، محمد مؤنس عوض، "أضواء على مستوطنة البيرة الصليبية"، مركز بحوث الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس 2002 م، ص7 ـ 32.

(2) Benvenisti, The Crusaders, P.223.

(3) سعيد البيشاوى، "الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (1099 ـ 1187 م)"، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، ط. الإسكندرية 2004 م، ص296.

(4) Pringle, D'Magna Mahumeria (al-Bira) The Archaeology of Afrankish New Town in Palestine, in Crusade and Settlement ed. By Peter W. Edubury, Cardiff 1985, P.147.

أربع كاريوكات تقع أمام قلعة البيرة إلى جانب منزل يقع داخل أسوار المستوطنة[1]، وقد أطلق الصليبيون عليها Magna Mahumeria وتعنى باللاتينية مسجد. ومن المرجح أن اسم المستوطنة يعنى عند الصليبيين منطقة التعبد الكبرى، لأن رجال الدين فى كنيسة القيامة هم الذين أشرفوا على إقامتها.

كما قاموا بإنشاء مستوطنة أخرى فى القبيبة Al- Qubaibah عرفت باسم Parve Mahumeria[2]، وقـد اكتمل بنـاؤها فى الفترة الواقعة بـين سنتى 1120ـ 1129م (513 ـ 523 هـ) فقام الصليبين بتهجير سكان القرية إلى قرية بيت فوريك، وبذلك بدأ إنشاء المستوطنات فى عهد الملك بلدوين الأول نتيجة ما حققته الكنيسة من ثروات كبيرة نتيجة حصولها على المنح والإقطاعات، وإيجاد حل جزئى لمشكلة نقص العنصر البشرى، الذى استطاع بلدوين الأول مواجهتها بجلب مسيحيين سوريين من شرق الأردن وإعطائهم امتيازات خاصة[3].

هذا عن المنح والإقطاعيات، وننتقل إلى آخر ما نعالجه فى هذا الفصل، وهى مسألة زواج بلدوين من أدلياد، وقبل أن نتكلم عن تحايل الملك بلدوين للزواج من أدلياد سنة 1113 م (507 هـ)، يجدر بنا أن نتحدث عن زوجات الملك بلدوين الأول:

وكانت أولى زوجاته هى جودهيلد Godhoid. هى سيدة إنجليزية، كريمة الأصل، رفيعة القدر كما أقر بذلك وليم الصورى[4]، وكانت من ضمن المشاركات

(1) Delaborde, Chartes de Notre-dame de Josaphat, Doc. No. 6, PP.29-31; Kahler, Chartes de L'Abbaye-de Notre Dame, PP.117-118.

(2) Hamilton, The Latin Church, P. 91.

(3) كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ت. فاطمة نصر ومحمد عنانى، ط. القاهرة 1998م، ص416.

(4)William of Tyre, Vol. I, P. 194.

فى الحملة الصليبية الأولى لغزو بيت المقدس والشرق الإسلامى، ولم يكتب لها أن ترافق زوجها حتى النهاية[1] فعندما اجتازت الحملة منطقة بيسديا، ثم توجهت نحو مدينة مرعش[2] ونصب الصليبيون خيامهم توفيت جودهليد بعد أن عانت من مرض عضال، ودفنت فى مكانها بعد إقامة الشعائر الجنائزية اللائقة بها[3].

أما الزوجة الثانية لبلدوين الأول فكانت الأميرة أردا Arda[4]، وقد كان على بلدوين بعد أن أصبح أميرًا على الرها أن يثبت مركزه، فعمل على توثيق علاقة الصليبيين والأرمن بشىء من التوازن بين العنصرين من خلال الإتيان بجماعات لاتينية يصطنعها لنفسه فى الإدارة المحلية باختلاف فروعها[5]، ولكى يضمن ولاء الأرمن له[6] أغرى الصليبيين بالزواج من أرمينيات، وكان هو مثال لذلك فتزوج من ابنة أحد كبار النبلاء الأرمن، وتدعى أردا فهى حفيدة روبين الأول Ropen 1080 ـ 1095م (473 ـ 489 هـ)[7].

وكان صداقها ستين ألف بيزانت، وأعطاها والدها إلى بلدوين كمهر لابنته، يضاف إلى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضه بعد وفاته، وأن يؤمنه ضد الأتراك، وأن يحميه من مواجهات الأرمن فى قيليقية[8].

---

(1) سهير محمد المليجى، المرأة الصليبية فى بلاد الشام (1098 ـ 1268 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2002 م، ص18.

(2) علية عبد السميع الجنزورى، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1979 م، ص82.

(3) William of Tyre, Vol. I, P. 234.

(4) هى ابنة Thotoul أو Taphnuz، وقد تزوجها بلدوين الأول عندما كان النفوذ الأرمينى فى فلسطين يشكل خطرًا كبيرًا، وقد أنفق مهرها، وأصبحت بعد ذلك عبئًا ثقيلاً عليه، فطلقها بلدوين وأجبرها أن تدخل دير الراهبات، زاعمًا أنها كانت قد اغتصبت فى رحلة بحرية.

Zoe Oldenbourg, The Crusades, London 2001, P. 242.

(5) علية الجنزورى، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة. 2001م، ص74.

(6) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص163.

(7) سهير محمد المليجى، المرأة الصليبية، ص202.

(8) علية الجنزورى، إمارة الرها، ص76،

- Grousset, Histoire des Croisades, Tom I, P. 64.

وعلى هذا، استطاع بلدوين اكتساب طاعة الأرمن له داخل الرها، وعندما تولى بلدوين الأول عرش المملكة الصليبية الوليدة أحس أن الأرمن لا يستطيعون أن يقدموا له جديدًا لأن طموحه الاستيطانى كان فوق قدرات الأرمن الاقتصادية، ولأن الأميرة أردا كانت فقيرة، فهى لا تستطيع أن تشبع حاجة الملك الجديد إلى المال[1]. وعلى ذلك سعى الملك بلدوين الأول سنة 1110 م (504 هـ) لدى كنيسة بيت لحم لإتمام الطلاق من زوجته بعد أن اتهمها بالزنا، ولكى يجبر الكنيسة على تحقيق مطلبه أغدق على الكنيسة وأساقفتها الكثير من النعم والامتيازات، كذلك استخدم الملك نفوذه لدى بطريرك بيت المقدس من ناحية ولدى البابوية من ناحية أخرى لرفع كنيسة بيت لحم إلى أسقفية[2]. ويعكس ذلك لنا أن لغة المصلحة الشخصية كانت تحرك ذلك الملك الصليبى وليست أية دوافع دينية نبيلة كما تحاول أن تقنعنا به المصادر الصليبية الباكرة.

أما أردا فقد طلبت من زوجها السماح لها بزيارة ولديها فى القسطنطينية، وهناك لم تعبأ ببلدوين أو ببيت المقدس، وإنما حاولت أن تشبع نفسها بمباهج العاصمة البيزنطية[3].

كان بلدوين الأول فى حاجة دائمة ومستمرة إلى المال، فوجد فى زواجه من أدليد Adelaide أم روجر الثانى الزوجة الثالثة[4] تحقيقًا لآماله فى حصوله على المال إلى جانب صداقة النورمان فى إيطاليا وصقلية[5].

---

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص263.

(2) William of Tyre, Vol. I, P. 490.

(3) سعيد عاشور، المرجع السابق، ج1، ص263.

(4) وقع اختيار بلدوين الأول على الكونتيسة Adelaide من صقلية أم روجر الثانى، وقد كانت واحدة من أغنى نساء أوربا، فهى امرأة فى منتصف العمر حين تم الزواج من الملك بلدوين الأول.

- Zoé Oldenbourg, The Crusades, P. 242.

(5) جمعة الجندى، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، ط. القاهرة 2006م، ص33.

ونجد المؤرخ الصليبى وليم الصورى يشير إلى ذلك، فوصف بلدوين بأنه كان فقيرًا محتاجًا فى حاجة دائمة إلى المال لكى يدفع أجور محاربيه[1].

ووجد روجر الثانى فى هذا الزواج فائدة كبيرة له[2] لأنه سوف يكون وريثًا لبلدوين الأول فى مملكته، ومن الملاحظ أن كل طرف كانت له أطماعه فى الطرف الآخر، فبلدوين لا يكتفى بالمال لكن يريد ترسيخ قواعد مملكته فى الشرق فى شكل معونات عسكرية وبحرية من صقلية، وأداته فى ذلك أدليد ذات النفوذ على صقلية. أما روجر الثانى فهو وريث بلدوين فى عرش المملكة الوليدة فى حالة إذا لم يرزق بلدوين بمولود ذكر.

أما عن مراسم زفاف أدليد الصقلية على الملك بلدوين الأول، فقد أبحرت العروس من صقلية متجهة إلى عكا فى صيف عام 1113م (507هـ) فى مشهد فخم حيث فرشت السفينة ببساط منسوج بخيوط من الذهب، بينما رصعت مقدمة السفينة بصفائح من الذهب والفضة[3]. كما رافقتها قطعتان من الشوانى الحربية، وتعززت كل سفينة بثلاث صفوف من المجاديف لتعطيها قوة دفع، وقد ارتدى حراسها أبهى الملابس العسكرية[4].

ومن اللافت للنظر أن من بين حرس أدليد الجنود العرب، وقد لمعت وجوههم السمراء من خلال الملابس البيضاء التى تزينوا بها. كما رافقت سفينة الأميرة سبع سفن كن يحملن متاعها وكنوزها[5]. فلما رست السفينة فى عكا فى أغسطس سنة 1113 م (507 هـ)، استقبلها الملك بلدوين استقبالاً رائعًا يليق بمكانتها، وقد خرج

---

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 490.

(2) هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص117.

(3) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 103.

(4) Ibid, P. 103.

(5) Ibid, P. 103.

هو ورجاله فى ملابس حريرية قيمة، كما زينوا خيولهم وبغالهم بقماش أرجوانى، وقد فرشت الشوارع بالبسط القيمة، وصنعت المدن والقرى الواقعة على امتداد عكا إلى بيت المقدس نفس الصنيع من الزينة[1].

وعلى الرغم من الأموال التى أنفقت إلا أن هذا الزواج لم يستمر طويلاً[2]. وبعد مرور ثلاث سنوات عندما استنفد مهر أدليد، طلقت، وعادت الملكة إلى صقلية مذلولة وماتت بعد ذلك، على نحو كُشف بجلاء عن طبيعة ملك بيت المقدس المادية الصرفة فخصوم بلدوين أثاروا موضوع طلاق أردا، وقالوا إن هذا الطلاق لم يكن قانونيًا، وأنه تم بالتواطؤ مع صنائع بلدوين من رجال الكنيسة وأولهم أرنولف مالكورن، ومن ثم أصبح بلدوين متهمًا بالزواج من امرأتين فى آن واحد، وهذا يخالف الديانة المسيحية.

وهكذا، اشتدت الأزمة، واستحكمت، حتى أن البابا باسكال الثانى (1099ـ 1118 م (493 ـ 512 هـ) لم يلبث أن أرسل مندوبه برنجار ـ أسقف أورانج[3] للتحقيق فى هذا الموضوع، وعزل أرنولف عن كرسى البطريركية، لأن رسوم الزواج أبرمت على يديه[4] على أن أرنولف ذهب إلى روما فى عام 1115 م (509 هـ) حيث استرضى البابا، ووعده أن يطلب من الملك بلدوين الأول التخلص من زوجته الصقلية، فأعلن البابا عفوه عن أرنولف.

وعاد أرنولف إلى بطريركية بيت المقدس فى صيف عام 1116 م (510 هـ)[5]،

(1) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 104.

(2) Goan M. Hussey, Byzantium and the Crusades, in Setton, A History of the Crusades, Vol. II, London 1969, P. 126.

(3) حامد زيان غانم، العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1973 م، ص51.

(4) نفسه، ص52.

(5) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 104.

وصادف أن مرض بلدوين الأول مرضًا خطيرًا فى أوائل سنة 1117 م (511 هـ) فأصبح طريح الفراش فى عكا بضعة أسابيع، مما جعله يخشى أن يموت مغضوبًا عليه من الله والكنيسة بسبب زواجه من امرأتين فى وقت واحد[1].

وهكذا انتهى الأمر بطلاق أدليد التى عادت إلى صقلية تجر أذيال الخيبة، مما تسبب فى سوء العلاقات بين مملكة بيت المقدس وصقلية، فلم يغفر روجر الثانى مطلقًا لمملكة بيت المقدس ما فعله ملكها بأمه، ومن هنا يتضح أن هدف الملك بلدوين الأول كان هدفًا اقتصاديًا بالدرجة الأولى، وذلك من أجل تأمين وحماية المملكة من أعدائها المسلمين، ومن أجل الاستيلاء على مزيد من الأرض لصالح المملكة الوليدة. أضف إلى ذلك أن حالة تعدد الزوجات التى تمت فى عهد بلدوين الأول كانت حالة فريدة من نوعها فى تاريخ المملكة الصليبية وكشفت بجلاء عن الطابع المادى والنفعى الشديد فى شخصيته وبالتالى سياسته.

ذلك عرض عن سياسة بلدوين الأول تجاه الكنيسة. أما الفصل التالى فيتحدث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمملكة بيت المقدس فى عهده.

* * *

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص264.



■ الفصل الخامس

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الأول


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

يتعرض هذا الفصل بالدراسة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الأول، ويعمل على إلقاء الضوء على النشاط: الزراعى، والحرفى، والتجارى. بالإضافة إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية من حيث: التركيبة السكانية، وطبقات المجتمع، والأعياد الدينية، والمسكن، والملبس، كذلك المأكل وأيضًا العلاقات الصليبية الإسلامية، ثم أخيرًا المسلمون تحت الحكم الصليبى.

مثلت الزراعة الركن الركين للنشاط الاقتصادى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية بصفة عامة، وكذلك فى مملكة بيت المقدس الصليبية، فقد وجدت هناك مقومات أساسية للنشاط الزراعى، منها: وفرة الأرض الخصبة، والأيدى العاملة، والمياه بشكل عام، مثل: الأنهار التى مثلت المياه العذبة اللازمة للزراعة، ومن أمثلتها الأنهار اللبنانية، مثل: نهر أبى على، ونهر بيروت، والليطانى، والزبدانى، والحصبانى، والأولى وغيرها، ونهر شارون، والعوجا فى فلسطين، وهناك بحيرات عذبة مثل: طبرية والحولة[1]. كما توفرت المياه الجوفية بشكل كبير فى الضفة الغربية لنهر الأردن.

ولا نغفل سقوط الأمطار بفعل الرياح الغربية العكسية شتاءً على الساحل الشامى[2]، من السويدية حتى غزة، بالإضافة إلى تنوع التضاريس فى أراضى الشام من سواحل وسهول وأودية وجبال.

(1) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية: السياسة ـ المياه ـ العقيدة، ط. القاهرة 2001 م، ص71 ـ 72.

(2) نفسه، ص72.

وقد ساهم ذلك فى تنوع المحاصيل الزراعية تبعًا لاختلاف التربة، فقد جرى تقسيم الأراضى الزراعية لفلسطين إلى عدة أقسام: فالأراضى الساحلية فى سواحل غزة ويافا وغيرها كانت تُعد صالحة لنمو محاصيل المناطق تحت الحارة. بينما أراضى وادى الأردن صالحة لزراعة محاصيل المنطقة الحارة، ووديان الناصرة، ونابلس، والجليل، وأراضى مرج ابن عامر كانت صالحة لزراعة محاصيل المنطقة المعتدلة، كما كانت السهول الداخلية مناسبة لزراعة الشعير والقمح والسمسم[1]. فأراضى بلاد الشام بشكل عام اشتهرت بخصوبتها، وجودة مزروعاتها، ومحاصيلها[2]. ونجد أن الأيدى العاملة قد توفرت من مسلمين ومسيحيين، فلديهم خبرة كبيرة بالزراعة منذ قرون عديدة من قبل مقدم الغزاة الصليبيين.

فعندما وصل الصليبيون إلى مدينة أنطاكية عام 1097 م (490 هـ) شاهدوا العديد من أشجار الكروم، والفاكهة، وبعض البقوليات والقمح. وعلى ذلك فقد اغتصب الصليبيون الأرض الزراعية نتيجة هرب أو موت أصحاب الأرض من المسلمين[3]، أو الطرد القهرى للسكان الأصليين خاصة فى مناطق المستعمرات الصليبية كما أسلفت الذكر.

. ويلاحظ أن الملك بلدوين الأول كما اتضح من عرضنا السابق قد حرص على إخضاع عدد كبير من أنهار بلاد الشام وفق السياسة الصليبية، على نحو انعكس بدوره على النشاط الاقتصادى بصفة عامة، والنشاط الزراعى بصفة خاصة.

فقد أشار العمرى إلى أن الصليبيين استخدموا القنوات والجسور القديمة بطرابلس، وأدركوا مدى هبوط كفايتها وعدم صلاحيتها للعمل، لذلك اضطروا

---

(1) محمد كرد على، خطط الشام، ج4، دمشق 1956 م، ص105، 106.

(2) الإصطخرى، المسالك والممالك، القاهرة 1961 م، ص46.

(3) Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 296.

إلى القيام بتحديدها وإصلاحها[1]. بالإضافة إلى أنهم قاموا بإقامة جسر على نهر قاديشا لاستغلال مياهه[2]، ومن المفترض أن ما حدث لدى ذلك النهر طبقوه فى أنهار أخرى رعاية لمصالحهم فى الاستغلال والنهب المنظم لثروات المنطقة الاقتصادية.

ولم يقتصر دور الصليبيين على إصلاح القنوات وتجديدها، بل قاموا بإنشاء قنوات المياه الواسعة تحت سطح الأرض لتوفير المياه فى قلاعهم[3]. بالإضافة إلى ما ذكره الرحالة ثيودورتيش فيما بعد عصر بلدوين الأول من أن الصليبيين قاموا بإنشاء صهاريج بيت المقدس لتخزين المياه[4].

من هذا يتضح لنا، أن الصليبيين كان لهم دور مهم فى المحافظة على مشروعات الرى بالشام، على العكس من ذلك، واجه الملك بلدوين الأول عقبة للنهوض بالزراعة، وتمثلت فى قلة عدد السكان فى الشرق نتيجة لموتهم[5]، وتفشى الأمراض بينهم، تلك الأمراض التى تعتبر غريبة عنهم لم يعلموا عنها إلا القليل، بالإضافة إلى هلاك الكثير منهم فى طريقهم إلى بيت المقدس.

---

(1) العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكى باشا، ج1، القاهرة 1924 م، ص 81.

(2) عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية 1967 م، ص455 ، 456، مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام من خلال كتب الرحالة والجغرافيين العرب والأجانب المعاصرين للحركة الصليبية (487 ـ 690 هـ ـ 1095ـ 1291 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1987 م، ص94.

(3) Fedden R., The Crusaders Castles, P. 67.

(4) Theoderich, Description of the Holy land (1172 A.D), translated from the original Latin by A.Stewart in P.P.T.S, Vol. V, London 1896, P. 64,
مهجة السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ص95.

(5) John of Wurzburg, Description of the Holy Land (1160-70 A.D), translated from the Original Latin by A. Stewart, in P.P.T.S, Vol. V, London 1896, P. 44.

لذلك بذل الملك بلدوين الأول Baldwin I قصارى جهده لحل هذه المشكلة (نقص العنصر البشرى)، بالاتصال بمسيحيى شرق الأردن وفى حوران، وكذلك عناصر من الأرمن والنساطرة فى الرها، الموارنة فى طرابلس، وقدم لهم الإغراءات الخاصة بالحماية والأمن[1]، وهو أمر سبق وأن أوضحناه فى موضع سابق من هذه الرسالة.

ومن الملاحظ أن الزراعة عُدت من الحرف التى تحتاج إلى الأيدى العاملة الوفيرة، فمتى توافرت لهم الظروف التى تكفل الاستقرار أعطوا الأرض العناية والرعاية، وانعكس هذا بدوره على النشاط الزراعى، فمتى توفر الأمن الغذائى تقدمت كافة القطاعات الأخرى. أما عن أدوات الزراعة، فمن الملاحظ أن الفلاحين والزراع قد استخدموا الآلات المألوفة لديهم منذ القدم، ومنها: الفأس، والمحراث[2].كما استخدم الفرنج فى الشرق نفس الأدوات الزراعية التى استخدمها الأهالى فى الزراعة[3]. أما عن آلات الرى فقد استخدم الصليبيون الشادوف الذى يعتبر أهم آلة فى الرى، أيضًا الطنبور الذى استخدم لرى الأراضى التى تتطلب رفع الماء إليها، والمنطل هذه الآلة اليدوية البسيطة التى تستعمل لرفع الماء إلى الأراضى المرتفعة لريها[4].

وكان فلاحو بلاد الشام يتبعون دورة زراعية تعتمد على نظام الحقلين، فكان

(1) كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص461، محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص102.

(2) النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج8، القاهرة 1931م، ص255، وهى تعتبر أقدم الآلات الزراعية ولازالت، وقد استخدمت فى عزق الأرض وزراعتها وتنظيفها من الحشائش وغيرها من النباتات الطفيلية، كذلك استخدم المحراث فى زراعة الأرض.

Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Trans by Aubrey Stewarte, P.P.T.S, Vol. XL, London 1896, P. 6.

(3) Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973, P. 185.

(4) مهجة السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ص87.

الفلاح يقوم بتقسيم أراضيه الزراعية إلى قسمين: يزرع القسم الأول، ويتعهد القسم الثانى بالحرث الجيد لكى تصل الشمس إلى باطن الأرض، ثم يزرعه بعد ذلك، ويريح القسم الأول الذى تمت زراعته أولاً[1]. ومن المحتمل أن يكون الفلاحون استخدموا نظام الحقول الثلاث[2] فى عهد الملك بلدوين الأول.

واختلفت كمية البذور التى قام الفلاحون ببذرها فى الحقول، حسب نوعية الكاريوكات. وحسب خصوبة التربة، كان السيد الإقطاعى هو الذى يمد الفلاحين بالبذور اللازمة للزراعة، وفى مقابل ذلك كان الفلاح يقدم له دجاجة واحدة عن كل كاريوكا[3]. وبعد أن يتم جمع الحصاد إلى الأجران، يجرى تقسيمه إلى أكوام حسب نصيب السيد الإقطاعى أولاً، ثم أنصبة الريس، والترجمان، والكاتب، والفلاحين بعد ذلك[4] وهى عناصر أساسية فى إدارة المناطق الزراعية فى عصر الحروب الصليبية.

والواقع، أن زراعات الحبوب، كانت أهم الأنشطة الزراعية للصليبيين، وذلك لإمدادهم بالمواد الغذائية الحقيقية التى يحتاجونها بشكل دائم لمجابهة الهجمات الإسلامية المضادة التى لم تتوقف، ولذلك زرعت السهول القريبة من مدن: أنطاكية، وطرابلس، وطبرية، والجليل بالحبوب[5].

---

(1) النويرى، نهاية الأرب، ج8، ص256.

(2) عن نظام الحقول الثلاثة انظر:

Rey E., Le Colonies Franques du Syrie Aux XII Me et XIII Siecles, Paris 1883, P. 240.

عرف الفلاحون الأوربيون نظام الحقول الثلاثة، فكان يزرع الحقل بالقمح فى العام الأول، وبالشعير فى العام التالى، ويترك محروثًا بدون زراعة فى العام الثالث. للمزيد انظر كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوروبا، ت: محمد زيادة، ط. القاهرة 1958 م، ص8،9، كانتور، التاريخ الوسيط، ت: قاسم عبده قاسم، ج1، ط. القاهرة 1984 م، ص314.

(3) Conder, The Latin Kingdom, P. 240.

(4) Prawer, The Latin Kingdom, PP. 369 -370.

(5) Cahen C., La Syria du Nord d l'époqueé de Croisades et la Principaute franque d' Antiocle, Paris 1940, P. 473.

وعلى الرغم من قلة المياه حول بيت المقدس، فقد زرع الصليبيون القمح والشعير فى الأراضى الصخرية حول المدينة، ويقول الراهب دانيال[1] الذى زار هذه المنطقة 1106 ـ 1107م (499 ـ 500 هـ) أى فى عهد بلدوين الأول إنه بوسع الإنسان أن يقوم ببذر بوشل Bushel[2] من القمح، فيكون الناتج محصول يعادل 90 أو 100 مرة كمية البذور التى سبق بذرها مما دل على خصوبة الأرض وهو أمر استلفت انتباه الغزاه الذين أدركوا أنهم وقعوا على صيد ثمين. ووفرة إنتاجها الزراعى حول مدينة بيت المقدس[3]. وقد انتشر فى إقليم الجليل فى منطقة مرج ابن عامر[4]. وكذلك بمنطقة صفد[5]، واتسم قمح إقليم الجليل بأنه من النوع الفاخر[6].

وانتشرت زراعة القمح فى منطقة طبرية[7]، وعلى هذا فإن مخازن الغلال الكبرى، بالنسبة للمملكة الصليبية ولمسلمى مدينة دمشق كانت فى أراضى السواد التى اشتهرت بخصوبتها الشديدة[8]، وملاءمتها لزراعة القمح والشعير، كما زرعت الحبوب أيضًا حول عسقلان وغزة وقلعة الشوبك[9].وكان الفلاحون فى

(1) Danial, The Pilgrmage of Russian abbot Danial in the Holy Land 1106-1107 A.D, P.P.T.S, Vol. IV, London 1895, P. 45 - 48.

(2) البوشل Bushel مكيال للحبوب والفواكه يساوى ثمانية جالونات، انظر حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى فى بلاد الشام، ط. القاهرة 1999 م، ص225، هامش 145.

(3) أشار الرحالة دانيال أيضًا إلى أنه كان يتم تخزين كميات منه بالبرج المقدس بمدينة بيت المقدس، وهذا البرج من الصعب دخوله، لأنه كان غاية فى الحصانة إذ خضع من دخله لملاحظة خاصة وإشراف دقيق.

Danial, P. 17.

(4) Conder, The Latin Kingdom, P. 148.

(5) ليلى محمد الطرشوبى، إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية، ص126.

(6) Prawer, The Latin Kingdom, P. 359.

(7) Jacques de Vitry, P. 34.

(8) الزهرى، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، ط. القاهرة ب. ت، ص63.

(9) William of tyre, Vol. I, PP. 506 - 507; Benvensti, The Crusaders in the Holy Land, P. 217.

أجران الدرس يفصلون القش عن الحبوب، ثم ينزعون لحاء الحبوب، ويقومون بتخبئتها فى كهوف تحت الأرض خوفًا عليها من غارات المسلمين[1]. وبعد امتلاء مخازن الغلال باحتياجات العام من الحبوب والبذور التى تحتاجها زراعة العام القادم، تدفع السلطات الصليبية مع السادة الإقطاعيين بالإنتاج الفائض إلى الأسواق[2].

ونتيجة لحالة التعايش بين الصليبيين وأتابكية دمشق قبل خضوعها لنور الدين محمود عام 1154م، اقتسم الصليبيون مع المسلمين حصاد بعض الأراضى الزراعية المتاخمة لحدودهما المشتركة فيما عرف بعملية المقاسمة، من ذلك ما حدث عام 1109م (502هـ) مع اتفاق الملك بلدوين مع ظهير الدين طغتكين على اقتسام محصول أرض السواد وجبل عوف، بحيث يكون الثلث لظهير الدين والثلث للملك الصليبى، والثلث الأخير لفلاحى المنطقة[3].. وكثيرًا ما تكرر ذلك الاتفاق بين الجانبين.

كما اتفق طغتكين أمير دمشق مع برتراند Bertrand أمير طرابلس 1108-1113 م (501 - 506 هـ) على أن يحصل الأخير على ثلث حصاد أراضى البقاع الزراعية، وذلك عام 1110 م (503 هـ)، الأمر الذى تكرر فى العام التالى مباشرة لدى اتفاق طغتكين مع الملك بلدوين الأول الذى بدأ فى مهاجمة أرض البقاع - يحصل بمؤداه الأخير على ثلث حصاد البقاع فى حين يحصل طغتكين على الثلث الثانى، بينما يحصل الفلاحون المسلمون الذين يعملون فى هذه الحقول على الثلث الأخير[4].

---

(1) William of tyre, Vol. II, P. 484.

(2) Prawer, The Latin Kingdom, PP. 414 - 415.

(3) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص164.

(4) ابن القلانسى،المصدر السابق، ص165 -171؛ على السيد على، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط. القاهرة 1996م، ص43.

أما بالنسبة للذرة فقد زُرعت بإقليم الجليل[1] وطبرية بنوعيه الصفراء، والبيضاء[2]. بالإضافة إلى زراعة الفول والبسلة التى لعبت دورًا مهمًا فى إطعام السكان[3]، مع ملاحظة وفرة إنتاجها. كذلك وجدت نباتات البازلاء فى وادى جزريل مع العدس والحمص[4]. وانتشرت زراعة الخضراوات بإقليم الجليل، وكانت صفد والناصرة من أهم البلاد التى تخصصت فى زراعتها[5]. واشتملت الخضراوات على الخيار والبصل والثوم[6].

وكان الأرز من المحاصيل الرئيسية التى اشتهر بها إقليم الجليل قبل الغزو الصليبى، حيث انتشرت زراعته فى المناطق العزيزة المياه حول بيسان وعلى ضفاف نهر الأردن[7].

ولكن الإنتاج الصليبى من الأرز كان متدهورًا[8] خلال فترة الدراسة، ربما يوضح ذلك سياسة الصليبيين بتغير الخطة الزراعية وفقًا لاحتياجاتهم، بعد الاهتمام ببعض المحاصيل التى لم يألفوها ومنها الأرز، ويلاحظ أن الصليبيين لم يألفوا أكل الأرز لأنهم وجدوه ثقيلاً فى المضغ، وعلى ذلك لم يستحبونه، وعليه فقد تدهور إنتاجه، ويبدو أن نوعيات الأرز التى كانت تزرع فى هذه المنطقة كانت كثيرة الألياف، وإن ظل السكان الأصليون يفضلونه بصفة عامة.

(1) Conder, The Latin Kingdom, P. 148; Prawer, The Latin Kingdom, P.359.

(2) Prawer, Crusader Institutions, P. 360.

(3) العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر، ج3، الإمارات 2001 م، ص 254.

(4) حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى، ص205.

(5) Mayer, The Crusaders, trans by J. Gillingham, Oxford 1972, P. 151;
حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى، ص206.

(6) Benvenisti, The Crusaders, P. 217.

(7) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الإقليم، ليدن 1909م، ص180؛ محمد كرد على، خطط الشام، ج4، ص255.

(8) Prawer, The Latin Kingdom, P. 363.

لقد اهتم الصليبيون بزراعة القطن، ويرجع ذلك إلى أن المسلمين اهتموا بزراعته، فقد وصفه الإدريسى أنه معدن الأقطان[1]، وشاهد أسامة بن منقذ زراعته المنتشرة فى كفر طاب[2].

واهتم الصليبيون أيضًا فى عهد الملك بلدوين الأول بزراعة أشجار التوت لتربية دودة القز التى تستخرج منها خيوط الحرير[3].

كذلك اهتم الصليبيون بزراعة قصب السكر، وقد زرع الصليبيون قصب السكر فى معظم موانى بلاد الشام مثل: صيدا، وبيروت، وعكا، وقيسارية، وعلى سواحل وحدود طبرية، وأريحا، ونابلس، وقد أشار الرحالة والجغرافيون المسلمون إلى انتشار مزارع قصب السكر فى تلك الأماكن قبل وصول الصليبيين[4]. ولما وقعت تلك المناطق فى أيدى الصليبيين، حافظوا على استمرار زراعته، فقد انتشرت زراعته بطرابلس[5]. وقد بدأت زراعة قصب السكر فى الربيع[6]. و قام الصليبيون فيما بعد بشحنه على ظهور سفنهم إلى أوروبا، وأصبح قصب السكر من أهم عناصر الرفاهية لديهم.

(1) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص160.

(2) الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، برنستون 1930 م، ص151.

(3) بلال محمود أحمد محسن، الزراعة فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1997 م، ص 55.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1873 م، ص116، ناصر خسرو، سفرنامه، ص13.

(5) أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينودى سلان، ط. باريس1840 م، ص253؛ الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، القاهرة ب. ت، ص372؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص13 ـ 14.

(6) ويصف الرحالة برشارد طريقة زراعة قصب السكر، إذ يزرع بطريقة العقل، فيعمد إلى أخذ قطع من القصب بحيث تحمل كل قطعة منها عقدة (برعوم)، ويقومون بدفنها فى وقت الربيع فى أرض رطبة، ومن هذه العقل ينمو قصب السكر، وبعد أن يتم نضجه يجمع ويتم كسره للاعتصار.
Burchard of Moumsion, A Description of the Holy Land P.P.T.S, Vol. XL, London 1896, P. 99.

من ناحية أخرى، اعتبرت مزارع الزيتون الأكثر انتشارًا فى مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول، حيث تركزت زراعته حول مدينة بيت المقدس، وفى وادى عربة[1]، وكذلك حول مدينة نابلس وطرابلس[2] وعكا وطبرية وبجوار حصن الكرك[3]، على أن مدينة نابلس كانت الأكثر شهرة بأشجار الزيتون لجودة نوعيته[4].

واشتهرت مملكة بيت المقدس الصليبية بزراعة الكروم، الأمر الذى حافظ عليه الصليبيون لإمدادهم بالنبيذ، فقاموا بزراعة العديد من مزارع الكروم فى المناطق المجاورة لمدينة بيت المقدس، وفى سهل وقرى عكا، وبالقرب من طرابلس[5] وبيروت، وصيدا.

كما وجدت مزارع الكروم بجوار قلعة الشوبك[6]، كما قام الصليبيون بزراعته فى طبرية[7]،ووجد الصليبيون العديد من أشجار النخيل فى المدن الفلسطينية، وبخاصة فى أريحا، وحول بيت المقدس وحيفا ويافا[8]، كما وجدت أشجار التين فى الرملة وفى بيت المقدس وبالقرب من جبل الزيتون، وأيضًا نابلس، وصفد[9]. وعرف الصليبيون الموز وأسموه تفاح الجنة، حيث زُرع فى بيت المقدس وفى أريحا[10] كما زُرعت أيضًا

(1) Danial, PP. 45, 66.

(2) ابن سعيد المغربى، كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، تطوان 1958 م، ص79.

(3) بلال محمود أحمد، الزراعة فى بلاد الشام، ص36.

(4) Daniel, P. 48; Prawer, The Latin Kingdom, P. 361.

(5) ابن الشحنة، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تحقيق سركيس، بيروت 1909 م، ص263.

(6) William of tyre, Vol. I, PP. 205 - 207;
القرمانى، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص414.

(7) Daniel, P. 45; Theoderich, P. 3.

(8) Saewuif, Pilgrimage of Saewuif to The Holy Land, P. 23.

(9) Danial, P. 66.

(10) القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت 1979 م، ص142،
Burchard, P. 160.

الفواكه الأخرى مثل: الخوخ والرومان والتوت[1]. وكذلك أشجار الجميز والخروب بالقرب من صيدا ونابلس وعكا[2].

يتضح مما سبق تنوع المحاصيل والمنتجات الزراعية فى المملكة الصليبية على نحو امتد إلى النشاط الصناعى والتجارى.

أما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية فى الريف الخاضع لسيطرة الصليبيين، فيمكن القول أنها تكونت أولاً من الثيران التى تسهم فى حرث الكاريوكات، والجمال التى تقوم بنقل المحاصيل من الحقول إلى الأجران والأبقار والأغنام والماعز للاستفادة من لحمها ومنتجات ألبانها[3]، حيث توافرت قطعان من: الأبقار، والخراف، والأغنام فى بلاد الشام[4] فى عهد بلدوين الأول.

ويلاحظ أن النشاط الزراعى فى عهد الملك بلدوين الأول لم يسر بصفة مستمرة بدون معوقات، فقد واجهت المملكة كوارث طبيعية تمثلت فى إغارات أسراب الجراد كما حدث فى عام 1114 م (507 هـ)، حيث أدى ذلك إلى التهام المزروعات، كذلك لا نغفل أثر العمليات الحربية فى المناطق الحدودية على الزراعة سلبيًا ناهيك عن احتباس الأمطار فى بعض الأعوام[5].

أما فيما يتصل بالحرف والصناعات فى عهد بلدوين الأول فيلاحظ وجود مقومات للنشاط الصناعى فى صورة وفرة المياه، ووفرة المواد الخام وتنوعها بين مواد زراعية، وأخرى حيوانية، وثالثة معدنية، وفرة المحاصيل الزراعية ببلاد الشام وتنوعها ـ كما أوضحنا من قبل ـ.

---

(1) Cahen, Le Syrie du Nord, P. 473.
(2) Daniel, P. 58.
(3) Cahen, le Syrie du Nord, P. 474.
(4) Danial, PP. 44 - 45.
(5) عن ذلك بالتفصيل انظر: محمد مؤنس عوض، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام، دراسة عن المرحلة 1114 ـ 1159 م/ 509 ـ 554 هـ ط. القاهرة 2002 م، ص18 ـ 24.

وقد أعطى هذا التنوع الزراعى فرصة قيام كثير من الصناعات القائمة على الحاصلات الزراعية والحيوانية ولاسيما: الحرير، والصوف، وقصب السكر، والزيتون، والكروم، وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى ما توفر ببلاد الشام من المعادن مثل: الحديد، والنحاس، والرصاص وغيرها[1] التى قامت عليها صناعات عديدة متنوعة، بالإضافة إلى وفرة الأيدى العاملة، إذ أشار الرحالة برشارد إلى كثرة أعداد المسلمين بالمقارنة بالصليبيين[2]. وعلى الرغم من أن ذلك الرحالة يتحدث عن القرن 13 م/ 7 هـ، إلا أنه من المفترض أن القرن السابق، ونعنى به القرن 12 م/ 6 هـ اتسم بنفس تلك الصفة.

وقد تمتعت هذه الأكثرية المسلمة بقدرة فائقة وخبرة طويلة فى الصناعة، وهذا ما لاحظه الجغرافى الشهير الإدريسى، الذى أشار إلى مهارة سكان صور فى صنع المنسوجات الحريرية، فذكر أنها امتازت بجمالها على غيرها من منتجات بلاد الشام[3]. وما ذكره ذلك الجغرافى البارز عن صور يمكن أن ينطبق على غيرها من المدن الساحلية الشامية التى أخضعها بلدوين الأول للسيادة الصليبية.

وقد اهتم الصليبيون بالصناعة وازدهرت صناعة النسيج ببلاد الشام وتنوعت بين: قطنية، وصوفية، وحريرية، وكتانية، وثياب مطرزة بخيوط الذهب والفضة وغيرها، فالأقمشة القطنية نظرًا لتوافر المواد الخام الأولية كان من الطبيعى أن تزدهر صناعتها[4].وبالإضافة إلى المنسوجات القطنية، ازدهرت أيضًا المنسوجات،

---

(1) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص184.

(2) Burchard, P. 103.

(3) الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ص220.

(4) بلغ التأثير الشامى على الذوق الصليبى شأنًا كبيرًا، إذ أعجب الصليبيون بالملابس القطنية، وقاموا بارتدائها على الدوام لمواجهة حرارة الجو وتقليدًا للسكان المسلمين، الأمر الذى جعلهم يوجهون اهتمامًا كبيرًا لصناعات الأقمشة القطنية والكتانية. انظر: حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى فى بلاد الشام، ص211.

الكتانية، ولما كانت نابلس من أهم المراكز الرئيسة لإنتاج الكتان تفوقت بها صناعة الأقمشة الكتانية[1] ونالت إعجاب الصليبيين فأقبل رجال الدين ورؤساء الأساقفة على ارتداء الملابس الكتانية المطرزة بخيوط الذهب[2].

وحرص الصليبيون على الاهتمام بصناعة الكتان فى مناطقهم لتصديره للغرب، إذ كان الملك الصليبى يعين صناعًا مهرة من قبله للعمل فى هذه الصناعة[3] مما يدل على أهمية هذه الصناعة، ومن المنسوجات التى انتشرت فى بلاد الشام، المنسوجات الصوفية التى ازدهرت فى طرابلس[4].

وقد أنتجت بلاد الشام المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية بوفرة، وهذا يرجع إلى التأثير بتعاليم الدين الإسلامى التى تحرم على الرجال لبس الحرير إلا فى حالة الضرورة، وفى الوقت الذى اهتم فيه الصليبيون بصناعة القطن، والكتان، والصوف، زادت فى نفس الوقت العناية بصناعة المنسوجات الحريرية، فانتشرت تربية دودة القز حول بيروت، وطرابلس، واستخدمت خيوطه فى صناعة الحرير[5].

(1) Conder, The Latin Kingdom, P.240.

(2) مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية، ص143.

(3) La Mante, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom, P. 121.

(4) Burchard, P. 16;

مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية، ص143.

(5) فيما يتصل بالحرير، نعرف أن مصدره دودة القز أو دودة الحرير من جبال أسام فى شمال الهند، ومن بلاد البنغال، إلا أنه فى شمال الصين تعلم الإنسان لأول مرة كيف يقوم بعملية نسج خيوط الحرير من الشرنقة، وقد تم ذلك الإنجاز الكبير فى تاريخ الحضارة البشرية فى حوض نهر تاريم، فى ما يعرف بتركستان الصينية، ويلاحظ أن طريق الحرير بدأ من الشرق من الصين، واخترق ما يعرف بمنغوليا، وحوض نهر تاريم الصحراوى وفجاج وممرات أفغانستان وبلاد فارس، ثم من بعد ذلك اخترق بلاد الرافدين ومنها إلى بلاد الشام، ومن هناك تفرع إلى فرعين إحداهما اخترق بلاد الرافدين ومنها إلى بلاد الشام، ومن هناك تفرع إلى فرعين أحدهما اخترق الأناضول إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، أو اتجه نحو موانى البحر المتوسط، مثل الإسكندرونة وطرابلس حيث وجدت هناك السفن التجارية الأوربية من أجل حمل المنسوجات الحريرية إلى جنوة، والبندقية،

فقد أشار البعض إلى الاهتمام بزراعة أشجار التوت لهذا الغرض[1]. أما عن صناعة الصباغة، فقد أبدع المسلمون فى استخدام الأصباغ وإنتاجها، وتقدمت تلك الصناعة فى المملكة الصليبية بدليل ما أشار إليه الرحالة بنيامين من شهرة صناعة الصباغة، ونجد أن الصليبيين اهتموا بهذه الصناعة وتركوها فى أيدى اليهود[2].

وقد استخرجت معظم الأصباغ التى استخدمت فى المنسوجات من مصدر نباتى، فكانت الصبغة الزرقاء تصنع من النيلة، التى انتشرت زراعتها بكثرة حول سهول صور الساحلية ووادى الأردن[3].

أما الصبغة الحمراء، فكانت تؤخذ من جذور شجرة الفوة، وهى عبارة عن عروق حمراء طويلة كقصب السكر يصبغ بها[4]. أما اللون الأصفر فأخذ من ثمار شجيرات صغيرة نمت فى الأناضول، أو يؤخذ أيضًا من زهرة نبات الزعفران، ومن جذور شجرة الكركم، أو من قشور نبات الرمان حيث تكون صبغته ثابتة الألوان[5]. واستخدمت أيضًا الشب لتثبيت تلك الأصباغ[6].

ومن أهم الصناعات التى اشتهرت بها بلاد الشام، صناعة السكر على الرغم من

ومرسيليا وغيرهما من موانئ القارة الأوربية. وتجدر الإشارة إلى أن الحرير تميز بلونة الأبيض الجميل المائل إلى الاصفرار، واتسم بصفات مميزة كالنعومة، والمتانة، وشبة الشفافية، مما جعله محل إعجاب وحرص الملوك القدماء وكبار الأغنياء من رجال ونساء على شرائه فدخل فى نطاق التجارة الدولية بصورة واضحة، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص321 ، 322، هامش 100.

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص271.

(2) بنيامين التطيلى، رحلة بنيامين، ت؛ عزرا حداد، بغداد 1945 م، ص99.

(3) Benvenisti, The Crusaders, P. 387.

(4) مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية، ص152.

(5) نفسه، ص152.

(6) Fetellus, Description of Jerusalem and Holy land, P.P.T.S, Vol. VI, London 1897, P.12.

أنها من الصناعات القديمة إلا أنها حافظت على ازدهارها وتقدمها، نظرًا لوفرة زراعته. فعندما ينضج هذا المحصول يسحقه أهل الشام فى هاون، ويصفون العصير ثم يضعونه فى أوان فى درجة حرارة معينة حتى يتجمد ويتصلب فيشبه الجليد أو الملح الأبيض، ويطلقون عليه السكر Zucar[1]. وتعلم الصليبيون من السكان الوطنيين طريقة استخراج السكر من قصب السكر، و استخدم فى الغرب الأوربى فى العلاج، وعلى الموائد الشهية بدلاً من عسل النحل الذى كان شائع الاستعمال قبيل الحرب الصليبية. وكان إهداء قطعة من السكر فى ذلك الوقت، يعنى مدى الحب الشديد للمهدى إليه[2]. ومن المتصور أن ذلك الوضع حدث فى خلال مرحلة الدراسات فى العقدين الأولين من القرن 12 م/ 6 هـ.

أما عن معاصر السكر عند الصليبيين، فقد كانت ملكًا للملك الصليبى، ومن أراد استخدامها يدفع أجرًا للملك أو يقدم جزءًا من المحصول[3]. واستعان الصليبيون بالأسرى المسلمين لإدارة معاصر السكر بعكا، كما حرص الصليبيون على استبقاء بعض النساء بمدينة قيسارية عندما سقطت فى أيديهم للعمل بمعاصر السكر بها[4].

وأشار الرحالة ثيودوريتش إلى أن الصليبيين استخدموا أيضًا مياه الأنهار فى إدارة معاصر قصب السكر[5] وعلى الرغم من تأخره على عهد بلدوين الأول، إلا أنه من المفترض أن وصفه كان امتدادًا لما كان فى عهد ذلك الملك.

---

(1) Thompson, Economic and Social of the Middle age (300-1300), Vol. I, London 1959, P. 359.

(2) محمود محمد الحويرى، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة 1979 م، ص134.

(3) Benvenisti, The Crusaders, P. 253.

(4) Fulcher of Charters, P. 154.

(5) Theoderich, P. 64; Benvenisti, The Crusaders, P. 253.

ومن الصناعات التى قامت على السكر صناعة العسل[1]. وأشار الرحالة برشارد إلى طريقة صناعته إذا يؤخذ جزء من عصارة القصب، ويوضع فى غلايات خاصة فى درجة حرارة معينة إلى أن يتماسك قوامها[2]. بالإضافة إلى صناعة عسل النحل الذى انتشرت خلاياه كما أشار الرحالة دانيال بالجليل وغيرها من مدن الشام[3]. بالإضافة إلى استخدام الصليبيين السكر فى حفظ الفواكه، وصناعة المشروبات إذ أشار المؤرخ فوشيه الشارترى إلى أن الصليبيين فى بيت المقدس تمكنوا من صناعة التين المجفف، وذلك بحفظه مدة طويلة فى السكر[4].

وهكذا تعلم الصليبيون صناعة حفظ الفواكه من المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ وجودهم فى المنطقة.

كما كان لصناعة استخراج زيت البلسم فى بلاد الشام أهمية خاصة، فقد أشار احد الرحالة الصليبيين إلى انتشار زراعة أشجار البلسم بفلسطين[5]، ثم استخرج زيته فيما بعد وجاء اهتمام الصليبيين بهذا الزيت لحاجتهم إليه فى بعض الطقوس الدينية، عاملاً مهمًا فى ازدهار هذه الصناعة، فلا يتم عندهم التعميد والتنصير إلا بوضع شيء من دهن البلسم فى ماء المعمودية، كما استخدمه الصليبيين فى تطهير الجروح وحفظ الموتى، يضاف إلى ذلك استخراج الزيوت النباتية من أشجار الزيتون والسمسم والكتان، التى انتشرت ببلاد الشام، فقد أشار شيخ الربوة إلى أن نابلس كانت من أهم المراكز لاستخراج زيت الزيتون[6].

---

(1) ناصر خسرو، سفر نامه، ص13.

(2) Burchard, P. 100.

(3) Daniel, P. 45;

فيما بعد أشار جاك دى فيترى إلى أن الرهبان فى منطقة الأردن كانوا يأكلون الجراد ومعه عسل النحل. عن ذلك انظر: يعقوب الفيترى، تاريخ بيت المقدس، ت. سعيد البيشاوى، ط. عمان 1998 م، ص63 ، 64.

(4) Fulcher of charters, P. 249.

(5) Fetellus, P. 12.

(6) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن، ليبزج 1923 م، ص200.

وقد انتشرت معاصر الزيتون فى معظم القرى التى تكثر فيها أشجار الزيتون، فكان الفلاحون يقطعون ثمرة الزيتون، ثم يجمعون المحصول ويرسلونه إلى المعاصر التى كانت تعمل بواسطة الإنسان أو الحيوان ويشرف عليها المعصرانى[1].

وحرص الصليبيون على استمرار تلك الصناعة فى المدن التى استولوا عليها، فاستغلوا النساء المسلمات فى إدارة تلك المعاصر[2]، كما اهتموا بتصدير زيت الزيتون والسمسم إلى الغرب الأوروبى، وعلى الرغم من أن الكميات التى كانت تصدر قليلة إذا قورنت بكميات السكر التى تصدر إلى أوربا فى تلك الفترة. ومن المرجح أن صناعة استخراج زيت الزيتون كانت احتكارًا لكبار رجال الدين فى المستوطنات الصليبية مثل: البيرة، والقبيبة.. وترتب على صناعة استخراج الزيوت صناعة الصابون.

واهتم الصليبيون بالحصول على إنتاج المصانع فى أنطاكية وعكا ونابلس، فكان الملك الصليبى يعين أشخاصًا يختارهم بنفسه للعمل فى مصانع الصابون[3]. وليس من شك فى أن الملك الصليبى ضمن دخلاً ثابتًا من ذلك، حيث نلاحظ أن الصليبيين تأثروا بعادات المسلمين فى الاستحمام واستخدام الصابون الضرورى فى الحمامات العامة، وكذلك من أجل تنظيف أوانى الطبخ فى الأماكن المخصصة لصناعة الأطعمة للقادمين إلى المدينة من مختلف أنحاء البلاد[4].

كما كانت لصناعة الخمور فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية أهمية كبرى، إذ أشار أحد الرحالة الصليبيين، أن شرب الخمر من الأمور العادية بين الصليبيين،

---

(1) سعيد البيشاوى، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية، ص330،331.

(2) Fulcher of Charters, P. 154.

(3) Conder, The Latin Kingdom, P. 196.

(4) جلال حسنى عبد الحميد سلامة، الاستيطان الصليبى فى الأراضى المقدسة 1099 ـ 1187 م/ 492ـ 583 هـ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2004 م، ص300.

وقد كان أغلب صناع الخمر من المسيحيين الشرقيين[1]. كانت أنطاكية وصيدا وصفورية وبيت المقدس من المراكز الرئيسية فى إنتاج الخمور فى بلاد الشام، وقد حقق نبيذ الأرض المقدسة شهرة واسعة فى الغرب الأوروبى.

ومن الصناعات الضرورية التى اهتم بها الصليبيون صناعة الخبز، وذلك لتوافر القمح والشعير وغيرها من الحبوب[2] فقد كانت الطاحونة مشاركة بين المسلمين والصليبيين، واستخدم الصليبيون المطاحن اليدوية فى طحن الغلال، واستغلوا الأسيرات المسلمات فى إدارة تلك المطاحن[3].

وتعد صناعة الزجاج من الصناعات القديمة، ويعود هذا إلى وجود المواد الأولية التى صنع منها الرخام والبوتاسيوم المستخلص من الرماد، وكذلك الرمال الناعمة الموجودة على السواحل، وبالطبع لا نغفل مهارة الصناع الشوام، وقد اهتم بها الصليبيون فى عهد الملك بلدوين الأول من أجل صناعة القوارير والأكواب التى يتم ملأها بالمنتجات المصنعة كالزيوت والبخور، وكان يتم وضع الخليط المكون من البوتاسيوم والرمل فى الفرن الخاص بصناعة الزجاج، وبعد انصهار الخليط يبدأ الصناع فى نفخ الهواء عبر أنبوبة طويلة، حتى يتم تكوين الشكل المراد تكوينه[4].

ومن الصناعات التى انتشرت فى بلاد الشام واستغلها الصليبيون فى عهد بلدوين الأول: صناعة الرخام، فقد أشار الرحالة دانيال بتزيين الكهف المقدس، وتغطية قبة الصخرة بقطع من الرخام الملون[5]. ولم يقتصر استخدام الصليبيون على هذا، بل قاموا بزخرفة قلاعهم وحجراتهم بقطع مستطيلة من الرخام أسوة

(1) Burchard, P.101.

(2) Daniel, P. 26.

(3) Fulcher of Chartres, P. 154.

(4) Benevenisti, The Crusaders, P. 385, 386.

(5) Daniel, PP. 12, 13.

بقصور ومنازل المسيحيين الشرقيين[1]. ومما لاشك فيه، أن الصليبيين استخدموا الرخام فى إنشاء المستوطنات التى بنوها وفى ترميم الكنائس التى أصبغت بالصبغة الكاثوليكية.

من ناحية أخرى، اهتم الصليبيون بصناعة الطوب، فقد ذكر الرحالة دانيال اهتمام الصليبيين برصف الطرق المؤدية إلى الكهف المقدس بيت المقدس[2].

اهتم الصليبيون فى عهد الملك بلدوين الأول بصناعة الأسلحة والدروع بشكل مكثف نظرًا للظروف العسكرية المحيطة بهم، الأمر الذى أدى إلى الاستحواذ على خام الحديد الذى وجد فى جبال بيروت[3].

ذلك أمر الحرف والصناعات. أما التجارة فيلاحظ أن النشاط التجارى كان أحد العناصر الرئيسية فى دعم ميزانية المملكة الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول، بالإضافة إلى الحج، فقد غنمت مغانم وفيرة من وراء ذلك. من هنا كان اهتمام المملكة بالتجارة اهتمامًا خاصًا، ومن الممكن القول أن الاقتصاد الصليبى قام على الحج والتجارة، وغنم الغزاة منها غنائم وفيرة.

وقد توافرت لدى مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول مقومات النشاط التجارى، إذ قامت على الزراعة، الحرف، والصناعات. وإذا ما أضفنا إلى ذلك الموقع العبقرى لبلاد الشام كوسيط تجارى بين الشرق والغرب، ثم الخبرة التجارية المتوارثة لدى أهلها الأصليين أدركنا أن النشاط التجارى توافرت له عوامل قيامه على نحو مزدهر فى عهد الملك بلدوين الأول، خاصة أن المشروع الصليبى فى الأصل جاء لنهب ثروات المنطقة ووضع تجارتها فى قبضة الغزاة الأوروبيين، لاسيما أبناء المدن التجارية الإيطالية كجنوة، وبيزا، والبندقية.

(1) Fedden, The Crusaders Castles, P. 73,74.

(2) Daniel, P.13.

(3) Prawer, The Latin Kingdom, P. 128.

كما اشتهرت بلاد الشام بتعدد مراكزها التجارية، ومن أبرزها مدينة عكا التى سقطت مبكرًا فى عام 1104 م (497 هـ)، والتى كان لها دورها البارز فى التجارة، وقد ساعدها على ذلك حسن موقعها وتوافر ميناء بها يصلح لرسو السفن طوال العام وحصانتها ووفرة النشاط التجارى حولها، فأصبح من السهل عليها الحصول على ما يلزمها من السلع والمواد الخام[1]، وكذلك كانت أنطاكية على اتصال بالمدن القائمة على نهر دجلة كالموصل وبغداد والبصرة[2]. هذا الأمر جعلها تسيطر على الطرق الحربية والتجارية سواء من الداخل أو الخارج، كما جعلها تزخر بالمراكب الآتية من أوربا، وتصبح من المراكز التجارية المهمة التى حازت شهرة كبيرة فى مجال التجارة بمدينة اللاذقية.

كما كانت بيروت من أهم مدن ومراكز التجارة ببلاد الشام[3]، فهى تعتبر مركزًا لتجارة بلاد الشام ومستودع تجارة وسط آسيا إلى أوربا، وتردد عليها التجار فى مواسم التجارة محملين بالسلع الشرقية ليعودوا محملين بالسلع الغربية، واتصلت دمشق بالبحر المتوسط عن طريق ميناء بيروت[4]، ومياه هذا الميناء هادئة، لذا يلجأ إليها السفن فى معظم أوقات السنة.

ويأتى ميناء طرابلس فى المرتبة الثانية بعد بيروت بالنسبة لتجارة بلاد الشام[5]، فهو مخرج تجارة حلب. أما حلب فكانت من أهم المراكز التجارية فى شمالى بلاد الشام[6] وتبدو أهمية حلب فى وقوعها عند المدخل الشمالى بين الشام وتركيا، وفى

(1) Danial, P. 55.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص250.

(3) John of Wurzburg, P. 63.

(4) Daniel, P. 55.

(5) ناصر خسرو، سفر نامه، ص13.

(6) نفسه، ص10،

Cahen, Le Syrie du Nord, P. 467.

تجميع تجارة فارس وآسيا الصغرى لها، لذا كانت مقصد التجار الأجانب الذين يصلون إليها من طرابلس[1]. ومن الممكن القول أن الموانى الشامية الساحلية كانت منافذ لتصريف منتجات المدن الداخلية.

أما عن نظم التجارة فى المملكة الصليبية خلال فترة الدراسة فقد تنوعت الأسواق بين محلية، ورسمية، وسنوية[2] وغالبًا ما تميز السوق المحلى بتخصصه فى سلعة معينة مثل: أسواق العطارين والحريرين وسوق الفاكهة وغيرها، وكان الغرض من هذه الأسواق سد الحاجات اليومية للمناطق المجاورة.

أما الأسواق الموسمية فقد ارتبطت بموسم ورود السلع الشرقية مثل البهارات والتوابل Spices، بالإضافة إلى السلع القادمة من الهند، والصين، وكانت مواعيدها محددة ولم تتغير[3]. ومن الأسواق الموسمية التى ذاعت شهرتها فى فترة الحرب الصليبية الأولى سوق موزرب Mauzarib، والذى يقع فى منطقة الجليل شمالى فلسطين، وبالتحديد عند السهل الفسيح أو الميدان الموجود فى منطقة حوران، حيث يجرى نهر اليرموك، ومن المفترض أن هذا السوق كان يقام عند وصول القوافل التجارية القادمة من مكة فى مستهل الصيف حيث كان العديد من التجار المسلمين يحضرونه. ومن المرجح اشتراك التجار الصليبيين فى هذا السوق فى عهد بلدوين الأول على اعتبار وقوعه على حدود مملكة بيت المقدس[4].

(1) مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية، ص190.

(2) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص168.

(3) Thompson, Economic and Social, Vol. II, PP. 584 - 585.

(4) محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ص27 ـ 28، أحمد عبد الله، التجارة فى الساحل الشامى، ص134.

- Theoderich, P. 65; Fetellus, P. 26;

عبد الحافظ عبد الخالق يوسف، الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام من 1099 إلى 1291 م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، عام 1989 م، ص76.

وكذلك أقيمت الأسواق أحيانًا حول الكنائس، فأشار الرحالة الألمانى ثيودوريتش إلى السوق الكبير الذى أقيم أمام كنيسة الضريح المقدس Holy Sepulchr، وقصده الأهالى من جميع الجهات[1].

أما عن السلع التى اهتم بها الصليبيون بتصديرها إلى أسواق الغرب الأوربى فى عهد الملك بلدوين الأول، فعلى رأسها التوابل والبهارات، فكانت من أهم السلع التى زاد الطلب عليها لأهميتها فى حفظ الأسماك استعدادا لمواسم الصيام عند المسيحيين، وتستخدم كذلك كمشروبات ساخنة فى الطقس الأوربى الشديد البرودة، مع أهميتها فى إعطاء الطعام مذاق جيد[2] وكان العنبر من أهمها[3] فهو يستخدم فى الطب، فضلاً عن العطور والبخور، ويأتى السكر فى المرتبة الثانية على اعتبار أن معظم ما كان يستهلك من السكر فى أوربا فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى جاء من الشرق، ثم تأتى الخمور فى المرتبة الثالثة إذ تصدر صفورية والناصرة وإنطاكية إنتاجه.

كما تم تصدير الزيوت والقطن والليمون والبرتقال والبطيخ إلى أوربا. أما المنسوجات فقد حرص الصليبيون على تصدير الثياب الحريرية المصنوعة فى دمشق والموسلين المصنوع فى الموصل، بالإضافة إلى المنسوجات القطنية وغيرها.

ومن أسس النظام التجارى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، وجود القناصل التجارية، فقد ظهرت الحاجة إلى وظيفة القنصل بعد انتعاش التجارة وخاصة بين الشرق والغرب، واقتضت الظروف وجود هيئة تتكون من القنصل

(1) Theadrich, P. 22.

(2) وقد وجدنا إشارات فيما بعد مرحلة الدراسة عن الفلفل وأهميته فى النشاط التجارى. عن ذلك انظر: نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، ط. القاهرة 1973 م، ص197 ـ 201.

(3) سونيا هاو، فى طلب التوابل، ت: محمد عزيز رفعت، ط. القاهرة 1957 م، ص22.

ومعاونيه ليكونوا حلقة الاتصال بين التجار والسلطات المحلية [1]. كان للقنصل موظفون يعاونونه منهم: موثق العقود والترجمان بالإضافة إلى وكيل القنصل[2]، وقد قام القنصل بتنظيم العلاقات بين المسلمين والتجار الصليبيين.

أما بالنسبة للنقود التى جرى التعامل بها فى عهد الملك بلدوين الأول، فكانت دنانير المستنصر الفاطمى هى أول الدنانير التى قلدها الصليبيون، ثم قلدوا بعدها دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله، فكان التقليد الصليبى لدنانير الآمر أكثر دقة من التقليد الصليبى لدنانير المستنصر.

وكذلك، يلاحظ أن النظام النقدى فى عهد الملك بلدوين الأول قد انقسم إلى قسمين أساسيين: النقود الذهبية والفضية الفاطمية العالية القيمة، ونقود برونزية نحاسية ذات كتابة يونانية ولاتينية وفرنسية نظرًا لوجود الكيان الصليبى فى مجتمع نقدى متقدم، فى حين لم يكن لدى الصليبيين عملتهم الخاصة. وقد رأى الملك بلدوين الأول أنه من الأفضل عدم سك نقود جديدة والعمل على إعادة سك النقود البيزنطية المنتشرة فى الرها، وذلك للحصول على ميزات اقتصادية وسياسية عن طريق إيجاد نقود للتعامل بدون تكلفة، وفى نفس الوقت سك نقود جديدة بعد اختفاء النقود القديمة[3]. ويلاحظ أن النقود التى أعاد سكها الملك بلدوين الأول كانت من العملات الذهبية[4].

انقسمت النقود التى ضربت فى عهد الملك بلدوين الأول إلى نوعين: النوع الأول وهو عبارة عن عملة ذهبية يوجد على وجهها صليب كبير، كما يوجد على

(1) La Monte, Feudal Monchary in the latin kingdom, P. 112.

(2) مهجة عبد العال، العلاقات الاقتصادية، ص224.

(3) حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى، ص160.

(4) رأفت النبراوى، النقود الصليبية فى الشام ومصر، ط.القاهرة 2001 م، ص 134-135.

هامش وجهه اسم الملك بلدوين باللاتينية BALDVINSREX داخل دائرتين متحدتى المركز. أما مركز الظهر فعليه صورة مبنى يمثل برج داود، وقد لعب هذا البرج دورًا كبيرًا فى الدفاع عن مدينة بيت المقدس بالحروف اللاتينية Dele+. RVSAIEM والنوع الثانى يوجد عليه نفس المكتابات والزخارف غير أنه أكثر ندرة وأخف وزنًا عن ذلك.

بينما سكت النقود فى إمارة إنطاكية من العملات النحاسية[1] كما سكت فى طرابلس الدينيرات الفضية[2].

(1) تنقسم النقود التى ضربها بوهيموند الأول على الطراز البيزنطى بالكتابات اليونانية إلى نوعين: النوع الأول على وجهه صورة نصفية للقديس بطرس بلحية وحول رأسه هالة ويمسك الصليب بيده اليسرى، وحوله الحروف اليونانية الآتية ONOTO وهى اختصار لكلمة ONOTPOC ومعناها بالعربية "القديس بطرس". أما الظهر فعليه صليب لاتينى كبير ذراعه السفلى أطول من باقى الأذرع، ويخرج منه فرعان نباتيان أحدهما متجه إلى اليمين والآخر متجه إلى اليسار، وتحصر أذرعه الصليب الأربع بينها حروفًا من الأبجدية اليونانية B.H.M.T بواقع حرف فى المسافة بين كل ذراعين.
أما عن النقود التى أمر بضربها تنكرد فهى كثيرة ومن معدن النحاس مثل نقود بوهيموند. انظر رأفت النبراوى، النقود الصليبية، ص106، 109.

(2) ضرب فى عهد برتراند (1109 ـ 1112 م/ 503 ـ 506 هـ) دنيرات الفضة، ويوجد على مركز الوجه صليب، كما يوجد على هامش الوجه اسم برتراند باللاتينية BERTRANDVS+ داخل دائرتين متحدتى المركز من الحبيبات المتماسة أما مركز الظهر فوجد عليه ثلاثة حروف هى TAS وهى الحروف الثلاثة الأخيرة لكلمة مدينة باللاتينية، والموجود بقيتها بهامش الظهر بين كرات صغيرة، كما يوجد على هامش الظهر اسم طرابلس باللاتينية TRIPOLIS داخل دائرتين متواريتين متحدتى المركز من الحبيبات المتماسكة. أما عن الأمير بونز Pons أمير طرابلس (1112 م ـ 1136 م/ 506 ـ 531 هـ) فيلاحظ أنه لم يعثر على نقود عليها اسم بونز غير أنه قد نشر نموذج من النقود جيد السك ونادر جدًا، ويوجد على هامش كل من الوجه والظهير طرابلس باللاتينية، وأن هذا النموذج ربما يكون قد ضرب فى فترة حكم الأمير بونز خليفة برتراند وهى من دنيرات الفضة ويوجد على مركز الوجه الصليب الكبير، كما يوجد على هامش الوجه اسم طرابلس باللاتينية TRI&P&LIS+ بين بعض حروفها كرات صغيرة و ذلك داخل دائرتين من حبيبات متماسة. أما مركز الظهير فتوجد عليه حروف وهى TRIPOLIS CIVI+ داخل دائرتين متحدتى المركز، وربما أن الحرفين PO بهامش الوجه هما الحرفان الأولان من اسم للأمير بونز، رأفت النبراوى، النقود الصليبية، ص154، 152.

على أية حال، يمكن القول أن العملات الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول قد اعتمدت على البيزنتات الذهبية، وكذلك الدنانير الفضية والنحاسية، وأيضًا أنصاف الدنانير Obots، كما أن الإمارات الصليبية نادرًا ما سكت عملة ذهبية حيث اعتمد النظام النقدى إلى حد كبير على الدنانير النحاسية وأنصاف الدنانير[1].

ومن ثم يمكن القول أن البيزنتات الذهبية كانت تمثل القاعدة السعرية للنظام النقدى للصليبيين، على الرغم من مرورها بعدة تطورات، أهمها محاكاتها من حيث الشكل لا من حيث نسبة الذهب بها للعملات الفاطمية، ويبدو أن القيمة السعرية للبيزنتات الصليبية الذهبية كانت تماثل على الأقل حتى عام 1184 م/ 580 هـ القيمة السعرية للدينار الإسلامى، الذى ظل يلقى القبول والتعامل فى الأسواق الصليبية وفى عمليات التجارة، ونظرًا لاعتماد الكثير من التجار الإيطاليين على عمليات استيراد البضائع الشرقية من أسواق المدن الإسلامية الداخلية مثل حلب ودمشق، فالمرجح أنهم كانوا يدفعون ثمن السلع والبضائع التى يقومون بشرائها بالدينار الإسلامى نتيجة لرفض المسلمين التعامل بالبيزنتات الصليبية، ولهذا السبب نفسه نعتقد أن التجار تعاملوا فى الأسواق الصليبية بالعملة الإسلامية[2].

ويمكن الاستنتاج، أن العملات الذهبية والفضية الإسلامية والصليبية قد استخدمت بشكل أساسى فى عمليات البيع بالجملة فى الأسواق الصليبية، على حين استخدمت القطع النقدية الفضية والنحاسية الصغيرة فى عمليات البيع بالتجزئة[3]، كذلك يمكننا توقع وجود فعلى للعملات الإيطالية داخل حدود أسواق القوميونات الإيطالية، حيث حظيت عمليات البيع والشراء التى يكون أطرافها من الإيطاليين بقوانين مستمدة من المدينة الأم، الأمر الذى يرجح معه

(1) حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى، ص 167، 168.
(2) حاتم الطحاوى، ص 167، 168.
(3) نفسه، ص 167، 168.

وجود تعامل نقدى بعملات جنوا ـ البندقية ـ بيزا بعيدًا عن العملات الصليبية، التى استخدمت فى الأسواق الملكية بشكل أساسى جنبًا إلى جنب مع الأسواق الإيطالية[1].

ويلاحظ، أنه عندما كان رصيد الصليبيين وفيرًا من الذهب والفضة، فإن العملات الذهبية والفضية عبرت عن قوة الاقتصاد الصليبى، ورغم اعتبار النقود الصغيرة النحاسية والبرونزية من ضمن العوامل المساعدة للنقود الكبيرة، فإننا نعتقد أن انتشارها الواسع لدى الصليبيين أدى إلى انخفاض القيمة الفعلية للنقود الكبيرة الذهبية، وبالتالى ندرة وجودها[2].

نخلص من ذلك العرض، أن مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول وجدت بها أنشطة اقتصادية متعددة: زراعية وصناعية وتجارية.

أما فيما يتصل بالناحية الاجتماعية فى عهده، فيتطلب الأمر أن تحدد الطبقات التى تألف منها مجتمع الصليبيين بالشام.

فجدير بالذكر، أن طبقة النبلاء والفرسان كانت تمثل الطبقة الحاكمة، وكان على رأس هذه الطبقة ملك بيت المقدس نفسه، ثم كبار النبلاء يليهم الفرسان. أما عن العلاقة بين أفراد هذه الطبقة فقد قامت وفق النظام الإقطاعى Feudal System الذى كان سائدًا فى الغرب الأوروبى[3]. وانتقل إلى الشرق اللاتينى، وكان أفراد

---

(1) حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبى، ص 169.

(2) حاتم الطحاوى، المرجع السابق، ص169.

(3) عن النظام الإقطاعى فى مملكة بيت المقدس انظر عبد الحفيظ محمد على، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1975 م، ص93 ـ 98، كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوروبا، ص17، فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ت: كمال اليازجى، ج2، ص262، محمود السيد، تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 2004 م، ص117، 118.

هذه الطبقة يمثلون الارستقراطية فى المجتمع الصليبى، على الرغم من أنهم كانوا قلة قليلة وظلت فى حالة نقص بسبب كثرة الضحايا فى الحملة الأولى، أو قلة الوارد من الغرب. ويلاحظ أن جموع الحجاج لم تنقطع منذ سقوط بيت المقدس، ولكن قليل من هؤلاء فضلوا الإقامة فى بلاد الشام بعد الحج، وكانت الغالبية العظمى منهم فضلت العودة إلى الغرب الأوروبى مثلما فعل عدد من الزعماء الصليبيين حينما قرروا العودة إلى أوطانهم، وكان على رأسهم: روبرت كونت نورماندى وروبرت كونت فلاندرر[1].

وقد تمتعت طبقة النبلاء بقدر كبير من الثراء فى المجتمع الصليبى بفضل الإقطاعات الزراعية التى امتلكوها على حساب المسلمين، والتى كان كل منهما يضم عددًا من القرى يقطنها أهل البلاد، ويدفعون ضريبة ربما تصل إلى ربع أو ثلث صافى إنتاج الأرض من المحاصيل[2].

يلى هذه الطبقة، طبقة عامة المحاربين من الصليبيين، وكان هؤلاء عبارة عن عامة الصليبيين الذين لم ينتموا إلى الفرسان والنبلاء، وقد شاركوا فى الحرب الصليبية الأولى، فكان هؤلاء العامة من الصليبيين الغربيين يؤلفون فرق المشاة فى الجيش الصليبى، واضطروا بعد استقرارهم بالشام إلى التزاوج من بنات المسيحيين، الشرقيين المحليين وبخاصة الأرمن[3]. مثلما فعل الملك بلدوين الأول عندما كان أميرًا للرها، وكذلك بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتيناى، فقد اتخذوا زيجات لهم نتج عنها طبقة البولانى أو الأفراخ[4].

---

(1) Fulcher of Charters, P. 160.

(2) على السيد على، المجتمع المسيحى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1979 م، ص9.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص386.

(4) نفسه، ج1، ص386.

يلى ذلك، طبقة المسيحيين الشرقيين التى كانت تشمل: اليعاقبة والقبطيين والجورجيين والأثيوبيين والنساطرة واليونانيين والسريان والأرمن والموارنة[1]. وقد احتقر الصليبيون الغربيون هؤلاء المسيحيين الشرقيين، وأحسوا نحوهم بالكراهية عمومًا نتيجة للخلاف المذهبى[2].

بيد أن الملك بلدوين الأول قام بمحاولة التودد والاقتراب من المسيحيين الشرقيين، لمواجهة مشكلة نقص العنصر البشرى، وهى المشكلة الملحة بالنسبة للكيان الصليبى، فاتجه إلى تغيير جزئى لخريطة التوزيع الديموغرافى فى المنطقة[3] لمواجهة البعد الاستراتيجى للكثافات السكانية الإسلامية فى قلب المناطق الصليبية.

ونلاحظ ذلك من خلال التجربة القاسية التى عاشها هذا الملك الصليبى فى عام 1113 م (506 هـ) عندما هاجم السلاجقة إقليم الجليل، فانتهز المزارعون وأهل الإقليم من المسلمين تلك الفرصة وخرجوا عن طاعة الصليبيين، فى الوقت الذى هدد فيه الفاطميون بيت المقدس من الجنوب، وهى شبه خالية لتغيب بلدوين الأول ورجاله عنها[4].

وأمام هذه المشكلة، لم يجد بلدوين الأول سوى المسيحيين الشرقيين الذين يسكنون فيما وراء نهر الأردن وحوران، فاتصل بهم سرًا لكى يعتمد عليهم، وقام

(1) بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص173، يوحنا فورزبورغ، وصف الأرض المقدسة، ت. سعيد البيشاوى، ط. عمان 1997 م، ص113.

- Halmes "Life among the Europeans in Palestine and Syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries", in Setton, A History of the Crusades, Vol. V, Wisconsin 1985, P. 38.

(2) سعيد عاشور، المرجع السابق، ج1، ص386.

(3) محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص102.

(4) سعيد عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت 1972 م، ص 269.

الملك الصليبى بإغرائهم بالإقامة فى بيت المقدس وترغيبهم فى ذلك، ووعدهم بحياة أفضل من حياتهم التى كانوا يعيشونها[1].

وتمثلت هذه الإغراءات فى الحصول على المسكن الملائم، بالإضافة إلى حيازة الأرض الزراعية، بجانب العامل الدينى، وما للأماكن المقدسة من جاذبية كبيرة فى نفوسهم مما جعلهم يهاجرون، فرحلوا عنها سنتى 1115، 1116م (508، 509 هـ).

ومما لا شك فيه، أن بلدوين الأول حقق عدة أهداف من وراء ذلك، فقد دعم الوجود البشرى فى مدينة القدس بعد الخلخلة السكانية التى أصيبت بها عقب مذبحة عام 1099 م (492 هـ) الشهيرة، وأوجد قوة اقتصادية مهمة على اعتبار أن تلك العناصر المسيحية برعت فى العديد من الحرف مثل: الزراعة والرعى وغيرها، ولذلك احتاجتها المملكة الصليبية الوليدة.

ولا نغفل، أن وجود هذا الدعم المسيحى الجديد فى بيت المقدس له دلالاته فى الدفاع عن المدينة حتى بصورة معاونة للقوة العسكرية الأصلية – ضد أية مخاطر قادمة من ناحية مدينة عسقلان الفاطمية[2].

وفيما يتعلق بطبقة البورجوازية، فقد تكونت من عناصر الأوربيين الأحرار الذين جاءوا إلى المملكة الصليبية، لممارسة النشاط التجارى، فكانت هذه الطبقة توضع أسفل طبقة النبلاء فى الهرم الطبقى الصليبى، وعلى الرغم أنها كانت هكذا إلا أنها احتلت مكانة أسمى من السكان الأصليين، وقد عاشت هذه الطبقة فى المدن الساحلية، وعدد معين من المدن الداخلية، وأدت الثروة التى حصلوا عليها إلى إضفاء أهمية لديهم[3].

(1) William of Tyre, Vol. I, P. 508.

(2) محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص103.

(3) محمود الحويرى، الأوضاع الحضارية فى بلاد والشام، ص83.

إلى جانب طبقة البورجوازية، كان هناك طبقة التجار الإيطاليين، وهؤلاء تركزوا فى المدن الصليبية، وبخاصة الموانى الساحلية مثل: عكا، ويافا، وقيسارية، وبيروت، وطرابلس، وجبيل، واللاذقية والسويدية (سان سيمون Son Simon).

وقد ظل أولئك التجار يكوِّنون طبقة مستقلة قائمة بذاتها ويتحدثون بلهجتهم الوطنية ولا يختلطون بغيرهم إلا فى نطاق المعاملات المالية والتجارية[1]، وفى عهد الملك بلدوين الأول أصبح لتلك الطبقة شأن كبير بفضل ما قدمه من مساعدات فى إخضاع الساحل الشامى[2].

أما بالنسبة لطبقة الرقيق كان لا يمكن للصليبيين فى بلاد الشام أن يستغنوا عنهم، بعد أن اعتادوا فى الغرب الأوروبى وجود تلك الطبقة[3]، لقيام أفرادها بكثير من الأعمال التى لم يألف الصليبيون القيام بها باعتبارهم طبقة أرستقراطية حاكمة، فقد كانوا يستخدمونهم فى أعمال التشييد والبناء، وكان من هؤلاء الرقيق أعداد كبيرة من المسلمين الذين وقعوا أسرى فى الحروب المستمرة بين المسلمين والصليبيين.

أما عن عنصر اليهود، فقد كانوا قلة ضئيلة نتيجة هجرة الكثير منهم خوفًا من الصليبيين الذين قاموا ضدهم بمذابح حول حوض الراين عام 1096م (491 هـ) أثناء سير الحملة الصليبية الأولى ففضلوا أن يعيشوا فى أحياء منعزلة ومغلقة، فيما يعرف بالجيتو، ولقد تمركزوا فى مناطق: أنطاكية، واللاذقية، وطرابلس، وصور، وعكا[4]. وقد أشار الرحالة بنيامين التطيلى إلى أن اليهود قد فرضوا عليهم ضريبة الرأس كالمسلمين، وكانوا يحترفون مهنة الصباغة، وصناعة الزجاج[5].

---

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص387.
(2) انظر الفصل الأول.
(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص387.
(4) قاسم عبده قاسم، الاضطهادات الصليبية ليهود أوروبا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، ط. القاهرة 1982 م، ص142.
(5) بنيامين التطيلى، رحلة بنيامين، ص99.

أما بالنسبة للأعياد عند الصليبيين، فيلاحظ أننا لا نملك مادة مصدرية عنها معاصرة لعهد بلدوين الأول وبالتالى نضطر للاتجاه إلى مصادر تاريخية صليبية تالية من ذات القرن، وأعنى به القرن الثانى عشر لتناولها. فلم تختلف أعيادهم عن الأعياد عند المسيحيين المحليين مثل: عيد البشارة، والغطاس، والعنصرة، وخميس الأربعين، وأحد السعف، وعيد الفصح، وكبار القديسيين وغيرها من الأعياد الأخرى[1]. من أشهر الأعياد عند الصليبيين عيد الفصح، أو عيد النار المقدسة Holyfire، أو الضوء المقدس Holylight وهو عيد خاص بالمدينة المقدسة، فعند اقتراب عيد الفصح يتم ترقب الضوء المقدس كالعادة فى كل كنائس بيت المقدس وقد توارث اللاتين ذلك الاحتفال عن اليونانيين، وكان ذلك الاحتفال قائمًا منذ عهد شارلمان، وفيه يتم إضاءة واحدة من القناديل بالمدينة المقدسة بضوء إلهى، كما يتصور ذلك من شاهد الاحتفال الراهب الروسى دانيال[2].

وتبدأ الاستعدادات للاحتفال بعد صلاة الغروب ليوم الجمعة الطيبة، ففى ذلك اليوم ينظف الضريح المقدس، وتغسل كل المصابيح الموجودة به، وتملأ بالزيت النقى، ثم توضع القناديل وتترك غير مضاءة، وفى ذات الوقت يتم تنظيف المصابيح والقناديل فى كل كنائس بيت المقدس[3].

وقد شاهد هذا الاحتفال الرحالة الروسى دانيال المعاصر للملك بلدوين الأول، فقد استأذنه لوضع قنديل باسم الشعب الروسى وعلقه فى مكان رئيسى فوق ما يعتقد المسيحيون أنه القبر المقدس[4].

---

(1) عن هذه الأعياد انظر: على السيد على، المجتمع المسيحى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ص 206-211.

(2) Daniel, PP. 74, 75.

(3) Daniel, P. 74.

(4) Conder, The Latin Kingdom, PP. 80, 81.

وقد ازدحمت الكنيسة إلى حد كبير، ولم يسع فناء الكنيسة الخارجى تلك الأعداد الكبيرة من الكتل البشرية، وقد حضر بعض الحجاج من مصر وأنطاكية ومناطق صليبية أخرى، كان التصادم بين الكتل البشرية مخيفًا، وقد حدثت عدة إغماءات والناس يقعون وفى أيديهم الشموع غير مضاءة منتظرين فتح أبواب الكنيسة[1]، مما دل على أنه خلال مثل تلك الأعياد ازداد عدد زوار المملكة الصليبية من الحجاج، ودر عليها كل ذلك أموالاً طائلة.

كما احتفل الصليبيون بعيد العذراء المباركة، وكان ذلك الاحتفال يتم فى موكب بسيط يبدأ من الضريح المقدس، وينتهى فى ما تصوره الصليبيون أنه هيكل الرب، وقد حمل المحتفلون القناديل[2].

كما كان عيد "أحد السعف" من بين الأعياد المهمة التى يمكن لكل رجال الكنيسة فى بيت المقدس المشاركة فيها، لما تطلبه طقوس ذلك العيد من مساهمة الكنسيين بأكملهم، فقبل أن تشرق الشمس، كان رجال الكنيسة والبطريرك ورهبان جبل صهيون وجبل الزيتون ومقدم دير ماريا يوشفاط يذهبون إلى بيثانى، وهى على بعد ميل من القدس، ويأخذون معهم كل الذخائر المقدسة، وكان أقدمها ما اعتقد الفرنجة أنه صليب الصلبوت.

وفى ذات الحين، كان سكان المدينة يتجمعون فى كنيسة القيامة مع رهبان الضريح، وهناك تتم مباركة سعف النخيل وأغصان الزيتون، ويقود رجال الكنيسة

(1) وكان بداخل الكنيسة القساوسة، وقد تجمعوا فى انتظار وصول الملك وحاشيته، وعندما وصل الملك فتحت أبواب الكنيسة وتدافع الناس فى الدخول كلٌ يحاول أن يسبق زميله، وجلس الملك بلدوين فى تواضع بالقرب من المحراب، وقد قام الأسقف ومعه أربعة شماسين بفتح أبواب القبر حيث دخلوه بشمعة الملك بلدوين الأول، ثم دقت الأجراس كما يعتقد الصليبيون،

Conder, The Latin Kingdom, PP. 81, 82.

(2) Prawer, The Latin Kingdom, P. 178.

الموكب إلى بوابة يوشفاط، وهناك كانوا يقابلون الموكب القادم من بيثانى يتقدمه البطريرك ومعه الصليب المقدس، ويتمثل القوم ما فعله للسيد المسيح فى ذلك اليوم عندما ترك بيثانى ومضى إلى منطقة بيت فاجة Betphage، وهو مكان فى منتصف الطريق بين بيثانى وجبل الزيتون، ثم يمضى بعد ذلك عبر جبل الزيتون إلى مدينة القدس، ودخل عبر البوابة الذهبية، ويتم فتح بابها عند اقترابه منها[1].

كذلك هناك الاحتفال بعيد خميس الصعود Ascensionday من خلال موكب يمضى إلى جبل الزيتون بعد الصلاة فى كنيسة الضريح المقدس[2]، ويتوجه الموكب إلى كنيسة مقامة فى المكان الذى يعتقد بأن السيد المسيح صعد منه، وتوجد آثار مطبوعة فى المكان لقدمى السيد المسيح[3].

ومن الأعياد الدينية الرئيسية عند الصليبيين فى عهد بلدوين الأول أيضًا عيد الميلاد، حيث كانوا يخرجون فيه جميعًا رجالاً ونساء مرتدين أفخر الثياب، متزينين بكل أنواع الزينة[4].

وقد شكلت الأعياد، مناسبات على قدر كبير من الأهمية للمملكة الصليبية، إذ من خلالها حققت مكاسب اقتصادية من خلال وفرة حركة التجارة، ثم دعاية سياسية قوية لها فى الغرب الأوروبى بعد عودة الحجاج.

---

(1) Theodrich, PP. 34, 35.

(2) ومع قدوم موكب البطريرك، وحسب رواية يوحنا قس ورزبرج، فإنه يتقدم بوقار من البوابة الذهبية، تلك البوابة التى أعلنت خلق عيسى عليه السلام بعد مروره منها، "وتفتح البوابة" بوقار للموكب والعامة كلهم مواطنون أو أغراب، وبعد أن يلقى البطريرك عظته الاحتفالية إلى الناس عند أقدام جبل الزيتون، وبعد انتهاء القداس يقفل الباب ثانية لمدة عام، ولا يفتح إلا فى يوم تعظيم الصليب المقدس،

John of Wurzburg, P. 19.

(3) Prawer, The Latin Kingdom, P. 180.

(4) عبد الحفيظ محمد على، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين، ص200.

إلى جانب الأعياد فقد قام الصليبيون بإحياء المناسبات التاريخية كالاحتفال بيوم الخامس عشر من يوليو كل عام، وهو اليوم الذى سقطت فيه المدينة فى أيديهم، وتأسيس مملكة لاتينية فيها. وقد وصف الرحالة الألمانى يوحنا أوف ورزبرج فيما بعد مرحلة الدراسة ذلك الاحتفال قائلاً :"ففى الصباح الباكر من هذا اليوم، كان البطريرك اللاتينى يقود مسيرة من كنيسة القيامة إلى كنيسة السيد (قبة الصخرة) حيث تتوقف الجموع لإقامة الصلوات فى الساحة الواقعة بينها (كنيسة السيد) وبين معبد سليمان (المسجد الأقصى)، وبعد الانتهاء من الصلوات كان المجتمعون يتوجهون إلى خارج أسوار المدينة حيث قبور "شهداء الصليبيين" الذين سقطوا أثناء اقتحام المدينة، وبعد الانتهاء من زيارة "قبور الشهداء" تعود المسيرة إلى القدس، حيث تعبر الشارع العام وتسير باتجاه السور الشمالى للمدينة حيث المنطقة التى دخل منها الفرنجة، وفى هذا المكان كان البطريرك يلقى موعظة بالناس المجتمعين، ثم تقام صلوات الشكر قبل أن يتفرق الجمع"[1].

وفى أعقاب ذلك الاحتفال بثلاثة أيام تم الاحتفال بالذكرى السنوية لانتخاب جودفرى البولونى كأول حاكم للوجود الصليبى.

وقد وصف ذلك الرحالة هذا الاحتفال وصفًا مقتضبًا، فأشار إلى أن سكان بيت المقدس، كانوا يجتمعون فى كنيسة القيامة، ثم خرجوا فى مسيرة عبر شوارع المدينة حتى يصلوا إلى القصر الملكى، حيث كانت تقام وليمة كبيرة... وكان أغنياء المدينة يقومون بتوزيع الصدقات على الفقراء فى كنيسة القيامة[2].

وكان المنزل ذو الطابقين أو الثلاثة طوابق هو النمط الشائع، وعادة ما كانت واجهة الدور الأرضى فى المنازل الشرقية عبارة عن حائط صلب ليس فيه سوى

(1) John Wurzburg, P. 39.

(2) Ibid, P. 40.

المدخل. وكانت نوافذ الطوابق العلوية تسمح بدخول بعض الضوء، ولكن الفتحات الأساسية فى البيت كانت تطل على فنائه الداخلى، حيث يوجد البئر، والذى يحفظ فيه ماء المطر، وفى بعض الأماكن كانت حفرة فى الأرض تتصل بإحدى القنوات المائية الصناعية القديمة.

وفى بعض المنازل، كانت السلالم تبنى خارج المنزل بحيث تسمح بالصعود من الشارع إلى كل طابق من طوابق المنزل، وغالبًا ما كانت منازل الأثرياء تحتوى على نوع من البناء الإضافى فى الخارج، يتكون من الأقواس المغطاة بالقماش لكى تحمى المدخل من الشمس والمطر[1].

أما فيما يتصل بالملبس فقد تأثر الصليبيون بالملابس الشرقية، إذ إن كثيرًا من المحاربين الصليبيين كانت لديهم الرغبة فى ربط مصيرهم بالشرق والإقامة فيه، ومن أمثلتهم الملك بلدوين الأول، فعلى الرغم من قرب عهده بأوربا، فإنه كان يؤثر استعمال الملابس الشرقية، فعندما وصل مع قلة من القادة الصليبيين تكشفت نواياهم عن رغبتهم فى ربط مصيرهم بالشرق والإقامة فيه، والانصراف عن تحقيق الغرض الظاهرى الذى ادعى أنه جاء من أجله.

وكان هذا من الأسباب التى جعلت كثيرين من الصليبيين يتزينون بزى مشابه لزى المسلمين، وذلك نظرًا لمناخ المنطقة، فكانوا يلبسون الكوفية على رؤوسهم، وعمدوا إلى إطالة ملابسهم[2].

كما وضعت المرأة الصليبية أحيانًا الحجاب على وجهها، لا فى سبيل الوقار والحشمة، ولكن خوفًا على الطلاء ومساحيق الزينة[3]. ولا ريب فى أن الصليبيين

(1) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص109.

(2) البدراوى زهران، الصراع اللغوى فى عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ب.ت، ص126.

(3) جلال حسنى عبد الحميد سلامة، الاستيطان الصليبى فى الأراضى المقدسة، ص262،
Conder, The Latin Kingdom, P. 179.

الذين انتصروا على المسلمين فى البداية كانت مفاجأة المشرق تنتظرهم، حيث وقفوا فى دائرة الإعجاب والانبهار بعادات الشرقيين.

كما تأثر الصليبيون بعادات الأكل وصنع الطعام السائد بين سكان فلسطين، فقد ذكر عنهم أنهم كانوا يخبزون على الحصى فى الأفران، كما أنهم كانوا يطبخون العدس والبيسار، ويقلون المنبوت بالزيت ويسلقونه، ويباع مع الزيتون، ويملحون الترمس ويكثرون من أكله[1].

ويصنعون فى الخروب ناطفا[2]. ويذكر بنفنستى أن مواقد النار كانت شائعة فى منازل المستوطنين والمنازل العامة، وقد خدم هذا الموقد عائلة واحدة استفادت منه، وطبخت طعامها عليه، كما استخدم الصليبيون الملاعق والقلايات والمغارف، وأوعية لحفظ التوابل والبهارات، وجميع أنواع المخللات ومطاحن صغيرة للفلفل وغيرها من الأوانى اللازمة للمطبخ وإعداد الطعام[3].

وعلى ذلك، فالصليبيون أحبوا الطعام الشرقى، وأقبلوا عليه، لذلك نجدهم يقبلون على التوابل والمشهيات التى كانت توضع على موائدهم[4] ولا ريب فى أن عاداتهم الغذائية تأثرت بعادات الشرقيين.

كذلك تعلم الصليبيون استخدام السكر فى صناعة الحلويات، وكذلك صناعة الشراب المصنع من السكر لإضافته إلى الحلوى التى تفننوا فى صناعتها[5]، وأخذوا

(1) سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية، ص374.

(2) ورد أن الناطف هو السائل من المائعات، وهو ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق، وهو ما يعرف باللهجة الفلسطينية باسم السمسمية، انظر: جلال حسنى عبد الحميد، الاستيطان الصليبى، ص264، هامش(1).

(3) Benvenisti, The Crusaders, PP. 374 , 375.

(4) Prawer, The Latin Kingdom, P. 493.

(5) Conder, The Latin Kingdom, P. 181.

عن السكان الأصليين أكل القشدة التى أتقنها سكان الأرض المقدسة، واستخدام زيت الزيتون سواء فى طبخ الخضراوات أو قلى لحوم الصيد والأسماك[1].

وعلى ذلك، فقد استقر الصليبيون فى عهد بلدوين الأول بالشام، وتأثروا بالبيئة التى استعمروها، وأثروا فيها ولم ينسوا تمامًا أوطانهم التى أتوا منها، وقد كتب فوشيه الشارترى، وهو مندهش من الحالة التى وصل إليها الصليبيون فى الشرق.

إذ يقول إن مواطنى رامز وشارتر أصبحوا هم مواطنو صورو أنطاكية، ولقد نسوا الأرض التى ولدوا فيها، وكثير منهم لم يفكر فى البلد التى ولد فيها، أو حتى يسمع عنها، والرجل قد امتلك المنازل والأرض، كما لو كان قد ورثها عن أبيه وأجداده، والآخر قد تزوج من شامية أو أرمينية أو حتى الشرقية العربية أكثر من بنت وطنه[2]. وقد عبر أيضًا نفس التعبير أحد أنداد فولشر، وهو الراهب الألمانى بوكهارد، ودهش من ارتباط الصليبيين ببلاد الشام واستقرارهم فيها[3].

أما بالنسبة للعلاقات الصليبية الإسلامية، فقد كان الوجود المسلم داخل المجتمع الصليبى يمثل قلقًا بالغًا، ومصدرًا من مصادر الخطورة على أمنهم، فكان الصليبيون لا يثقون فى وجودهم ولا تعاونهم، وعندما كانت تنشب المعارك بين المسلمين والصليبيين، كانت أصابع الاتهام تشير إلى المسلمين، الذين يقطنون داخل الأراضى الصليبية، ويحذرون من غدرهم، فكان المسلمون ـ بطبيعة الحال ـ يميلون إلى مناصرة القوات الإسلامية، ولا يترددون فى تقديم المساعدة لهم، فإذا تعرضت

(1) جلال حسنى عبد الحميد، الاستيطان الصليبى، ص165.

(2) Fulcher of charters, PP. 270 - 272.

(3) Gaston Dodu, Histoire des institution Monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem, Paris 1894, P. 53.

القوات الإسلامية للهزيمة، كانوا يخفون الفارين منهم، ويقدمون لهم ما يستطيعون تقديمه من وسائل النجاة[1].

وقد أظهرت القرى التى سكنها غالبية من المسلمين - وبالذات فى منطقة نابلس - عداءً صريحًا تجاه الصليبيين، فعندما أغار الأمير مودود حاكم الموصل سنة 1113 م (506 هـ) على هذه المنطقة، انضم إليه سكانها المسلمون، فأرشدوه إلى نقاط الضعف والقوة فى المملكة الصليبية[2]. وقد تشدد الصليبيون فى معاملة المسلمين الخاضعين لهم، وبخاصة فى المناطق التى قدَّم سكانها المساعدة للقوات الإسلامية، وبالتالى كان وضع مملكة بيت المقدس الصليبية غريبًا، فهى تضم المسلمين أعداءها دون أن تتمكن من إخضاعهم فعليًا لها وإقناعهم بالغزو الصليبى الدخيل.

وكان التغير فى استراتيجية الحرب الصليبية تجاه مسلمى المدن الشامية التى استولى عليها الصليبيون يرجع إلى عدة عوامل منها العامل الاقتصادى، إذ أدرك الغزاة أهمية العنصر البشرى المسلم، واعتمادهم على مسلمى هذه المدن كطبقة عاملة فى مجال: الزراعة والصناعة والتشييد والبناء. وقد بدأ هذا الاتجاه فى عهد الملك بلدوين الأول، وذلك بعد عودة كثير من الصليبيين إلى الغرب الأوروبى.

وهكذا، نجد بلدوين الأول يوافق فى عام 1110م (504هـ) على خروج حامية صيدا بأمان، وبقاء الفلاحين من سكانها لاستخدامهم فى أعمال الزراعة، كما سلك صليبيى أنطاكية نفس الاتجاه بعد استقرارهم فى شمال الشام لزيادة العنصر البشرى المسلم فى الإمارة الصليبية.

فقد عاش المسلمون فى المدن الصليبية وفى المناطق الريفية أيضًا، إلا أنه كانت هناك اختلافات بين أحوال الفريقين، فمن أقام منهم فى المدن كان حرًا، وهو يمارس

---

(1) عن دعم مسلمى الداخل لإخوانهم انظر: أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص64، 134، 135، 139 ـ 141.

(2) William of tyre, Vol. I, P. 508.

المهنة التى يتقنها، وله حرية الحركة من مكان إلى مكان، وكان المسلمون يمتلكون المنازل والأراضى. أما من الناحية المادية، فقد فرضت عليهم ضريبة الرأس، وكانت تؤدى على كل من بلغ الخامسة عشر من العمر من الذكور[1].

نخلص من العرض السابق، أن الصليبيين فى عهد الملك بلدوين الأول مارسوا نشاطًا اقتصاديًا من حيث: الزراعة والصناعة والتجارة، وكانت لهم حياتهم الاجتماعية، مع ملاحظة أن ذلك الكيان ظل المسلمون يعادونه ولا يعترفون بشرعيته حتى طرده من عكا آخر المعاقل الصليبية فى عام 1291 م/ 690 هـ.

* * *



(1) حسين محمد عطية، المسلمون فى الإمارات الصليبية فى بلاد الشام، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491ـ690 هـ ج1، جامعة اليرموك 2000 م، ص383.



الخاتمـــة

نتج عن دراسة موضوع مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: من خلال الفصول السابقة اتضح لنا المميزات التى تمتع بها ذلك الملك الصليبى ومكنته من تحقيق أهداف متعددة خلال أقل من عقدين من الزمان، حيث اتسم قراره بالمشورة مع باقى كبار أعلام الكيان الصليبى سياسيين كانوا أم كنسيين، بالإضافة إلى سرعة استغلال الوقت والمبادرة بالأفعال المضادة للمسلمين، وبالتالى استغل ما هم عليه من انقسام وتشرذم سياسى، وعلى الرغم من كافة تلك الإنجازات إلا أنه لم يستطع أن يضمن لذلك الوجود الغازى الدخيل البقاء والاستمرار نظرا لعدم قدرته على حل مشكلة عدم شرعية ذلك الوجود، بالإضافة إلى مشكلة الأمن التى حاول مواجهتها جزئيًا، وهى مشكلة لن تحل إلا بطرد الغزاة من بلاد الشام نهائيًا عام 1291 م/ 690 هـ.

ثانيًا: يرجع سبب كارثة الاستيلاء على معظم الساحل الشامى فى خلال الفترة الممتدة من عام 1101 م ـ 495 هـ إلى عام 1111 م ـ 505 هـ إلى ضعف القوات الفاطمية، وتدهور دورها فى المحيط الإسلامى، بالإضافة إلى الضعف الإسلامى العام فى ظهير بلاد الشام، ثم لا ننكر قوة الصليبيين وقدراتهم العسكرية، كما اتضح

أن الصليبيين بنظرتهم الاستعمارية رأوا أن يستولوا على اقتصاديات القوى الإسلامية الشامية الداخلية، بأن يسقطوا المدن الساحلية التى هى منفذهم لتصريف تجارتهم. كما اتضح أيضًا من دراسة الاستيلاء على الساحل أن الصليبيين كانوا لا يستطيعون العيش فى المملكة الصليبية، دون وجود رئة لهذا الجسد أى الوطن أوروبا.

ثالثًا: استطاع الملك بلدوين الأول استغلال الدعم البحرى فى صورة الأساطيل الجنوبية والبيزية فى إسقاط معظم الساحل الشامى، وفى مقابل ذلك حصولهم على امتيازات تجارية كبيرة على نحو يؤكد الطابع المادى النقضى لمركز الصليبيين، وينفى عنها الجانب المثالى الذى حاولت أن تصوره الحوليات الصليبية الباكرة.

رابعًا: شارك المسلمون بضعفهم وانقسامهم على أنفسهم فى تدعيم الكيان الصليبى، فكان العداء المذهبى بين السنة والشيعة، بين الخلافة الفاطمية فى الجنوب والسلاجقة فى الشمال أثره فى تدعيم هذا الكيان على أرض عربية إسلامية.

خامسًا: أن فكرة الجهاد ضد الصليبيين بدأت من القائد المغوار شرف الدين مودود، فهو الباعث لهذه الحركة، ومن بعده استمرت على يد عماد الدين زنكى، ثم نور الدين محمود، ثم صلاح الدين بطل حطين 1187 م/ 583 هـ.

سادسًا: استطاع الملك بلدوين الأول تشييد القلاع التى تؤمّن وجوده فى المنطقة بتشييده لمنظومة قلاعية فى أماكن استراتيجية لتدعيم وجود الكيان الصليبى، وهذا حل جزئى لمشكلة نقص العنصر البشرى التى ستواجه المملكة خلال مراحلها المتقدمة، فعمل على تشييد قلعة: الشوبك، والكرك، وأيلة، وجزيرة فرعون وغيرها حتى تكون له درع يحمى المملكة الصليبية من أعدائها المسلمين. كذلك استطاع بلدوين الأول التغلب على مشكلة نقص العنصر البشرى عن طريق جلب مسيحيى شرق الأردن وحوران، وتمكن من [illegible]هم فى المملكة حتى يتغلب على هذه المشكلة.

سابعًا: استطاع الملك بلدوين الأول منع رجال الدين من إقامة حكومة دينية، بل استطاع تطويع الكنيسة لخدمة مصلحة المملكة الصليبية مع احتفاظ الكنيسة بالمهام الدينية البحتة بعزلها الأساقفة الأرثوذكس وتعيين أساقفة لاتين، كذلك استغل الملك الصليبى حاجته إلى المال، فأخذ من الكنيسة ما يساعده على ذلك، ومنحها هبات وإقطاعيات حين أتيحت له الفرصة، بالإضافة إلى تحايله من الزواج من الملكة الصقلية لاستغلال أموالها فى تدعيم كيان مملكته فى الشرق.

ثامنًا: بداية ظهور المستوطنات الصليبية على الأرض العربية فى عهد هذا الملك الصليبى مثل: البيرة ـ القبيبة، مع مراعاة أن هذه المستوطنات بنية فى مناطق استراتيجية بالغة الدقة، مما يؤكد فكرة المنظومة الصليبية.

تاسعًا: لم يتمكن الملك بلدوين الأول من استكمال الاستيلاء على الساحل فتبقت مدينتا: صور وعسقلان، استطاع الملك بلدوين الثانى من إسقاط الأولى فى عام 1124 م ـ 518 هـ، وكذلك تمكن الملك عمورى من إسقاط الثانية فى عام 1153 م ـ 548 هـ، مما يؤكد أن التخطيط لإحكام السيطرة على الساحل الشامى، كان يسير وفق خطة صليبية كبرى.

عاشرًا: استطاع بلدوين الأول عن طريق حملة استكشافية الوصول إلى العريش، وليس معنى ذلك أنه كان يريد غزو مصر، فغزو مصر يحتاج إلى إمكانيات اقتصادية كبيرة لا تستطيع هذه المملكة الوليدة الصمود أمامها، ولكن هذا الأمر لا يخلو من دلالة، فاليوم استكشاف وغدًا الغزو الفعلى.

حادى عشر: بموت الملك بلدوين الأول 1118 م ـ 512 هـ انتهت الحملة الصليبية الأولى، إذ إن مدة حكم ذلك الملك الصليبى المؤسس لا يمكن فصلها بأى حال من الأحوال عن المرحلة السابقة عليها من الدعوة إلى الحروب الصليبية والوصول إلى بيت المقدس، ولذا اعتبرت الطالبة أن تلك الحملة انتهت فى العام المذكور.

ثانى عشر: استطاع الملك بلدوين الأول أن يكون فاعلاً فى تأسيس الكيان الصليبى، وليس مفعولاً كما حدث فى آخر عهد الصليبيين، فهو يعد المؤسس الحقيقى والفعلى للكيان الصليبى، وهو امتداد للذين أتوا من بعده لتثبيت كيان استيطانى على أرض عربية، فهو جزء من مؤامرة كبرى للانقضاض على ثروات الشرق.

ثالث عشر: تحول بلدوين الأول إلى أسطورة فى نظر الغرب الأوروبى، وخاصةً المدرسة الفرنسية، وعلى رأسها جروسيه، فقد اعتبروا ما فعله بلدوين الأول هو تاريخ فرنسا فيما وراء البحار.

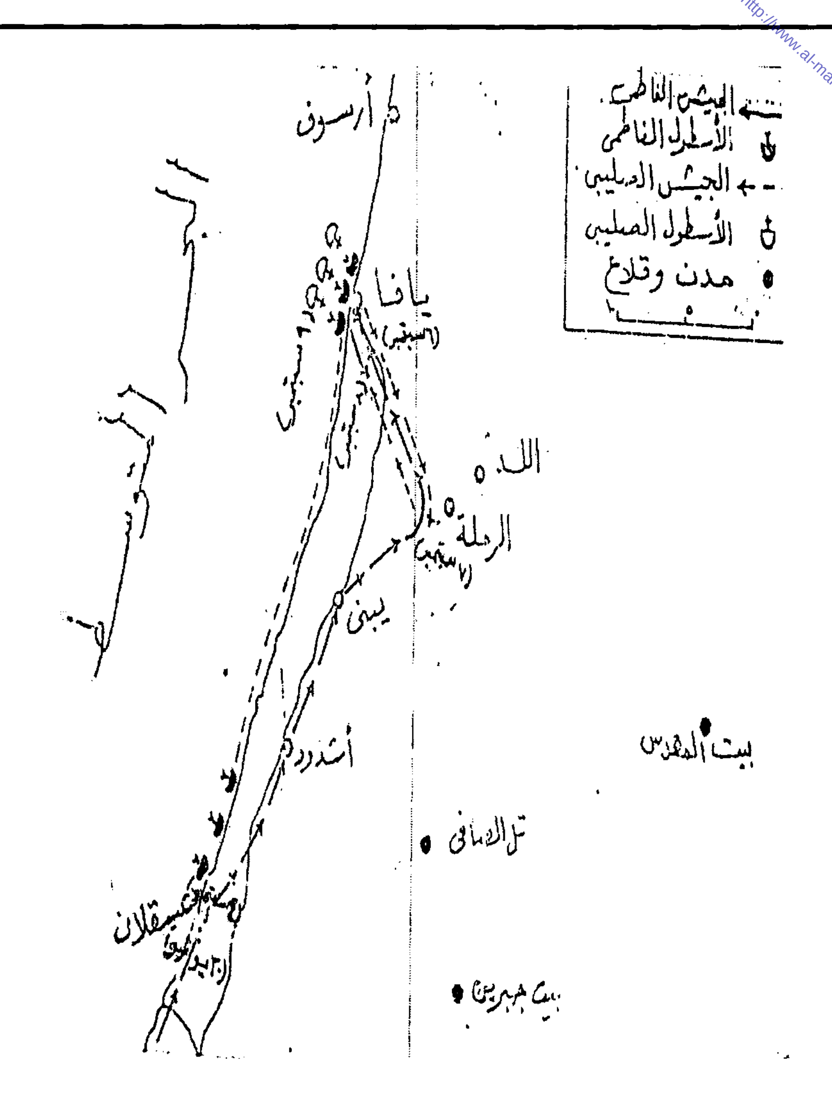
رابع عشر: من خلال مرحلة الدراسة، تأكد للباحثة أن المشروع الصليبى فى عهد الملك بلدوين الأول نجح ـ إلى حد كبير ـ من خلال عدة عوامل، منها: استغلال وإدارة عنصر الوقت، والقرار الجماعى والمشورة بين الصليبيين، وتحقيق العديد من الإنجازات فى وقت واحد، فكانوا يسيرون وفق خطط محكمة ومدروسة. أضف إلى ذلك وجود قاعدة معرفية كبيرة، فمنذ عهد بلدوين الأول اتضح لنا الأساس العلمى للاستعمار الصليبى لفلسطين.

خامس عشر: أدت الطبقة البورجوازية دورًا مهمًا فى دعم حركة الاستيطان الصليبى من خلال العمل بالزراعة وبعض الحرف، فلا عجب إذا وجدنا عناصرها فى المستوطنات التى أقامها المشروع الصليبى، كما فى حالة: مستعمرة البيرة، وكفر مالك، والقبيبة، وغيرها.



الخرائط والأشكال

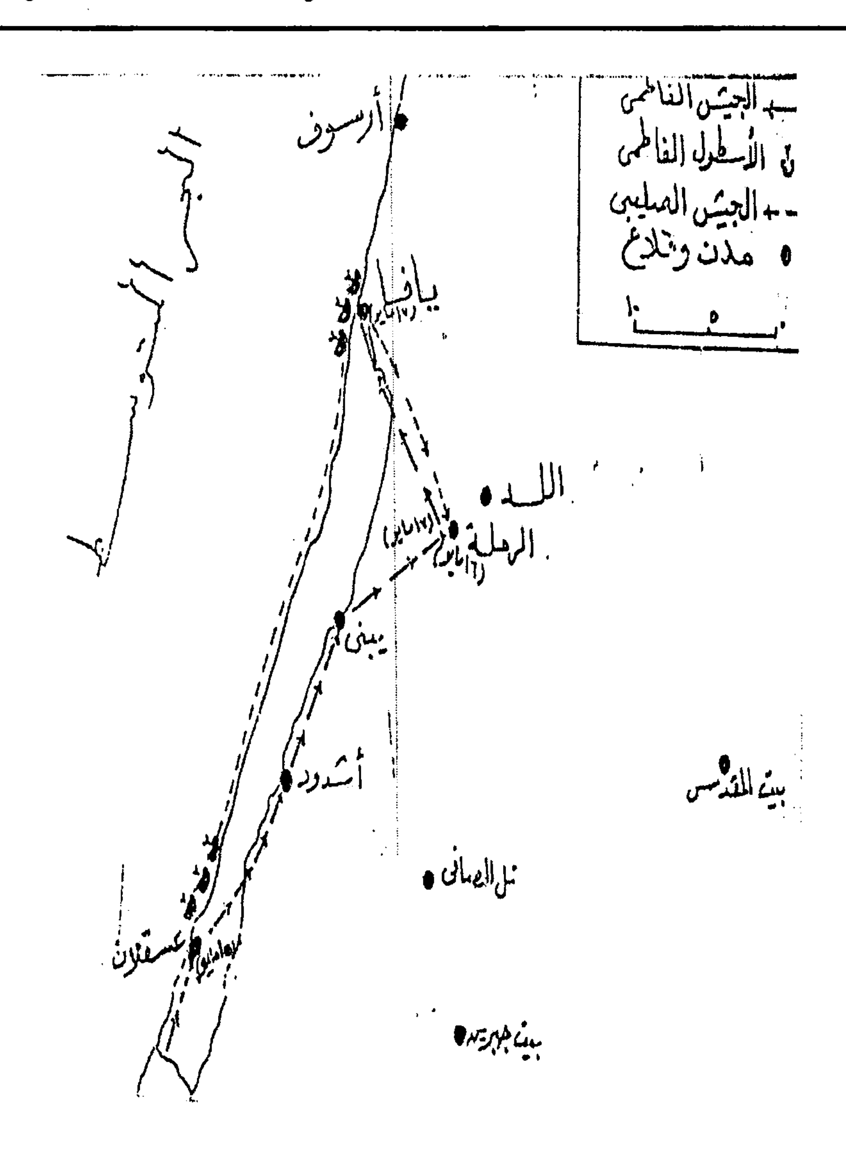

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



خط سير القوات الفاطمية والصليبية البرية والبحرية في معركة (الرملة الأولى عام 494هـ / 1101م)

نقلاً عن :

إبراهيم سعيد فهيم، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099م – 1291م / 490 هـ – 690 هـ)، ص80.

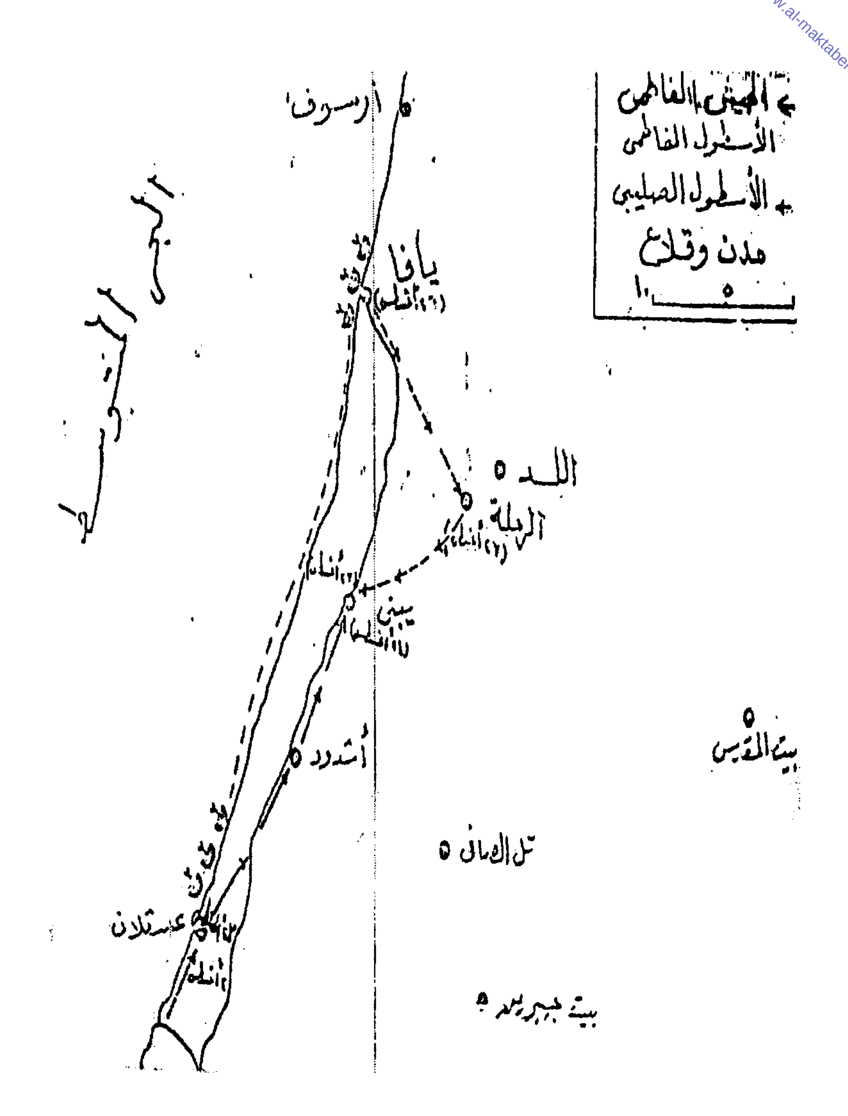


خط سير القوات الفاطمية والقوات الصليبية في معركة الرملة الثانية

(سنة 495هـ / 1102م)

نقلاً عن :

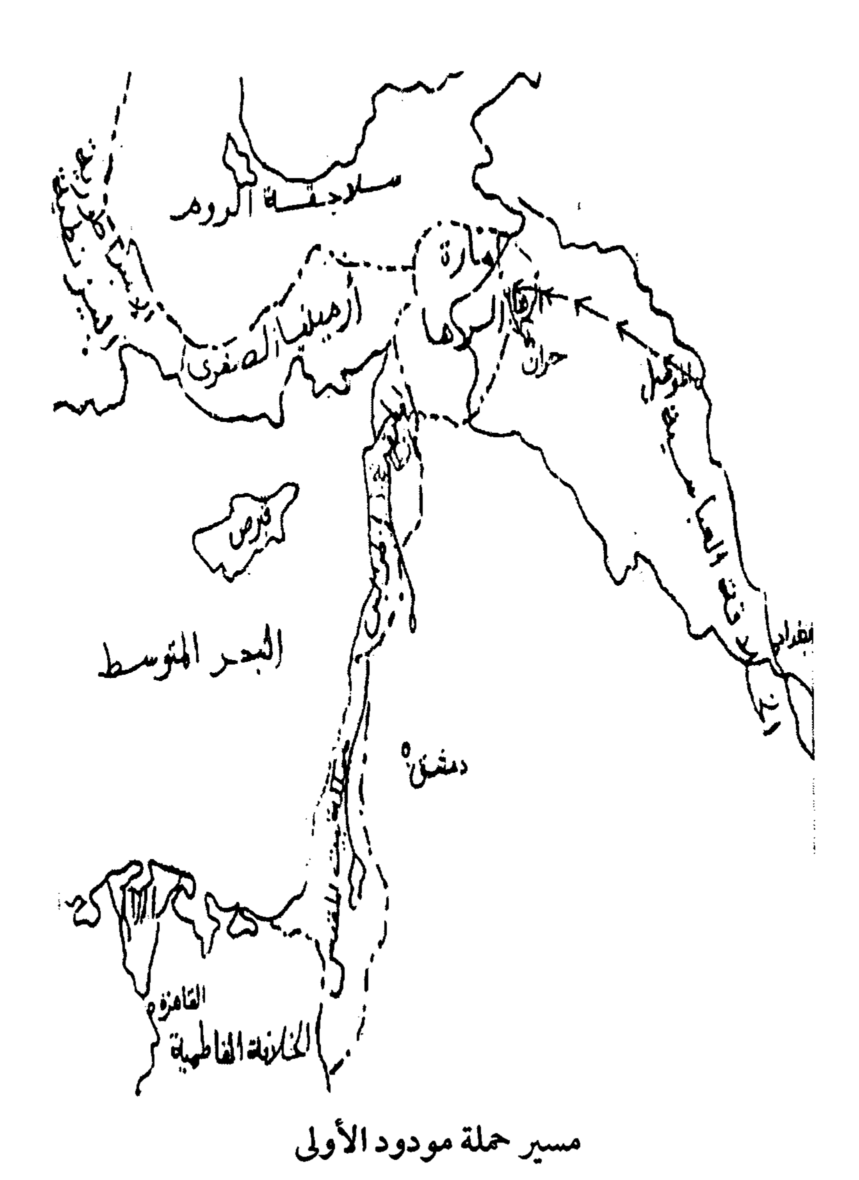
إبراهيم سعيد فهيم، المرجع السابق، ص90 .



خط سير القوات الفاطمية والصليبية في معركة الرملة الثالثة (498هـ - 1105م)

نقلاً عن :

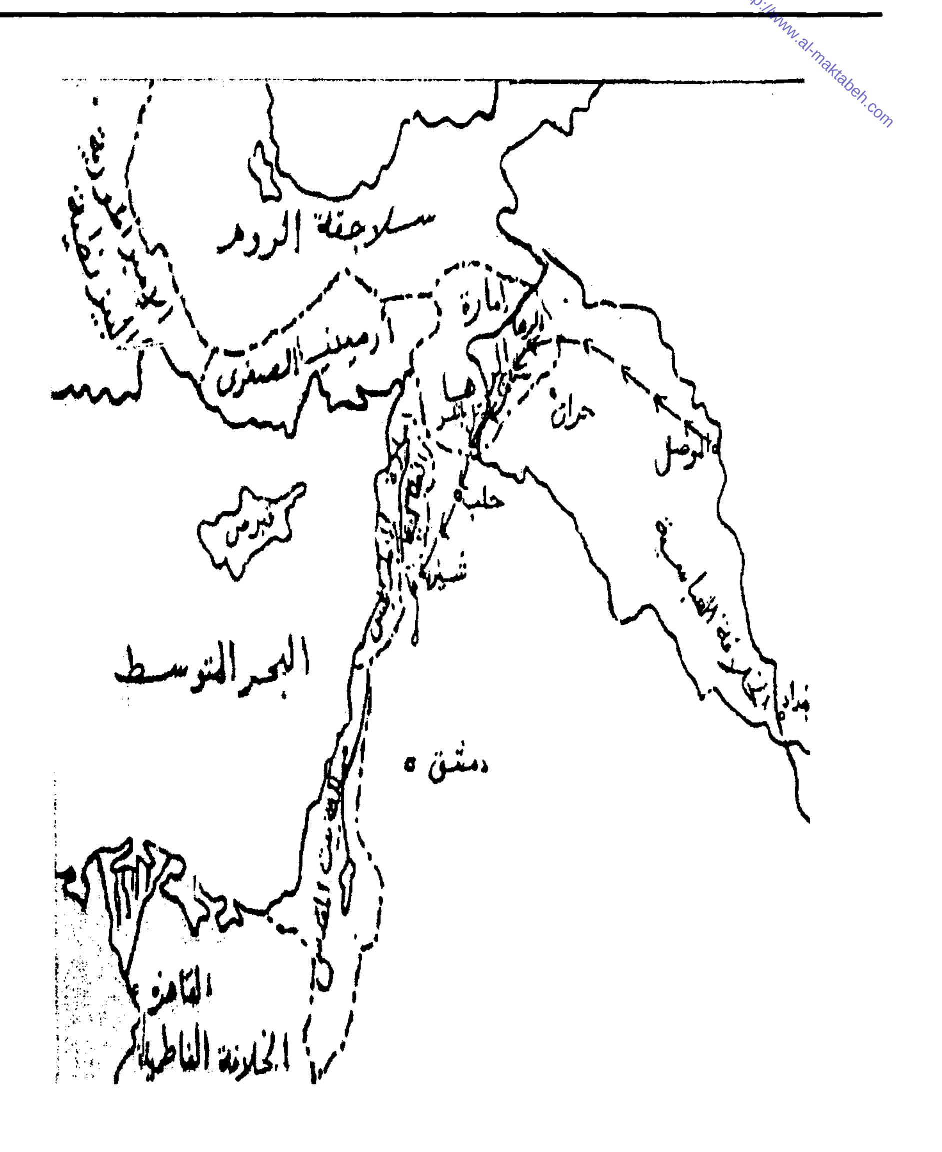
إبراهيم سعيد فهيم، المرجع السابق، ص 101.



مسير حملة مودود الأولى

نقلاً عن :

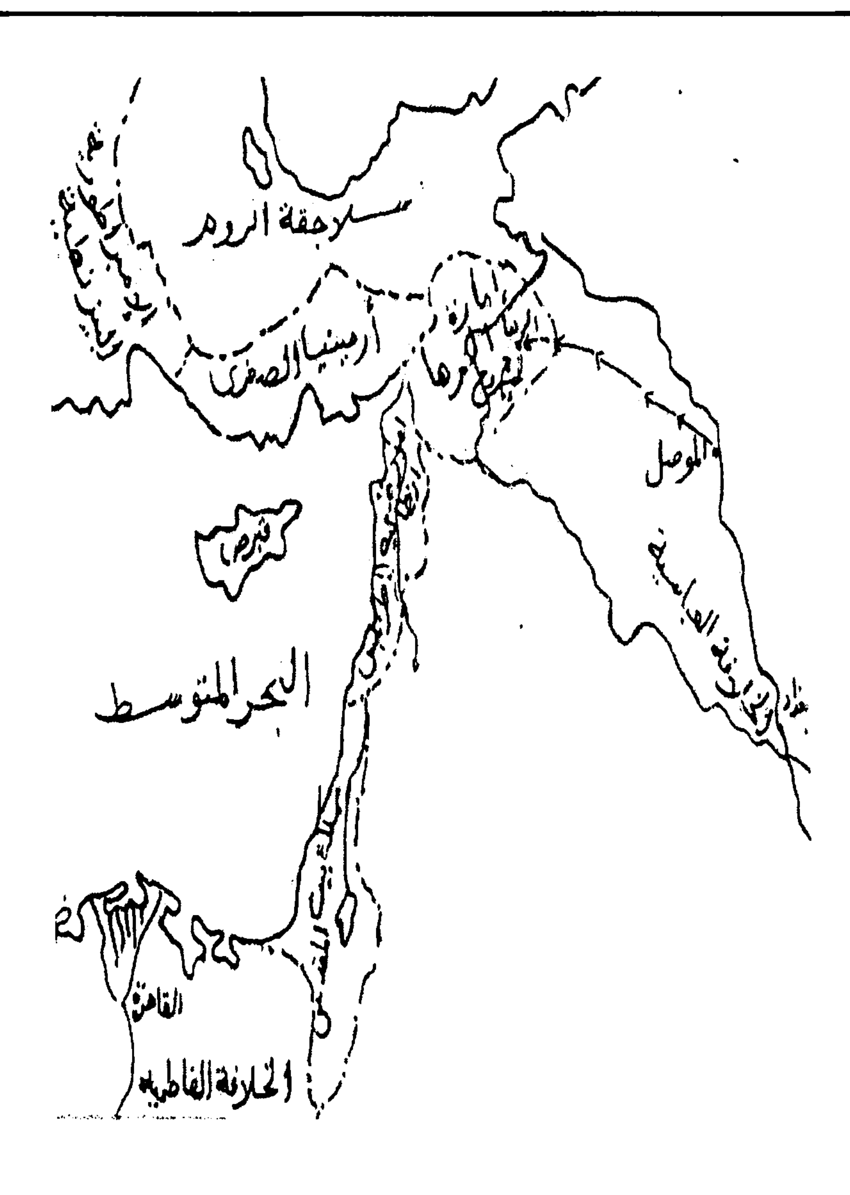
ثريا عطية الغانمي، جهاد الموصل ضد الصليبيين في عهد أميريها مودود التونكين وأفستقر البرسقي، ص175.



حملة مودود الثانية

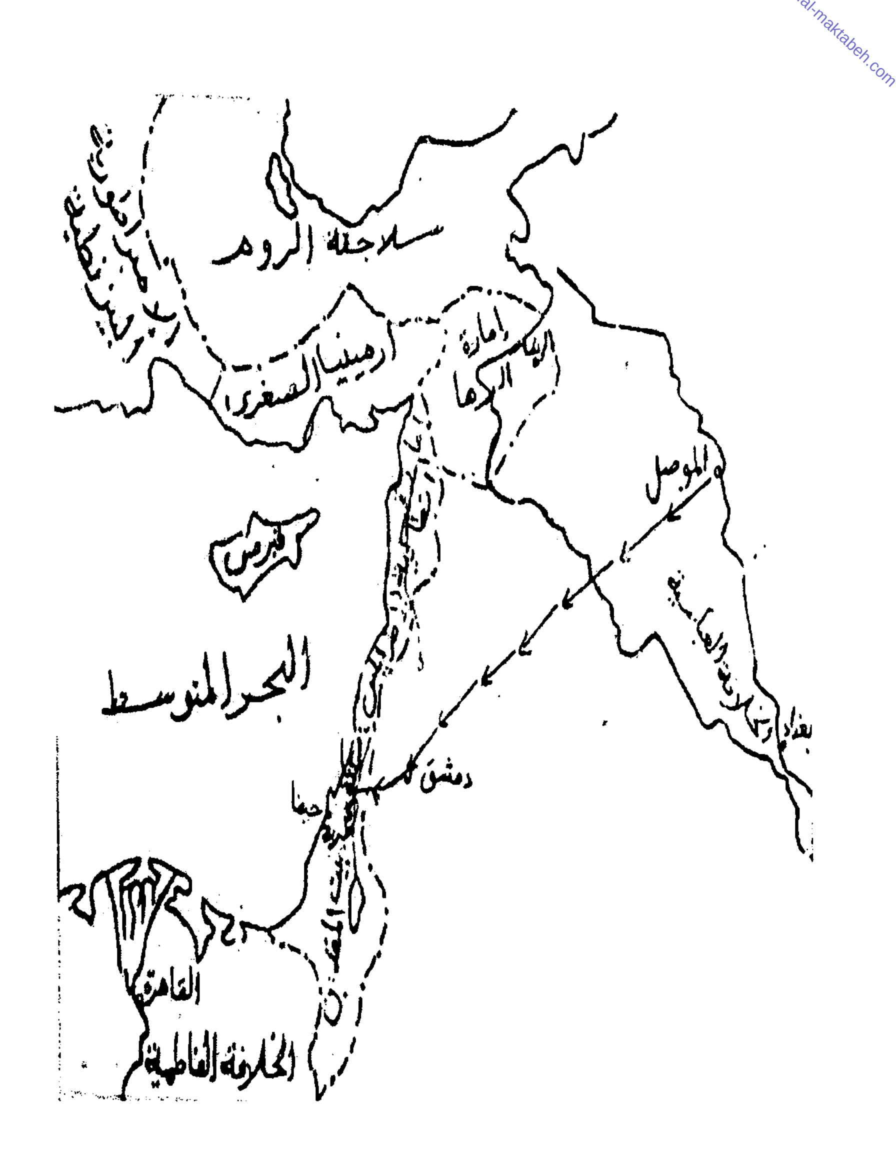
نقلاً عن :

تريا محمد، المرجع السابق، ص176



نقلاً عن :

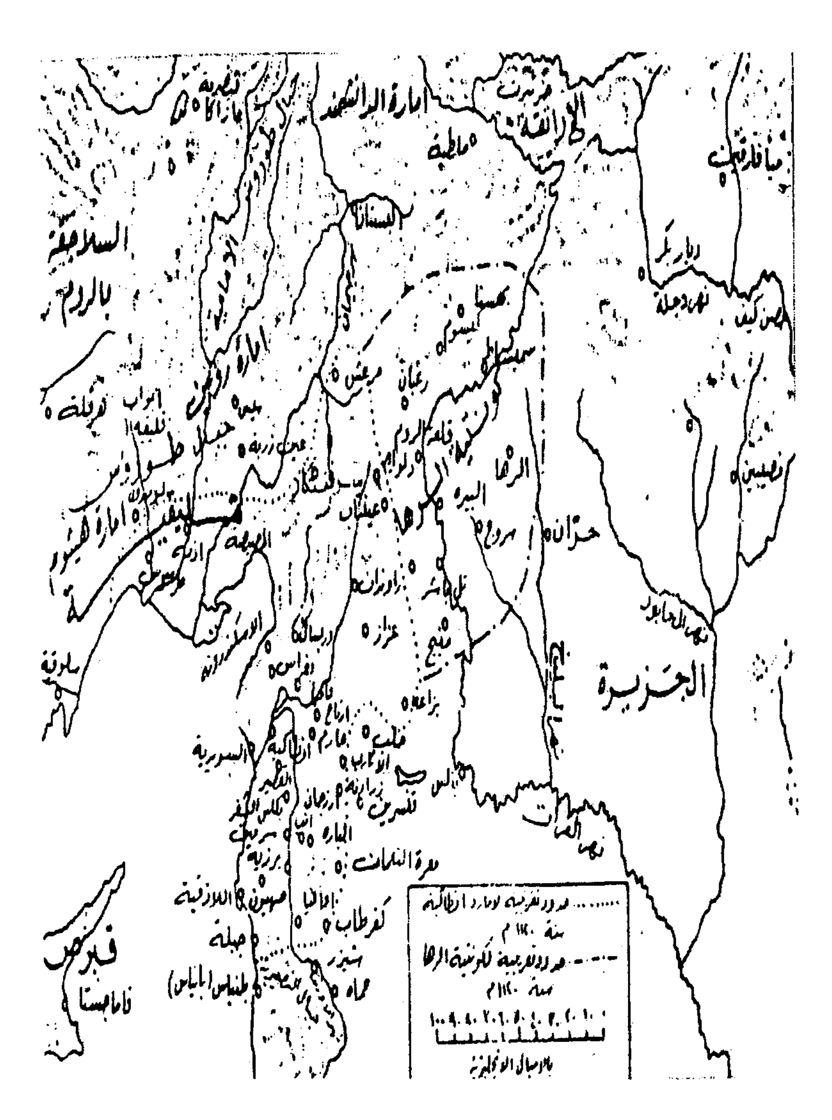
ثريا محمد، المرجع السابق، ص177.



حملة مودود الرابعة

نقلاً عن :

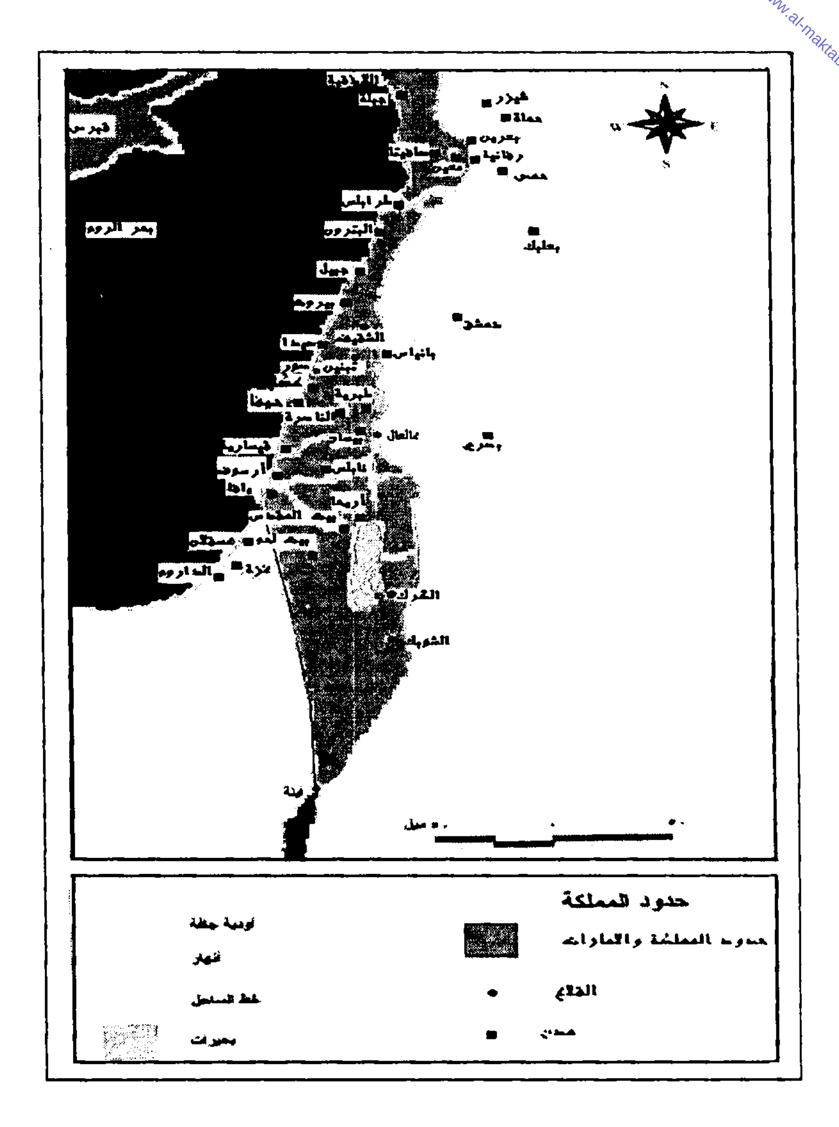
ثريا محمد، المرجع السابق، ص178.



شمال الشام في القرن الثاني عشر الميلادي

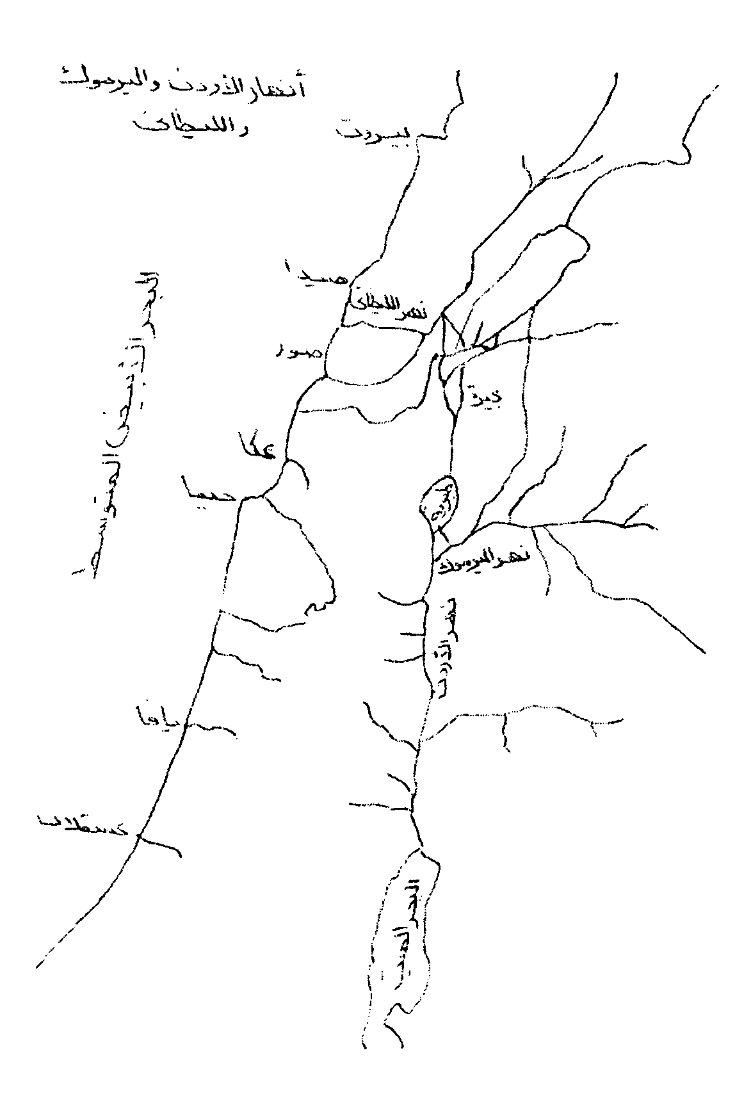
نقلاً عن:

رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ت السيد الباز العريني، ج2،ط بيروت، 1968م، ص 176.

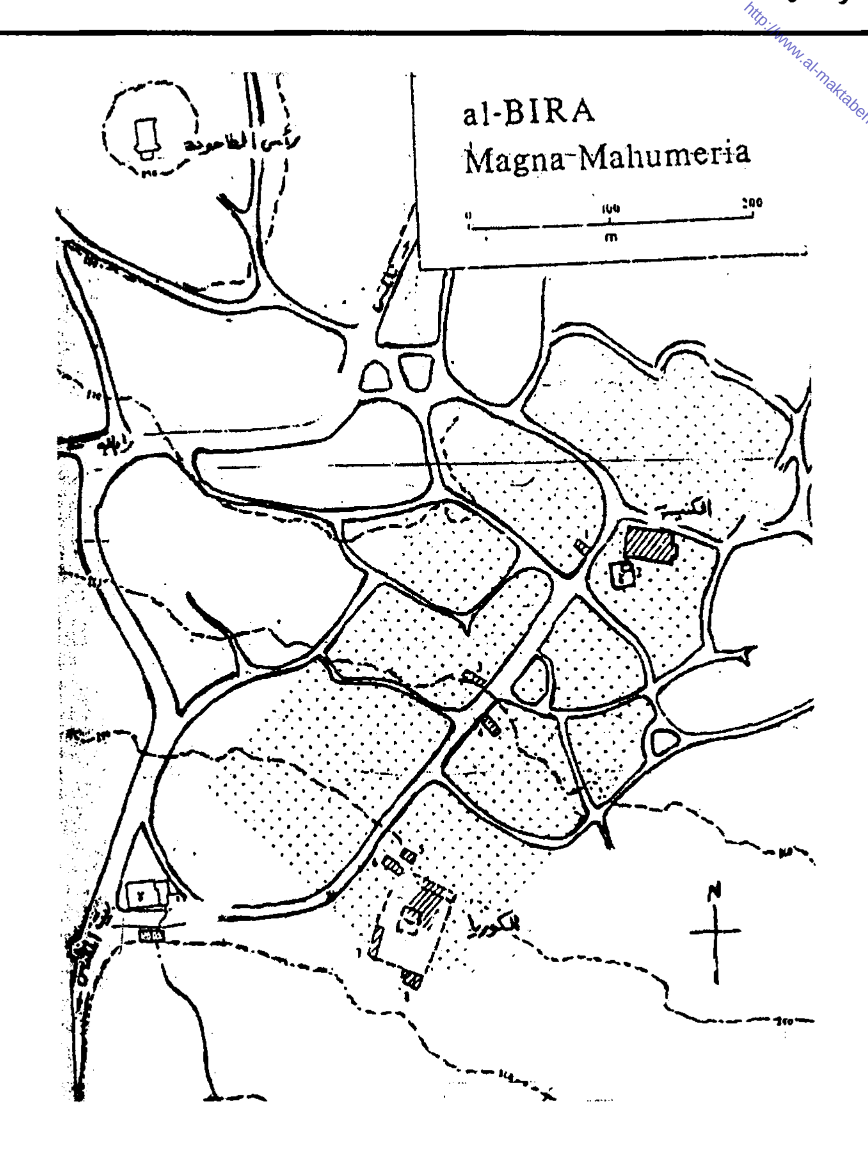


الحدود التقريبية لمملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية

في عهد بلدوين الأول 1101 – 1118م / 495- 512هـ



أنهار الأردن واليرموك والليطاني



خريطة مستوطنة البيرة الصليبية

نقلاً عن :

Pringle (P.), Magna Mohumeria (Al-Bira)

The Archaeology of Frankish town in Palestine, p.750.



قائمة المصادر والمراجع


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

قائمة المختصرات

List of Abbreviation

E.H.R.	: English Historical Review.
M.W.	: Muslim World.
P.P.T.S	: Palestine Pilgrims Text Society.
R.B.	: Revue Biblique.
R.O.L.	: Revue de L'orient Latin.
R.H.C.	: Recueil des Historiens des Croisades.
S.	: Speculum.

أولاً: المصادر الأجنبية

1. Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana Ed. R.H.C., Occ tome IV, Paris 1879.
2. Burchard of Mountsion, A Description of the Holy Land, trans by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. XII, London 1896.
3. Caffaro, Annali Genovesi di Caffaro, Roma 1890.
4. Daniel, The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S, Vol. VI, London 1895.

5. Delaborde (H.F.), Chartres de Terre-Sainte Provenent de L'abbaye de Notre-Dame de Josaphat, Paris 1880.
6. Ernoul, The City of Jerusalem, trans by Conder, P.P.T.S., Vol. VI, London 1896.
7. Fetellus, Description of the Holy Land, trans. by R. Macpherson, P.P.T.S., Vol. V, London 1897.
8. Fulcher of Chartes, A History of the Expedition to Jerusalem, trans by Rita Rian, Tennesse 1969.
9. Geneviéve (B.B.), Le Cartulaire du Chapitre de Saint-sepulcre de Jerusalem, Paris 1984.
10. Jacques de Vitrys, History of Jerusalem, trans by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. XI, London 1896.
11. John of Wurzburg, Description of The Holy Land, trans by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. V, London 1896.
12. Kohler (Ch.), "Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame de la Vallee de Josophat en Terre-Saint", in R.O.L, tome XI, Paris 1899.
13. Matthieu d'Edesse, Extaits de la Chronique, in R.H.C. Doc. Arm, Vol.I, Paris 1869.
14. Rohricht (R.), Regesta Regni Hierosolimitani, Innsbruck 1893.
15. Saewulf, Pilgrimage of Saewulf, trans by W.R. Brownlow, P.P.T.S, Vol. IV, London 1893.
16. Saga of Sigurd, in Wright, Early Travels in Palestine, London 1848.
17. Theoderich, Description of the Holy Land, trans by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. V, London 1896.
18. William of tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, trans by Babcock and Krey, Vol. I, II, New York 1943.

ثانيًا: المصادر العربية

19. ابن الأثير الجزرى (عز الدين محمد 630 هـ/ 1232 م)، الكامل فى التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، ج9، ط3 بيروت 1998 م.
20. ـــــــ، التاريخ الباهر فى دولة الأتابكة بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة 1963 م.
21. الإصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، ط. القاهرة 1961 م.
22. الأصفهانى (العماد الأصفهانى، القاضى محمد بن محمد، ت 598 هـ/ 1201 م)، تاريخ دولة آل سجوق اختصار الفتح البندارى، ط. القاهرة 1900 م.
23. الأصفهانى (العماد الأصفهانى ـ محمد بن محمد)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج11، دمشق 1995 م.
24. ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت 930 هـ/ 1524 م)، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج1، ق1، ط. بيروت، ب.ت.
25. ابن أيبك الدواداري (أبو بكر عبد الله ت 732 هـ/ 1331 م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج6، القاهرة 1991 م.
26. ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل ت 764 هـ/ 1362 م)، أمراء دمشق فى الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق 1995 م.
27. ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف 871 هـ/ 1469 م)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، ج5، ط. بيروت 1992 م.
28. ـــــــ، مورد اللطافة فى من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد، ج1، ط. القاهرة 1997م.
29. ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت 614 هـ/ 1217 م)، الرحلة، ط. بيروت، ب.ت.
30. ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن على ت 597 هـ/ 1201 م)، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج17، ط. بيروت 1992م.
31. ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل ت 380 هـ/ 990 م)، صورة الأرض، ليدن 1873 م.

32. ابن خلدون (عبد الله بن خلدون ت 808 هـ/ 1405 م)، العبر وديوان الـمبتدأ والخبر، ج 5، ط. بيروت 1992 م.

33. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت 681 هـ/ 1282 م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج5، بيروت 1977 م.

34. ابن أبى الدم الحموى، من تاريخ ابن أبى الدم، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ج21، دمشق 1995.

35. ابن سعيد المغربى (على بن موسى ت 672 هـ/ 1275 م)، بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاى الحسن، ط. تطوان 1958 م.

36. ابن الشحنة (أبو الفضل محمد ت 815 هـ/ 1412 م)، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تحقيق سركيس، ط. بيروت 1909 م.

37. ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله ت 684 هـ/ 1285 م)، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، ج2، ط. دمشق 1962 م.

38. ابن ظافر الأزدى (جمال الدين أبو الحسن ت 612 هـ/ 1216 م)، أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق أندريه فرييه، ط. القاهرة 1972 م.

39. ابن العبرى (غريغوريوس الملطى ت 685 هـ/ 1256 م)، تاريخ الزمان، ت. إسحق أرملة، ط. بيروت 1986 م.

40. ـــــــ، تاريخ مختصر الدول، ط3 بيروت 1986 م.

41. ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم ت 660 هـ/ 1261 م)، بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ج4، ج8، ط. دمشق 1988 م.

42. ـــــــ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ج2، ط. دمشق 1954 م.

43. ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن ت 571 هـ/ 1176 م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروى، ج17، ج25، ط. دمشق 1995 م.

44. ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت 1089 هـ/ 1679 م)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج3، القاهرة 1350 م.

45. ابن قاضى شهبة (تقى الدين أحمد ت 581 هـ/ 1448 م)، الكواكب الدرية فى السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، ط. بيروت 1971 م.

46. ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ت 555 هـ/ 1160 م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت 1908 م.

47. ابن الفوطى (كمال الدين أبو الفضل ت 733 هـ/ 1332 م)، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج4، ق3، دمشق 1965 م.

48. ابن كثير (الحافظ عماد الدين إسماعيل ت 744 هـ/ 373 م)، البداية والنهاية، ج6، بيروت 1991 م.

49. ابن ميسر (تاج الدين محمد ت 677 هـ/ 1278 م)، تاريخ مصر، تحقيق هنرى ماسيه، ط. القاهرة 1919 م.

50. ابن نظيف الحموى، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ج21، دمشق 1995 م.

51. ابن واصل الحموى، تاريخ الصالحى، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج21، دمشق 1995 م.

52. ابن الوردى (أبو حفص زين الدين ت 749 هـ/ 1349 م)، تاريخ ابن الوردى، ج2، ط. بيروت 1996 م.

53. أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ت 655 هـ/ 1267 م)، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ق1، ط. القاهرة 1956 م.

54. أبو الفداء (إسماعيل بن على ت 732 هـ/ 1332 م)، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودى سلان، ط. باريس 1840 م.

55. ـــــــ المختصر فى أخبار البشر، ج2، ط. القاهرة، ب.ت.

56. أبوالهيجاء (عز الدين محمد 620 ـ 700 هـ/ 1223 ـ 1301 م)، تاريخ ابن أبى الهيجاء، تحقيق صبحى عبد المنعم، ط. القاهرة 1993 م.

57. أحمد بن على الحريرى، الأعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهل زكار، دمشق 1985 م.

58. أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو المظفر ت 584 هـ/ 1188 م)، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. برنستون 1930 م.
59. الحميرى (أبو عبد الله محمد ت 710 هـ/ 1310 م)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت 1980 م.
60. الإدريسى (الشريف الإدريسى ت.ق 6 هـ/ 12 م)، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، القاهرة، ب.ت.
61. سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف ت 654 هـ/ 1256 م)، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ج8، ق1، ط. حيدر أباد الدكن، الهند 1951 م.
62. شيخ الربوة الدمشقى (أبو طالب الأنصارى ت 727 هـ/ 1326 م)، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن، ط. ليبزج 1923 م.
63. الذهبـى (الحافظ الذهبى ت 748 هـ/ 1348 م)، العبر فى خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد، ج3، الكويت 1961 م.
64. ـــــ، العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج4 ، الكويت 1963 م.
65. ـــــ، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، ط. بيروت 1999 م.
66. ـــــ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. بيروت 1994 م.
67. الزهرى (أبو عبد الله بن أبى بكر ت.ق 6 هـ/ 12 م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، ط. القاهرة، ب.ت.
68. صالح بن يحيى، كتاب تاريخ بيروت، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعى، ط. بيروت 1927م.
69. العظيمى (محمد بن على ت 556 هـ/ 1161 م)، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق 1984 م.
70. العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى 701 ـ 749 هـ/ 1301 ـ1349 م)، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكى باشا، ج1، القاهرة 1924 م.
71. ـــــ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر، ج3، الإمارات

2001 م.

72. العينى (بدر الدين محمود العينى ت 855 هـ/ 1451 م)، عقد الجمان فى تاريخ الأعيان، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج4، دمشق 1995 م.

73. القزوينى (زكريا بن محمد ت 682 هـ/ 1283 م)، آثار البلاد وأخبار العباد، ط. بيروت 1960 م.

74. القلقشندى (أبو العباس أحمد ت 821 هـ/ 1418 م)، صبح الأعشى، ج4، ط. القاهرة 1919 م.

75. المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن 1909 م.

76. المقريزى (تقى الدين أحمد ت 845 هـ/ 1441 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ط. القاهرة 1334 هـ.

77. ــــــ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمى محمد، ج3، ط. القاهرة 1996 م.

78. ناصر خسرو، سفر نامه، ت. يحيى الخشاب، ط. القاهرة 1945 م.

79. النويرى (شهاب الدين النورى ت 733 هـ/ 1332 م)، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج8، القاهرة 1931 م.

80. اليافعى (أبو محمد عبد الله ت 768 هـ/ 1366 م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، ج3، ط. بيروت 1997 م.

81. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ت 676 هـ/ 1228 م)، معجم البلدان، ج2، ج3، ج4، ج5، ط. بيروت 1979 م.

82. ــــــ المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، تحقيق وستنفيلد، ط. بيروت 1986 م.

ثالثًا: المصادر المعربة

83. أغوسطينوس، اعترافات القديس أغوسطينوس، ت. يوحنا الحلو، ط. بيروت 1962 م.

84. أناكومنينا، الكسياد، ت. حسن حبشى، ط. القاهرة 2004 م.

85. بطرس توديبوا، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت حسين عطية، ط. الإسكندرية 1998 م.

86. بنيامين التطيلى، رحلة بنيامين، ت عزرا حداد، ط. بغداد 1945 م.
87. بورشارد، وصف الأراضى المقدسة، ت. سعيد البيشاوى، ط. عمان 1995 م.
88. دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيا الراهب فى الديار المقدسة 1106 ـ 1107 م، ت سعيد البيشاوى، ط. عمان 1992 م.
89. سايولف، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضى المقدسة 1102 ـ 1103 م، ت. سعيد البيشاوى، ط. عمان 1997 م.
90. روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ، تحقيق سهيل زكار، الموسوعة الشامية، الجزء 44، دمشق 2000 م.
91. ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت حسين عطية، ط. الإسكندرية 2002 م.
92. الرهاوى، تاريخ الرهاوى المجهول، ترجمة الأب ألبير أبونا، ج2، بغداد 1986 م.
93. مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت حسن حبشى، ط. القاهرة 1958 م.
94. ميخائيل السريانى، تاريخ مار ميخائيل، ت مارغريغوريوس صليبا شمعون، ط. دمشق 1996 م.
95. يعقوب الفيترى، تاريخ بيت المقدس، ت سعيد البيشاوى، ط. عمان 1998 م.
96. يوحنا فورزبورغ، وصف الأرض المقدسة، ت سعيد البيشاوى، ط. عمان 1997 م.

رابعًا: المراجع العربية

97. أحمد رمضان (د.)، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة، ب.ت.
98. ـــــ، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. جدة، ب.ت.
99. ـــــ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1977 م.
100. ـــــ المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1977 م.
101. أحمد مختار العبادى (د.) والسيد عبد العزيز سالم (د.)، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، ط. بيروت 1981 م.

102. أرشيد يوسف (د.)، سلاجقة الشام والجزيرة فى الفترة ما بين 435 ـ 570 هـ ط. عمان 1988 م.

103. أسامة زكى زيد (د.)، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. الإسكندرية 1981 م.

104. أسامة محمد نعيرات، إقطاعية بيسان ودورها فى الصراع الإسلامى الفرنجي، ط. عكا 2002 م.

105. إسحاق أرملة السريانى، الحروب الصليبية فى الآثار السريانية، ط. بيروت 1929 م.

106. إسحاق عبيد (د.)، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة 1970 م.

107. ـــــــ، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ط. القاهرة 1972 م.

108. أسد رستم (د.)، كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، ج2، ط. بيروت 1998 م.

109. أمين توفيق الصليبى (د.)، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ط. طرابلس 1992 م.

110. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط2، بيروت 1993 م.

111. البدراوى زهران، الصراع اللغوى فى عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ب.ت.

112. جمال محمد حسن زنكى، إمارة دمشق فى المرحلة المبكرة للحروب الصليبية 488 ـ 549 هـ/ 1095 ـ 1154 م، ط. الكويت 1993 م.

113. جمعة محمد مصطفى الجندى (د.)، نظم الحكم والإدارة فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 2003 م.

114. ـــــــ، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، ط. القاهرة 2006 م.

115. جوزيف نسيم يوسف (د.)، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة 1967 م.

116. حاتم الطحاوى (د.)، الاقتصاد الصليبى فى بلاد الشام، ط. القاهرة 1999 م.

117. حامد زيان غانم (د.)، الصراع السياسى والعسكرى بين القوى الإسلامية، ط. القاهرة 1983 م.

118. حامد غنيم أبو سعيد (د.)، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية، ج1، ط. القاهرة 1971 م.

119. حسن حبشى (د.)، الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة 1947 م.

120. حسن عبد الوهاب (د.)، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، ط. الإسكندرية 1990 م.

121. ــــــ، مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 1997 م.

122. حسين محمد عطيه (د.)، المسلمون فى الإمارات الصليبية فى بلاد الشام، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491ـ 690 هـ، ج1، جامعة اليرموك 2000 م.

123. حسين مؤنس (د.)، نور الدين بن زنكى، فجر الحروب الصليبية، ط2، الرياض1984 م.

124. خاشع المعاضيدى (د.) وسوادى عبد ودريد نورى (د.)، الوطن العربى الصليبى، ط. بغداد 1981 م.

125. راغب حامد البكر، "الاستيطان الفرنجى فى القدس"، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491ـ 690 هـ، ج2، جامعة اليرموك 2000 م.

126. رأفت النبراوى (د.)، النقود الصليبية فى الشام ومصر، ط. القاهرة 2001 م.

127. رأفت عبد الحميد (د.)، تاريخ وحضارة أوربا فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1996 م.

128. زكى محمد حسن (د.)، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1945 م.

129. زكى النقاش (د.)، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1958 م.

130. سعاد ماهر (د.)، البحرية الإسلامية، القاهرة، ب.ت.

131. سعد محمد المؤمنى (د.)، القلاع الإسلامية فى الأردن، ط. عمان 1988 م.

132. سعيد البيشاوى (د.)، نابلس: الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية عصر الحروب الصليبية (492ـ 690 هـ/ 1099 ـ 1291 م)، ط. عمان 1990 م.

133. سعيد البيشاوى (د.)، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 ـ 1291 م)، ط. الإسكندرية 1990 م.

134. ـــــــ، "المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين 492 ـ 513 هـ/ 1099 ـ 1187 م"، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى 491 ـ 690 هـ، ج1، جامعة اليرموك 2000 م.

135. ـــــــ، "الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى 492 ـ 583 هـ/ 1099 ـ 1187 م"، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 2003 م.

136. ـــــــ، الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (1099 ـ 1187 م)، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، ط. الإسكندرية 2004 م.

137. سعيد برجاوى، الحروب الصليبية فى المشرق، ط. بيروت 1984 م.

138. سعيد عاشور (د.)، الحركة الصليبية، ج1، ط6، القاهرة 1996 م.

139. ـــــــ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت 1972 م.

140. ـــــــ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ب.ت.

141. السيد الباز العرينى (د.)، الشرق الأوسط، ط. القاهرة 1963 م.

142. ـــــــ، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1962 م.

143. السيد عبد العزيز سالم (د.)، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية 1967 م.

144. ـــــــ، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط. الإسكندرية 1986 م.

145. ـــــــ، التاريخ والمؤرخون العرب، ط. الإسكندرية 1981 م.

146. سيد على الحريرى، الأخبار السنية فى الحروب الصليبية، ط3، بيروت 1985 م.

147. صلاح الدين محمد نوار (د.)، العدوان الصليبى على العالم الإسلامى (490 ـ 515 هـ/ 1097 ـ 1121 م)، ط. القاهرة 1992 م.

148. طالب الصوافى (د.)، القلاع والحصون فى شمالى فلسطين فى فترة الصراع الفرنجى الإسلامى (492 ـ 691 هـ/ 1099 ـ 1291 م)، ط. عكا 2000 م.

149. عبد الحافظ عبد الخالق، الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام من 1099 إلى 1291 م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، عام 1989 م.

150. عبد الحميد زايد (د.)، القدس الخالدة، ط. القاهرة 1974 م.

151. عبد العزيز محمود عبد الدايم (د.)، بيت المقدس فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة 1989 م.

152. عبد العظيم رمضان (د.)، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1983 م.

153. عبد المنعم ماجد (د.)، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت 1966 م.

154. عبد النعيم محمد حسنين (د.)، سلاجقة إيران والعراق، ط. القاهرة 1959 م.

155. عصام الدين عبد الرءوف الفقي، الحياة السياسية والتنظيمات المالية فى دولة أتابكية الموصل والجزيرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1971 م.

156. عصام سخنيينى، طغتكين أتابك دمشق 488 ـ 522 هـ/ 1095 ـ 1128 م، ط. عمان 2003 م.

157. عفاف سيد صبرة (د.)، العلاقات بين الشرق والغرب (علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة من 1100 ـ 1400 م)، ط. القاهرة 1983 م.

158. ـــــــ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1985 م.

159. على أحمد السيد (د.)، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (1099ـ 1187 م/ 492 ـ 583 هـ)، ط. القاهرة 1998 م.

160. ـــــــ، "استرداد صلاح الدين أيلة من الصليبيين عام 1170 م ـ 566 هـ" (ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى)، ط. الإسكندرية 2004 م.

161. على السيد على (د.)، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط. القاهرة 1996 م.

162. على بن صالح (د.)، الدانشمنديون وجهادهم فى بلاد الأناضول، ط. الإسكندرية 1994 م.

163. علية عبد السميع الجنزورى (د.)، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 1979 م.

164. ـــــــ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة 2001 م.

165. عماد الدين خليل (د.)، الإمارات الأرتقية فى الجزيرة والشام (465 ـ 812 هـ/ 1072ـ 1409 م)، ط. بيروت 1980 م.

166. عماد الدين خليل (د.)، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي عصر ولاة السلاجقة في الموصل (521/489/ 1095 ـ 1127)، ط. الرياض 1981 م.

167. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج13، ط. بيروت 1957 م.

168. عمر كمال توفيق (د.)، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الإسكندرية 1958 م.

169. فاروق عمر فوزى (د.) ومحسن حسين (د.)، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى 13 هـ/ 643 م ـ 923 هـ/ 1517 م، ط. عمان 1999 م.

170. فايد حماد محمد عاشور (د.)، جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية، ط3، بيروت 1985 م.

171. فؤاد الدويكات (د.)، إقطاعية طبريا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. عمان 2002 م.

172. قاسم عبده قاسم (د.)، الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، ط. القاهرة 2001 م.

173. ـــــــ، ماهية الحروب الصليبية، ط. القاهرة 2001 م.

174. كمال بن مارس، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل وحلب) من (464 ـ 583 هـ/ 1071 ـ 1187 م)، ط. القاهرة 2004 م.

175. محمد حمدى المناوى (د.)، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، ط. القاهرة 1997 م.

176. محمد سيد كيلانى، الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام، ط2 القاهرة 1984 م.

177. محمد صالح منصور (د.)، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، ط. بنغازى 1996م.

178. محمد فتحى الشاعر (د.)، أحوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. القاهرة 1989 م.

179. محمد محمد مرسى الشيخ (د.)، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، ط. الإسكندرية 1990 م.

180. محمد مصطفى زيادة (د.)، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة، ط. القاهرة 1961 م.

181. محمد مؤنس عوض (د.)، فى الصراع الإسلامى الصليبى (معركة أرسوف 1191 م/ 587 هـ)، ط. القاهرة 1997 م.

182. ـــــــ، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة 1999 ـ 2000 م.

183. ـــــــ، الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ونقدية، ط. عمان 1992 م.

184. ـــــــ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية 1099 ـ 1187ميلادية، ط. القاهرة 1992 م.

185. ـــــــ، أضواء على مستوطنة البيرة الصليبية، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس 2002 م.

186. ـــــــ، الحروب الصليبية: السياسة ـ المياه ـ العقيدة، ط. القاهرة 2001 م.

187. ـــــــ، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام، دراسة عن المرحلة 1114- 1159 م/ 509 ـ 554 هـ، ط. القاهرة 2002 م.

188. ـــــــ، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1995 م.

189. ـــــــ، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة 2004 م.

190. ـــــــ، عصر الحروب الصليبية: بحوث ومقالات، ط. القاهرة 2006 م.

191. محمد كرد على، خطط الشام، ج4، دمشق 1956 م.

192. محمود الحويرى (د.)، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها فى التصدى للصليبيين، ط. القاهرة 1992 م.

193. ـــــــ، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة 1979 م.

194. محمود سعيد عمران (د.)، تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 1995 م.

195. ـــــــ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الإسكندرية 1985 م.

196. ـــــــ، القادة الصليبيون الأسرى فى أيدى الحكام المسلمين، ط. بيروت 1986 م.

197. محمود السيد، تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية 2004 م.

198. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، ج4، ج5، كفر قرع 1991 م.

199. مسفر بن سالم عريج الغامدى، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى قبل قيام الدولة الأيوبية فى مصر (491 ـ 569 هـ/ 1097 ـ 1173 م)، ط. جدة 1986 م.
200. مصطفى الكنانى (د.)، العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى، ج1، ط. الإسكندرية 1981 م.
201. موضى عبد الله السرحان، بيروت تحت الحكم الصليبى وعلاقتها بالمسلمين، ط. الرياض 2001 م.
202. نبيلة إبراهيم مقامى (د.)، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ط. القاهرة 1994 م.
203. نعيم زكى فهمى (د.)، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، ط. القاهرة 1973 م.
204. يسرى الجوهرى (د.)، جغرافية البحر المتوسط، ط. الإسكندرية 1984 م.

خامسًا: المراجع الأوربية المترجمة

205. أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط، ت. أحمد محمد عيسى، ط. القاهرة 1960 م.
206. إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العرينى، ط. بيروت 1967 م.
207. أنتونى بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ت. أحمد غسان سبانو ونبيل الجبروى، ط. دمشق 1985 م.
208. جان ريتشارد، تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها (ضمن كتاب الصراع الإسلامى الفرنجى على فلسطين فى القرون الوسطى)، ط. بيروت 1994 م.
209. جوناثان ريلى سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ط2، القاهرة 1999 م.
210. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العرينى، ج2، ط. بيروت 1968 م.
211. سونيا هاو، فى طلب التوابل، ت. محمد عزيز رفعت، ط. القاهرة 1957 م.
212. سميل، فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر، ت محمد وليد الجلاد، ط. دمشق 1982 م.

213. شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ت. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة 1948 م.
214. عزيز سوريال عطية (د.)، العلاقات بين الشرق والغرب، ت. فيليب صابر سيف، القاهرة 1970 م.
215. فيليب حتى (د.)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت. كمال اليازجى، ج2، ط. بيروت 1959 م.
216. ــــــ، لبنان فى التاريخ، ت. أنيس فريحة، ط. بيروت 1959 م.
217. كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ت. فاطمة نصر ومحمد عنانى، ط. القاهرة 1998 م.
218. كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ت. أحمد الشيخ، ط. القاهرة 1995 م.
219. كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوروبا، ت. محمد زيادة، ط. القاهرة 1958 م.
220. مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة المدعوة بحرب الصليب، ط. أورشليم 1865 م.
221. مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق 1984 م.
222. ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتينى، ت. بشير السباعى، ط. القاهرة 2003 م.
223. نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ت. قاسم عبده قاسم، ج1، ط. القاهرة 1984 م.
224. هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ت. عماد الدين غانم، ط. طرابلس الغرب، 1990 م.
225. هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ت. محمد رضا، ج1، القاهرة 1985 م.
226. يوشع براور، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، ت. عبد الحافظ البنا، ط. القاهرة 2001 م.
227. ــــــ عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، ط. القاهرة 1999 م.

سادسًا: المراجع الأجنبية

228. Archer, (T.H.) and Kingsford (C.L.), The Crusades, The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1919.

229. Armstrong (K.), Holy War, The Crusades and their impact on Todays World, New York 1991.
230. Atiya (A.S.), Crusade, Commerce and Culture, London 1962.
231. Baudrillart (M.A.), Dictionnaire D'Histoire et de géographie Ecclésiastiques, Vol. VI, Paris 1930.
232. ——, Dictionnaire d'Histoire et de géographie Ecclésiastiques, Vol. VI, Paris 1931.
233. Benvensiti (M.), The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem 1976.
234. Boase (A.J.), Jerusalem in the time of the Crusades Society, Land Scape and Art in the Holy City Under Frankish Rout Ledge, London and New York 2001.
235. Boase (T.R.), Kingdom and Strongholds of the Crusades, London 1971.
236. Brehier, L'Eglise et l'Orient ou Moyenage, Les Croisades, Paris 1928.
237. Brooke (Z.N.), A History of Europe from 911 to 1198, Vol II, London 1938.
238. Cahen (C.), La Syrie du nord a l'Epoque de Croisades et la Principaute Franque d' Antoiocle, Paris 1940.
239. Collin de Plancy Godefriod de Bouilion et de Royaume de Jérusalem, Paris 1818.
240. Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897.
241. Corole Hillenbrand (K.), The Crusades Islamie Perspectives Edinburgh University, Press 1999.
242. Crowford, "William of tyre and Maronites", S, Vol. XXX, 1999.
243. Daniel-Rops, Cathedral and Crusades, Translated by John Warrington, London 1959.
244. De Schamps (P.), Les Chateaux des Croises en Terresaint, La Defense du Royaume de Jerusalem, Paris 1939.

245. Dodu (G.), Histoire des Institution Monarchiques dans Le Royaume Latin Jerusalem, Paris 1894.
246. El-Azhari (T.K.), The Saljuq́s of Syria During the Crusades 463-549 A.H/ 1070-1154 A.D, Berlin 1997.
247. Fedden, Crusader Castles, London 1950.
248. Fink (H.), "Mawdud I of Mosul Precursor of Saladin", The Muslim Word XLIII, 1953.
249. ____, "The Foundation of the Latin States 1100-1118", in Setton, A History of the Crusader, Vol. I, Madison 1969.
250. Funck (F.), Les Croisades, Paris 1934.
251. Gieset (K.), History of the Norwegian People, New York 1927.
252. Grousset (R.), L'Epopée des Croisades, Paris 1939.
253. ____, L'Empire du Levant, Paris 1946.
254. ____, Histoire des Croisades et du Royaum France de Jerusalem, Vol. I, Paris 1948.
255. Hagnmayer, Chonologie Dela Premier Croisade, in R.O.L, Tom 7, Paris 1899.
256. Halmes (T.U.), "Life a mony the Europeans in Palsetine and Syria in the Twelfth and Thirteeth Centuries", in Setton, A History of the Crusades, Vol. V, Wisconson 1985.
257. Hamblin (W.J.), The Fatimid Army During the early Crusades, University of Michigan 1985.
258. Hamilton (B.), The latin Church in the Crusades States, London 1980.
259. Hussey (T.M.), "Byzantium and the Crusades", in Setton, A History of the Crusades, Vol. II, London 1969.
260. James A. Brundage, The Crusades Holy War and Conon Law, Great Britain 1998.

261. Kedar (B.), Crusader and Mission European Approaches, Toward the Muslims, New Jersey 1984.

262. ——, The Franks in the Levant 11th 14 Centuries, Great Britain 1993.

263. Kennedy (H.), Crusader Castles, Cambridge 1944.

264. Krey, "William of tyre the Making of An Historian in the Middle Ages", S, Vol. 16, 1941.

265. La Monte (J.), Crusade and Jihad in the Arab Heritage, New Jersey 1944.

266. ——, Feudal Manarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291, New York 1970.

267. Lamb (H.), The Crusades Iron Men and Saint, London 1930.

268. Lane-Pool (S.), A History of Egypt in the Middle Ages, London 1925.

269. Makhouly (N.) and John (C.N.), Guide to Acte Covernment of Palestine, Jerusalem 1946.

270. Mayer, The Crusades, Trans by J. Gillingham, Oxford 1972.

271. Michaud (M.), Histoire des Croisades, Vol. I, Paris 1841.

272. Oldbourg (Z.), The Crusades, London 2001.

273. Oman (C.), A History of the Art of War in the Middle Age, Vol. I, London 1924.

274. Painter (S.), A History of the Middle Age 284-1500, London 1963.

275. Par (E.), Du Bois, Les Croisades, Paris 1860.

276. Par (F.), Valentin, Abrége de l'Histoire des Croisades, Tour 1940.

277. Pernoud (R.), The Crusades, London 1962.

278. Phillips (J.), The Latin East 1098-1291, (ed.) Riley Smith, Oxford 1995.

279. Prawer (J.), Crusader Institution, Oxford 1980.

280. ____, Histoire du Royaume Latin de Jerusalem, T.I, Edition du Center National de Recherche Scientifoue, Paris 1969.

281. ____, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1972.

282. ____, The Settlement of the Latin in Jerusalem, in Sepeculm (S), 27, 1952.

283. Pringle (D.), Magna Mahumeria (al-Bira) The Archaeology of a Frankish New Town in Palestine, in Crusade and Settlemented (ed.) by Peter W. Edbury, Cardiff 1985.

284. Rey (E.), Le Colonies Franques du Syrie Aux XII Me et XIII Siecles, Paris 1883.

285. Richard (J.), Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris 1953.

286. ____, The Political and Ecclesiasrical Organization of the Crusades States, in Setten, A History of the Crusades, Vol. V, U.S.A 1985.

287. Riley-Smith (J.), The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973, The Crusades A Short History, London 1987.

288. Runciman (S.), A History of the Crusades, Vol. I, Vol. II, Cambridge 1978.

289. ____, The Eastern Schism, Oxford 1955.

290. Russel, The Population of the Crusades States, in Setton, A History of the Crusades Vol. V, U.S.A 1985.

291. Savigna (M.R.) Ou Airah, R.B., Paris 1903.

292. Shakeel (H.D.), Diplomatic Relation Between Muslim and Frankish Rulers 1097-1153 A-D, in Crusades and Muslims in Twelfth Century Syria, New York 1993.

293. Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and the Holy Land, Southampton 1973.

294. ____, Crusader Castles of Twelfth Century in E.H.R, 1978.

295. Stevenson (W.R.), The Crusaders in the East, Beirut 1968.

296. Thompson (J.W), Social and Economic History of the Middle Age, Vol. I, London 1959.

سابعًا: الدوريات العربية

297. أحمد رمضان (د.)، "حول وسائل الصراع المسلح الإسلامى الصليبى فى العصور الوسطى"، مجلة المستقبل العربى، العدد 102، مركز دراسات الوحدة العربية 1987 م.

298. أسامة زكى زيد (د.)، "حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين فى عهد الوزير الفاطمى الأفضل"، مجلة كلية الآداب، م9، جامعة الإسكندرية 1981 ـ 1982 م.

299. أسامة سيد على (د.)، الموقع الجغرافى لجنوب شرق البحر المتوسط وأهميته فى رسم سياسة مملكة بيت المقدس الصليبية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس 2002 م.

300. حاتم الطحاوى (د.)، "القانون البحرى لمملكة بيت المقدس الصليبية: قراءة فى مجموعة قوانين بيت المقدس الصليبية "، مجلة كلية الآداب، العدد 58، جامعة القاهرة 1998 م.

301. حسن أحمد البطاوى (د.)، "رحلات الحجاج الأوربيين إلى الدول الصليبية فى الشرق الإسلامى (492 ـ 583 هـ/ 1099 ـ 1187 م)"، مجلة المؤرخ المصرى، العدد 26، يناير 2003 م.

302. حسن عبد الوهاب حسين، "أمن الطرق بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام"، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد 42، جامعة المنوفية، يوليو 2002 م.

303. حسين محمد عطية (د.)، "مجلس نابلس ـ 23 يناير 1120 م ـ وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية"، حولية التاريخ الوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، م1، القاهرة 2000 ـ 2001 م.

304. سرور عبد المنعم على (د.)، "جودفرى دى بويوان حاكمًا للكيان الصليبى 1099 ـ 1100 م/ 493 ـ 494 هـ"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع عشر، مارس2004 م.

305. سعيد عاشور (د.)، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م16، القاهرة 1969 م.

306. عبد الرحمن زكى (د.)، العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م7، القاهرة 1958 م.

307. ـــــــ، "القلاع فى الحروب الصليبية"، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م15، القاهرة 1969 م.

308. عفاف سيد صبرة (د.)، "الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره فى حركة الجهاد الإسلامى"، الدارة، السنة 12، العدد 2، 1986 م.

309. عمر كمال توفيق (د.)، "المؤرخ وليم الصورى"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م (21)، 1967 م.

310. - قاسم عبده قاسم (د.)، "صورة المقاتل الصليبى"، المجلة التاريخية المصرية، م27، القاهرة 1981 م.

311. - ـــــــ، "الاضطهادات الصليبية ليهود أوروبا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها"، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، ط. القاهرة 1982 م.

312. - محمد مؤنس عوض(د.)، "أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين 12 ـ 13 م/ 6 ـ 7 هـ"، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م3، ط. القاهرة 2003 م.

313. - محمود الرويصنى (د.) ومحمد سالم الطراونة (د.)، "دور الأرمن فى تأسيس إمارتى الرها وأنطاكية الصليبيتين (490 ـ 491 هـ/ 1097 ـ 1098 م)"، حوليات آداب عين شمس، يوليو ـ سبتمبر 2002 م.

314. - نزيه شحادة (د.)، "بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية (1097 ـ 1291 م / 490 ـ 690 هـ)"، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد 38، جامعة المنوفية 1999 م.

ثامنًا: الرسائل العلمية

315. إبراهيم سعيد فهيم، يافا ودورها فى الصراع الإسلامى (1099-1291 م/ 492 ـ 690 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1991 م.

316. أحمد عبد الله أحمد، التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين 12، 13 م ـ 6، 7 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2006 م.

317. أسامة سيد على (د.)، الساحل الشامى فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1992 م.

318. ـــــــ، الظهير الشامى ودوره فى الصراع الإسلامى الصليبى فى القرن السادس الهجرى ـ الثانى عشر الميلادى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1996 م.

319. بلال محمود أحمد (د.)، الزراعة فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق 1997 م.

320. ثريا محمد عطية الغانمى، جهاد الموصل ضد الصليبيين فى عهد أميريها مودود التوتكين وأقسنقر البرسقى 500 ـ 520 هـ/ 1106 ـ 1126 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، المملكة العربية السعودية 1983 م.

321. جمعة محمد مصطفى الجندى (د.)، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1985 م.

322. جلال حسنى عبد الحميد سلامة (د.)، الاستيطان الصليبى فى الأراضى المقدسة 1099 ـ 1187 م/ 492 ـ 583 هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2004 م.

323. حامد زيان غانم (د.)، العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1973 م.

324. حجازى عبد المنعم، إمارة شيزار فى عصر بنى منقذ 474 ـ 552 هـ/ 1074 ـ 1157 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية 2002 م.

325. حسن أحمد البطاوى (د.)، التباين الاجتماعى والخلافات المذهبية فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام (1097 ـ 1187 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2000 م.

326. حنان عبد الحميد محمد عبد الهادى، دور بيزة فى العلاقات الصليبية الإسلامية فى مصر والشام حتى نهاية الدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1996م.

327. خلف عبد العليم إسماعيل، إمارة الموصل وعلاقتها بالقوى الصليبية من الحملة الصليبية الأولى إلى نهاية الدولة الزنكية من 491 هـ/ 1097 ـ 581 هـ/ 1185 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا 1991 م.

328. سامى سلطان سعد، أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1958 م.

329. سر الختم عثمان على (د.)، صور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد 1097 ـ 1291 م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1971 م.

330. سعيد السيد على فرغلى، آل كورتناى ودورهم فى الصراع الإسلامى الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1992 م.

331. سهير محمد المليجى (د.)، المرأة الصليبية فى بلاد الشام (1098 ـ 1268 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2002 م.

332. صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الثانى فى الفترة من 1118 ـ 1131 م/ 512 ـ 525 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2005 م.

333. صلاح عبد المنعم، القلاع فى مملكة بيت المقدس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس 2000 م.

334. عبد الحفيظ محمد على (د.)، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1975 م.

335. عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (د.)، الحياة السياسية والتنظيمات الإدارية والمالية فى دول أتابكية الموصل والجزيرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1971 م.

336. عبد الغنى إبراهيم رمضان (د.)، السلاجقة والصليبيون من موقعة ملاذكرد 465 هـ/ 1071 م حتى سقوط الرها 539 هـ/ 1144 م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1957 م.

337. على السيد على (د.)، المجتمع المسيحى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1979 م.

338. فتحى عبد العزيز محمد، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام 1187 م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق 1988 م.

339. ليلى محمد الطرشوبى (د.)، إقليم الجليل فى عصر الحروب الصليبية ـ القرن الثانى عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة 1987 م.

340. محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة 2005 م.

341. محمد مؤنس عوض (د.)، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية فى القرنين السادس والسابع هـ/ الثانى عشر والثالث عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1984 م.

342. مصطفى عبد العزيز العسقلانى، عسقلان ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1992 م.

343. مها يسرى محمد، معرة النعمان ودورها فى عصر الحروب الصليبية (1097 ـ 1291 م/ 490ـ 690 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1998 م.

344. مهجة السيد عبد العال، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام من خلال كتب الرحالة والجغرافيين العرب والأجانب المعاصرين للحركة الصليبية (487 ـ 690 هـ/ 1095 ـ 1291 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1987 م.

تاسعًا : دوائر المعارف

345. دائرة المعارف الإسلامية، ت. الشنتناوى وآخرين، ج1، ج4، ج5، ط. القاهرة ب.ت.

مواقع على شبكة المعلومات الدولية

http://www.atareeku.com


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الخلاصة

يعدّ الملك بلدوين الأول المؤسس الحقيقى والفعلى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى الفترة الممتدة من 1100 ـ 1118 م/ 494 ـ 512 هـ، هذه المملكة التى امتدّت فى عهده من العقبة إلى بيروت، وقد استفاد بلدوين الأول من ضعف المسلمين وانقسامهم على أنفسهم، بالإضافة إلى استغلاله عنصر الوقت، بمعنى تحقيق الإنجازات فى أسرع وقت ممكن.

من أهم أعمال بلدوين الأول، تأسيسه للمملكة الصليبية الوليدة، بإخضاع العديد من المدن الساحلية، وجعلها تحت سيطرته، وذلك بالاستعانة بالمدن التجارية الإيطالية، ولاسيما "جنوه"، و"بيزا"، و"البندقية". و رأت هذه المدن فى ذلك فرصة سانحة من أجل تحويل تجارة الشرق لتكون فى قبضة الإيطاليين.

استطاع الملك بلدوين الأول، صدّ الخطر الفاطمى، وكان ذلك متمثلا فى حملات "الرملة" الثلاث، ويلاحظ أن هذه الحملات الثلاث تمّت على يد الوزير الأفضل بن بدر الجمالى فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى. وجميع هذه الحملات انتصر فيها الصليبيون على المسلمين (الفواطم).

وكان هناك خطر آخر تمثل فى حملتين على جانب كبير من الأهمية، فى عامى (1111 م/ 505 هـ ـ 1113 م/ 507 هـ)، وقد قاد المسلمون فيها أتابك الموصل ـ شرف الدين مودود ـ ويلاحظ أن حملة 1113 م/ 507 هـ، كانت الأخطر، حيث تمكن المسلمون من تحقيق انتصارهم على الصليبيين فى صورة معركة "الإقحوانة"، وتم أسر الملك الصليبى بلدوين الأول، ولكنه تمكن من النجاة، ونلاحظ أن استغلال عنصر الوقت، استفاد منه بلدوين الأول، وذلك عن طريق إرسال الدعم البشرى من الغرب الأوروبى فى مواجهة المسلمين، وعدم استغلال المسلمين الفرصة من انتصارهم، وذلك بسبب التفكك، والانقسام بالإضافة إلى قتل بطل الجهاد شرف الدين مودود، فى عام 1113 م/ 507 هـ على يد خناجر الحشاشين.

لقد قام بلدوين الأول بمواجهة بعض المشكلات: منها مشكلة نقص العنصر البشرى، فقد عمل بلدوين الأول على تغيير جزئى لخريطة التوزيع الديموغرافى فى المنطقة، من خلال جلب المسيحيين الشرقيين. فقام بالاتصال سرّا بالعناصر المسيحية المحلية الموجودة شرق الأردن، وفى حوران، وكذلك عناصر من الأرمن والنساطرة فى الرها، والموارنة فى طرابلس. وقدّم لهم الإغراءات الخاصة بالأمان، والحماية، فى المدينة المقدّسة، ونلاحظ أن المدينة صارت عامرة بهم. وبذلك عوّض المدينة المقدسة من الخلخلة السكانية التى أصيبت بها من جراء مذبحتها الشهيرة.

ونذهب إلى إسهام آخر، وهو دور بلدوين الأول فى تشييد القلاع الصليبية، من أجل تأمين أملاك الصليبيين فى فلسطين، فاتجه إلى إقامة القلاع والحصون كى تكون بمثابة الدروع الواقية ضد المسلمين.

قام الملك بلدوين فى التوسّع صوب مصر، بعد تأكده من الضعف الفاطمى. فقد قام بحملة استكشافية على مصر عام 1118 م/ 512 هـ، وقطع المسافة من غزة إلى العريش، ثم الفرما، ولكن فى أثناء ذلك، توفى بلدوين الأول، المؤسس الحقيقى والفعلى لمملكة بيت المقدس الصليبية.

وقد قسّمت تلك الدراسة إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: سياسة بلدوين الأول تجاه إخضاع الساحل الشامى، وحملته على مصر. تناولت فى هذا الفصل كيفية الاستيلاء على الساحل الشامى، فيما عدا، صور، وعسقلان، بالإضافة إلى حملته الاستكشافية على مصر.

الفصل الثانى: سياسة بلدوين الأول تجاه القوى الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة، تناولت فى هذا الفصل حملات الرملة الثلاث، و موقعة حران، بالإضافة إلى حملات شرف الدين مودود، وحملة برسق، وكذلك المقاومة الشعبية.

الفصل الثالث: العمارة الحربية فى عهد بلدوين الأول.

تناولت فى هذا الفصل تشييد القلاع فى الجليل، بالإضافة إلى تشييد قلعة: الشوبك، والكرك، وأيلة، وجزيرة فرعون.

الفصل الرابع: سياسة بلدوين الأول تجاه الكنيسة.

تناولت فى هذا الفصل، الإشراف على الكنيسة، بالإضافة إلى المنح والإقطاعات الكنسية التى منحت فى عهده.

الفصل الخامس: الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، لمملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الأول.

تناولت فى هذا الفصل الأوضاع الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، بالإضافة إلى الأوضاع الاجتماعية من تركيبة سكانية، وطبقات المجتمع، والأعياد الدينية وغيرها فى عهد هذا الملك الصليبى.

